جامعة المنيا
كلية الآداب
قسم التاريخ

الشرق الآدنى
في
العصر الهيلينستى

أ. دكتور
عاصم أحمد حسين

القاهرة
١٩٩٦م

مقدمة

عندما توفى الإسكندر الأكبر فى سنة ٣٢٣ ق.م لم يترك وصية أو يرشح خلفا له، ولم يترك وريثاه ولم يضع أية ترتيبات لمواصلة نظام الحكم فى البلاد (١). ودب الخلاف بين قواد الإسكندر، فمنهم من أراد أن يحافظ على وحدة الإمبراطورية الشاسعة، مثل " أنتيجونوس Antigonos " على أن يكون هو الوريث، ومنهم من رغب فى أن يتولى شئون جزء من الإمبراطورية، بصرف النظر عمن يترأس، ومن هؤلاء بطليموس الذى إستقر فى مصر حاكما أولا ثم ملكاً مؤسساً لأسرة البطالمة (٢)، وهكذا " أنكر القرن العظيم وطلع عوضا عنه أربعة قرون عظيمة تتجه نحو رياح السماء الأربع " (٣).

بينما يروى سفر المكابيين الأول بأن الإسكندر قسم مملكته بين قواده عندما أحس بالموت :
" وبعد ذلك انطرح فى فراشه وأحس من نفسه بالموت. فدعا عبيده الكبراء الذين نشأوا معه منذ الصباء فقسم مملكته بينهم فى حياته " (٤).

بيد أن هناك رأى آخر للعلماء يختلف مع المكابيين يذهب إلى أن الإسكندر قد توفى دون أن يترك وريثا (٥).

---

1 - Tarn (W.), Hellenistic Civilisa Tion , 3 rd ed ., London 1952 , P. 6 ; Carg (M.), AHistorg of the Greek world from 323 to 146 B. C ., 2 ed , London 1451 , P. 1.

٢ - نقولا زيادة : شاميات دراسات فى الحضارة والتاريخ، لندن ١٩٨٩، ص ٥٣

٣ - دانيال : الاصحاح ٨ : ٨.

٤ - الاصحاح : ٦ : ٧.

5 - Tarn (w.), op. cit ., P. 6 ;

إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، جا ; القاهرة ١٩٧٩، ص ٤٥.

مؤتمر بـابـل :

عقد قواد الإسكندر مؤتمرا فى بابل غداة موته فى يونية ٣٢٣ ق.م ليبحثوا فيه مشكلة حكم الإمبراطورية المقدونية . (١) وتقرر فى هذا المؤتمر تقسيم ولايات الإمبراطورية بين قواد الإسكندر ليحكموها بصفة كونهم ولاة من قبل الأسرة المالكة المقدونية (٢) . فقد قرر المؤتمر أن يعهد إلى بطلميــوس بــن لاجــوس (Lagos) بمصــر ، وإلى لاومــدون (Laomedon) بســوريا (٣) ، وإلى ليسيماخوس (Lysimachos) بتراقيا ، وإلى مناندروس (Menandros) بلوديا ، وإلى ليوناتوس (Leonnatos) بفروجيـا علـى شـاطىء الدردنيـل ، وإلى أسـاندروس (Asandros) بقاريـا ، وإلى فيلوتاس (Philota) بقيليقيا ، وإلى باثيون (Peithon) بميديا الكبرى ، وإلى قونيوس (Coenos) بسوسيانا ، وإلى أرخون (Archon) ببابل ، وإلى ارقسيلاوس (Arcesilaos) بميديا الصغرى ، ومنح أنتجونوس (Antigonos) الجانب الأكبر من آسيا الصغرى ، أى فروجيا الكبرى وبامفوليا ، ولوقاونيا ولوقيا ، (٤) وأعطى يومينيس (Eumenes) بافلاجونيا وكابادوكيا وكانتا لم تخضعا بعد . وأما بلاد الإغريق فقد تقرر أن تبقى جمهورياتها خاضعة لمقدونيا وموحدة فى عصبة كورنثة تحت سيطرة أنتيباتروس (Antipatros) (٥) .

---

1 - Bevan (E .) , The House of Seleucus , vol . 1 , London 1902 ,
عاصم أحمد حسين : دراسات فى تاريخ وحضارة البطالمة الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٩٤ ; P. 28 ص ١٧ ز

٢ - إبراهيم نصحى : (المرجع السابق) ، جا ، ص ٤٨ .

٣ - أورسيوس : تاريخ العالم القديم ، الترجمة العربية القديمة حققها وقدم لها عبد الرحمن بدوى ، جـ ١ ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٢٤٤ .

4 - Appian , Roman Historg , TTsgrian wars .ed and translated by H .whito ,London 1912 , 53

5 - Diodorus of Sicilg x vlll , ed and translated by C , B . welles , london 1953 , 3 ; Curitus , x , 10 , 1 - 6 ; Jougeut (P .) , Macedonian Tmperializm and the Hellenization of the East , London 1952 , P - 121 .

ولكى يجد القواد المجتمعون فى بابل حلا لمشكلة وراثة العرش ، لأنه عندما توفى الإسكندر ترك زوجته الفارسية روكسانى (Roxane) حاملا فى شهرها السادس ،(١) إلا أنها كانت سيدة شرقية وكان الكثيرون ينكرون على جنينها حق التربع على عرش الإمبراطورية المقدونية . وكان يوجد فى بابل نفسها أخ للإسكندر يدعى أرهيدايوس (Arrhidaeos) (٢) وكان شابا غبيا مصابا بالصرع ، ولم يكن ابنا شرعيا للملك فيليب . لكنه فى نظر الجيش وخاصة فى نظر الجنود البسطاء كان يمتاز على غيره بأن أمه كانت سيدة من تساليا ولم تكن سيدة شرقية . (٣) فقد ترد القواد أن يكون برديقاس خيليارخيس (Chiliarches) القائد العام للجيش ، والمهمين على شؤن الإمبراطورية ،(٤) وأن يساعده فى ذلك ملياجروس . وتقرر أيضا أن يكون قراتروس(Crateros) وصيا على الملك المعتوه (٥) وكذلك على طفل روكسانى عندما يولد ، وحامى شخصيهما ، وحامل أختام الدولة (٦) .

وإذا كان قواد الإسكندر قد اتفقوا يومئذ على الإحتفاظ بكيان الإمبراطورية ظاهرياً ، إما بدافع الولاء للأسرة المالكة مثل انتيباتروس وقراتروس ، وإما بدافع المصلحة الشخصية مثل برديقاس وليوناتاس وأنتيجونوس . إلا أن أكثر القواد لم يتركوا بابل إلا فى نية كل منهم الإستقلال بحكم ولايته وأن يكون هو صاحب النفوذ الأكبر (٧) .

وبدأ الصراع المسلح بين قواد الإسكندر سنة ٣٢١ ق.م . لمدة أربعين عاما وأدت هذه المنافسة المسلحة إلى تقسيم الإمبراطورية إلى ثلاث ممالك ، حيث حكم السلوقيون شطرا كبيرا من رقعة

---

1 - Curitus , x , 6 , 9 .
2 - Bevan (E .) , op . cit ., P . 29 ; Appian , Sgrian wars . 52 .
3 - Bou ché - Leclercq , Histoive des Seleucides , I , Paris1913 , P - 8 ; Bevan (E .) , op . cit . , P . 29 ; طه باقر : مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٥٥ ، ص ٥٩٤ .
4 - Bevan (E .) , op . cit ., P . 29 .
5 - Diodorus , x III , 2 , 4 .

٦ - ابراهيم نصحى : (المرجع السابق) ، جـ ١ ، ص ص ٤٨ - ٤٩ .

٧ - ابراهيم نصحى : (نفس المرجع) ، جـ ١ ، ص ص ٤٩ - ٥٠ .

الإمبراطورية الفارسية القديمة بآسيا، وحكم البطالمة مصر، وترجع آل انتيجونوس على عرش مقدونية. (١) وقد ساعد على بلوغ هذه النتيجة أن الإمبراطورية كانت تتألف من أجزاء غير متجانسة لم يكن يربط بعضها ببعض إلا قيام سلطة مركزية موحدة. وبمجرد إنقسام هذه السلطة على نفسها ساعد ذلك على تقطيع أوصال الإمبراطورية وتضارب المصالح واختلاف العادات والحضارة. (٢).

الحرب بين القواد حتى ٣٠١ ق. م.

لقد نشبت الحرب فى سنة ٣٢١ ق. م بين عصبة مكونة من انتيباتروس وانتيجونوس وبطليموس (P + olemaios) وبين برديقاس (Perdicas) الذى أعلن أنه يناصر الملكين، بيد أن أتهم بأنه إنما يهدف إلى العرش (٣). وانتهى الأمر بقتله ثم عينت الجيوش المقدونية المتحدة أنتيباتروس وصيا عل العرش (٤). وكان أنتيباتروس آخر قائد من قواد " فيليب الثانى ظل على قيد الحياة. وبإحترام الناس له استطاع جمع شتات إلى أن مات فى ٣١٩ ق.م (٥) وفى غضون ذلك الزمن بدأ " أنتيجونوس " يحطم حزب " برديقاس " وأتباعه حتى لم يبق منهم إلا واحداً فقط هو " يومينيس " الإغريق من كارديا (٦). واشتعلت نار الحرب ثانية، وكان بطلا الحرب فى آسيا هما " يومينيس " وأنتيجونوس " الذى كان يؤيده بطلميوس وأخرون. فى حين

---

١ - أحمد وصفى زكريا : مدينة أفامية الأثرية، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٧، دمشق ١٩٥٧، ص ١٠٣ - ١٠٤، Tarn (W.) op. cit., P. 6 نقولا زيادة : المرجع السابق، ص ٦٦.

2 - Jougeut (P.), op. cit., PP. 126 - 8.

3 - Tarn (W.), op. cit., PP. 6 - 7.

٤ - عاصم أحمد حسين : المرجع السابق، ص ٢٤.

5 - Tarn (W.), op. cit., P. 7.

6 - Jbid, loc. cit.

أن بطليها بأوربا كانا " بولييرخون " و" كساندر " (ابن انتيباتروس) وكان حليفا لانتيجونوس . وانتهت الحرب بأوربا فى ٣١٦ ق . م . بالفوز المبين لكاندر، ولم يلبث أن أصبح سيداً على مقدونية وشطر عظيم من بلاد الإغريق بما فى ذلك أثينا (١) .

وبعد إعداد يومينيس أصبح انتيجونوس أقوى القواد مركزاً ، حيث شرع فى القضاء على السقاربة الشرقيين ،ولم يستطيع سلوقس ساتراب بابل أن ينجو بحياته إلا بالهرب إلى بطلميوس (٢) .وعمد الحكام الكبار وهم " كساندر " وبطلميوس " " وليسيماخوس " إلى تكوين حلف ضد " أنتيجونوس " ونشبت بين الجانبين حرب (٣١٥ - ٣١١ ق .م) غير حاسمة ، وإن استطاع بطلميوس فى ٣١٢ ق . م أن يعيد سلوقس إلى ولايته السابقة بابل . وقد اعتبر المؤرخون القدامى تاريخ عودة " سلوقس Seleucus " إلى بابل البداية الرسمية للحكم السلوقى (٣) . ولكن سوزان شروين وايت تذكر أن بداية حكم سلوقس الأول كان فى عام ٣٠٥ ق .م (٤) . وهو العام الذى اتخذ فيه خلفاء الإسكندر المتصارعين لقب ملوك . بيد أن سلوقس لم يلق عناءاً كبيراً فى استرداد ولايته ، وقد استقبل عند عودته استقبالاً حاراً اضطر معه " بوليارخوس Polyarchus " قائد انتيجونوس (Antigonos) إلى التسليم له ، بل إن جموع البابليين خلقت عليه لقب الملك .(٥)

---

1 - Jbid , loc . cit .

٢ - مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس ، دمشق ١٩٩٣ ، ص ٥٠ .

3 - Tarn (W .) , op . cit ., P . 10 .

4 - Appian , Sgrianwars , 54 .

5 - Sherwin - White (Susan) and Kuhrt (Ameile) , From Samar Khand to Sardis , anew approach to the Seleucid Empire , Duckworth , London 1993 , P . 230 .

6 - Bevan (E .) , op - cit ., P - 251 ; فاروق حافظ القاضى : دور روما فى إنهيار الممالك الهيلنستيه رسالة ماجستير آداب عين شمس ١٩٦٥ ، ص ٤٧ .

وبدأ سلوقس يوطد أركان دولته فى كل المناطق الواقعة إلى الشرق من بابل ، غير أنه فى توسعه هذا شرقا ، كان لابد من أن يصطدم " بشندرا جوبتا Chandragupta " (١) . فقد ظل يقاتل ويجالد جلاداً لا هوادة فيه ويبدو أن الحرب استمرت من عام ٣٠٦ ق .م حتى ٣٠٤ ق .م . ، وانتهت بتوقيع صلح ودى دعمته أواصر الزواج (٢) . وتنازل سلوقس لشندراجويتا بمقتضاه عن الولايات الهندية (٣) ، وحصل فى مقابل ذلك على قوة ضخمة من فيلة القتال حوالى خمسمائة فيل (٤) .

وفى معركة إبسوس (Jpsus) سنة ٣٠١ ق .م . تلاحم جيش انتيجونوس وديمتريوس مع توتى ليسيماخوس وسلوقوس مجتمعتين ، وكان معهما ما يملكونه من فيلة ، وفى هذه المعركة هزم انتيجونوس وقتل ، ولكن ديمتريوس فر هارباً (٥) .

وقد تحددت معالم امبراطورية الإسكندر بعد أن بلغت رقعة الدولة الهلينستيه ، فى أوسع مابلغته ، نحو مليون وثمانمائة وأربعين ألفا من الكيلومترات المربعة (٦) . معركة إبسوس : الوحدة مستحيلة ، وتقسيم هذه الأملاك الواسعة أمر منتهى (٧) . فنال ليسيماخوس آسيا الصغرى شمال جبال طوروس وأخذ " سلوقس " العراق والقسم الشرقى كله من آسيا الصغرى بالإضافة إلى سورية من الفرات حتى البحر المتوسط (٨) .على أن بطلميوس كان قد احتل

---

1 - Tarn (W .), op . cit ., P . 10 .
2 - Appian , Syr . , 55 .

٣ - مفيد رائف العابد : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

4 - Torn (W .) , op . cit ., P - 10 .
5 - Jbid , p . 11 ; Appian , syrian wars , 55 .

٦ - نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

٧ - نقولا زيادة : (نفس المرجع) ، ص ٦٦ .

8 - Appian , Syrian wars , 55 ; Bevam (E .) , op . cit ., PP . 61 FF ; Rostovtzeff (M .) the social and Economic History of the Hellenistic world , Oxford 1941 , vol . 1 , 429 ;
جلانفيل داونى أنطاكية القديمة ، ترجمة و ز ابراهيم نصحى ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤٦ .

سورية جنوبي كل من أرادوس ودمشق فى معركة إبسوس . وقنع " كساندر" بمقدونيا ، على أن " ديمتريوس " كان لا يزال يسيطر على البحر وصور وصيدا وبعض مدن من آسيا الصغرى وأجـــزاء من بلاد اليونـان (١) . وتوسع كل من الحكام الأربعة ماأمكنهم التوسع كل فى دائرة حكمه ، واعتبر كل ملك نفسه ملكا مستقلا فى البلاد التى استولى عليها . وكان هؤلاء قد أعلنوا استقلالهم قبل ذلك سنة ٣٠٦ أو ٣٠٥ ق . م . ، وصكوا نقودا خاصة بهم ، ويعتبر صك النقود الشارة الرسمية للإستقلال (٢) .

وهنا سؤال يطرح نفسه على الساحة : " لماذا سميت الدولة السلوقية بهذا الإسم " ؟ للإجابة عن هذا التساؤل يتبين أن هذا الإسم يرجع إلى مؤسس الدولة السلوقية ، سلوقس نيكاتور (٣١٢ - ٢٨٠ ق . م) هو ابن انطيوخوس الذى يفترض أن يكون نبيلا مقدونيا ، وهو أحد كبار الضباط فى جيش الإسكندر ، وكان مكلفا بقيادة فرقة حملة الدروع فى كثير من المعارك كما قاد فى معارك أخرى فصائل فرسان الإسكندر (٣) . وفيلة ، حتى اشتهر بلقب سيد الفيلة (ελεγαν ταρχης)

ويبدو أنه كان شجاعا صائب الرأى فأصبه الاسكندر واعتمد عليه فى مهمات كثيرة ، ولما توفى الإسكندر ربايع سلوقس أخاه " فيليب ارهيدايوس " وأصبحت له قيادة فرقة الفرسان الرفقاء (٤) .وأفلح " سيلوقس " فى أن يحصل على إعتراف بحقه فى ولاية بابل فى مؤتمر

---

1 - Tarn (W .) , op .cit ., P . 11 ; Dury (V .) , petite Histoires Greeque , Paris 1870 , P . 158 .

٢ - مفيد رائف العابد : إنشاء المدن فى إطار السياسة السليوكية لهلنية سورية ، ماجستير آداب عين شمس ١٩٧١ ، ص ١٠ ؛ نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

٣ - مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقيين ، دمشق ١٩٩٣ ، ص ٤٢ .

٤ - مفيد رائف العابد : إنشاء المدن فى إطار السياسة السليوكية لهلينة سورية رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ١٩٧١ ، ص ٨ .

* - تريبار اديوس مكان فى جنوب لبنان عند منبع نهر العاصى ، يحدد بعض العلماء موقعة فى Ribla كما عند د . ابراهيم نصحى ، وأخرون فى جوسية الخراب ، وأخرون فى جوسية الجديد .

(تريباراديوس Tripardeisus) حيث إجتمع القواد لإعادة تقسيم ولايات الإمبراطورية (١) . واستطاع سلوقس أن يدعم دولته ويعمل على توسيع حدودها ، فشملت فارس حتى نهر جيحون (Oxas) فى الشمال والسند فى الجنوب (٢) . وهكذا أصبحت الدولة السلوقية تضم - تقريبا - القسم الأسيوى من إمبراطورية الإسكندر . وكانت مملكة " سلوقس " أعظم الممالك التى قامت على انقاض ممتلكات الإسكندر فى قوتها وإتساعها (٣) .

وكانت مملكة سلوقس تتكون من ثلاثة أقسام وهى : الأراضى الواقعة جنوب طوروس وهى قليقية (Cilicia) شمال سورية ، وبلاد بين النهرين وأخيرا إيران (٤) . بينما يقسم تارن الإمبراطورية السلوقية تقسيما مختلفا عن السابق إلى ثلاثة مراكز حيوية منفصلة وهى : أيونيا وعاصمتها ساريس ، وسوريا الشمالية ، ثم دولة بابل (٥) .

وفى القسم الشرقى ، كان من الطبيعى أن يتخذ سلوقس عاصمة فى مكان قريب من بابل ، وهنا نقطة إلتقاء الطرق التى نشرت الحضارة والتجارة فى أنحاء آسيا وحملت الحضارة البابلية فى يوم من الأيام إلى كل مكان (٦) . وقد أسست لهذا القسم عاصمة جديدة فى حوالى ٣٠٥ ق.م . وهى مدينة سلوقية (Seleucia) على نهر دجلة فى موضع مدينة أوبيس (Opis) العتيقة . وقُدر لهذه المدينة أن تصبح أكبر المدن الإغريقية فى آسيا . (٧) .وكان القسم الشرقى

---

١ - ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ، ص ٦٨ - ٦٩ .

٢ - و . ج . دى بورج : تراث العالم القديم ، ترجمة زكى سوس ، جـ١ ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢١٢ .

٣ - فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، مترجم إلى العربية ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢٦٠ .

4 - Bevan (E .) , op . cit ., vol . 1 , P - 206 ; Rostovtzeff(M .) , op . cit ., . 429 .

5 - Tarn (W .) , op . cit ., PP . 127 - 8 .

٦ - فاروق حافظ القاضى : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

7 - Jougeut (P .) , op . cit ., P . 354 ; Bevan (E .) , op . cit ., P . 253 .

* - تقع سلوقية على نهر دجلة على مسافة ٤٠ ميل شمال بابل وحوالى ١٥ ميل أسفل بغداد كما يحددها Bevan فى كتابه The House of seleucus , vol . 1 , P . 253

يتضمن العراق والأقاليم الشرقية ، أما القسم الغربى فكان يتضمن بلاد الشام وتوابعها ، وجعل " سلوقس " مركز إدارته فى عاصمتة الجديدة مدينة (انطاكية) التى أسسها فى عام ٣٠٠ ق.م (١) .على نهر العاص .

وكانت أنطاكية العاصمة الرئيسيه للدولة السلوقية ، ويُفترض أنها قدمت خصائص اجتماعية واقتصادية مثل الإسكندرية فى مصر ، لذا سماها سلوقس انطاكية تكريما لإسم أبيه (٢) .

كما بنى سلوقس عدة مدن أخرى منها " لاوداكية " (اللاذقية) تكريما لاسم أمه ، وسلوقية بيريه (السويدية) تكريما لاسمه هو ، وكانتا ميناءين يستخدمها فى اتصالاته مع العالم الإغريقى حتى إذا مافقد الشاطىء الغربى من آسيا الصغرى بالكامل ، " وافاميه " كانت عاصمتة العسكرية والقاعدة العسكرية (٣) ، وسميت بهذا الإسم تكريما لإسم زوجته الأميرة أباميا الفارسية (٤) .

وقد عمل سلوقس بسنة الإسكندر ، حيث احتفظ بالتقسيم الفارسى القديم أى الساترابيات ،

---

١ - فيليب حتى : (المرجع السابق) ، ص ٢٦٠ ، طه باقر : (المرجع السابق) ص ٥٩٥ .

2 - Rostovtzeff (M .) , op . cit ., P . 480 .

٣ - أحمد وصفى زكريا (المرجع السابق) ص ١٠٤ .

* سلوقية بيرية : تقع سلوقية شمالى مصب نهر العاص وغربى انطاكية عند سفح جبل كاسيوس (موسى داغ حاليا) المطل على خليج السويدية على الساحل الورى ، وسميت (بيريه) تيمنا بإسم ميناء اثينـــا البحرى بيرايوس أو اسم قرية مقدونية قديمة .

راجع : مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقيين ، دمشق ١٩٩٣ ، ص ٣٢٢ .

** تقع افاميه أو اباميه على بعد واحد وخمسين كيلومترا شمال غربى حماه

راجع : مفيد رائف العابد : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

4 - Rostovtzeff (M .) , op .cit .,P . 478 .

٥ - أحمد وصفى زكريا : (المرجع السابق) ، ص ١٠٤ .

فكانت آسيا الصغرى مثلا مقسمة إلى ثلاثة أقسام هي : " لديا " و" كاريا " و" فروجيا " الهلسبونتيه ، ونظرا لإتساع رقعة هذه الساترابيات فقد اعتمد السلوقيون على تقسيم سابق يجزىء كل واحدة من هذه الساترابيات إلى ثلاثة أو أربع إيبارخيات (eparchies) ، والتى قسمت بالتالى إلى عدد غير محدد من الهيبارخيات مع هلينة أسمائها بإضافة (ia) (١) . فى آخر كل إسم . بينما أضيفت لأسماء أجزائها وهى الإيبارخيات الأصرف (٤٧٤) وأحيانا (٤ lav) وقسمت بلاد ماوراء نهر الفرات أيضا مثل هذا التقسيم الذى يشابه التقسيمات البطلمية فى مصر (٢) فكانت عندهم الساترابية (σατραβη) والإيبارخية (έπαρχη) والهيبارخيه (ηπαρχη) وهى تقابل بالترتيب فى مصر نوموس (الإقليم) وتوبوس (المركز) وقرية (٣).

وفى عام ٢٨١ ق .م . عبر سلوقى جبال طوروس لكى يقاتل ليسيماخوس وعند (كوردبديون Kurupeidion) فى مقاطعة ليديا نشبت معركة هائلة خر فيها ليسيماخوس صريعا . واستولى سلوقس على كافة ممتلكات عدوه الأسيوية والأوربية (٤) ، كما أنه أصبح يسيطر على كافة امبراطورية الإسكندر ماعدا مصر (٥)، وكذلك أصبح سيداً لآسيا الصغرى مع الإستثناء لبونتس وبيثينيا (٦) ، ولكنه لم يكتف بذلك بل اجتاز الهلسبونت فى أواخر ٢٨١ ق .م مصمما على أن يضم مقدونيا إلى ممتلكاته إذ كان عرشها شاغرا بموت ليسيماخوس (Lysimachus) غير أن " بطلميوس كيراونوس " عاجله بضربة قاضية فى ظهره فى مطلع سنة ٢٨٠ ق .م (٧) .

---

1 - Tarn (W .) , op . cit ., PP - 130 - 10
2 - Jbid ., loc . cit ., Cary (M .) , op . cit ., P . 256 .
3 - Tarn (W .) , op . cit ., PP . 130 - 10

٤ - مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقين ، دمشق ١٩٩٣ ، ص ٦٥.

5 - Tarn (W .) ., op . cit ., P - 13 ;

- ابراهيم نصحى : (المرجع السابق) جـ١ ، ص ١٠٥ .

6 - Rostovtzeff (M .) , op . cit ., P - 429 .
7 - Appian , Sgrian wars , 62 ; Bouche - Leclercq , op . cit ., T , PP - 148 - 9 .

وبعد وفاة " سلوقس " الأول خلفه ابنه انطيوخس الأول (Antiochus I) (٢٨١ - ٢٦١ ق . م) من زوجته اباما ، وكان انطيوخس الأول منشاعظيما للمدن وصاحب أسلوب فى السياسة والإدارة (١) . ولقد واجهت (انطيوخس الأول) مشاكل داخلية عديدة ، ذلك أن بطلميوس الثاني كان يملك منطقة " كاريا " كان يهدده ، كما أن ثورة شبت بشمال سوريا (٢) . فضلا عن أن خط مواصلاته مع أوريا والبحر الأسود قد قطعه عليه " العصبة الشمالية " وتضم هرقليا وبيزنطة وخلقدونية وقيوس (Ceos) وتيوس (Teos) ومعهم " ميثريداتيس الثانى Mi + hridates " أمير بونتوس (Pontos) و" نيقوميديس الأول Nicomedes " حاكم مملكة بيثونيا ، وكلهم كان يقاتل فى سبيل استقلاله (٣) . وقد انضم إلى هذه العصبة " انتيجونوس جوناتاس " عقب هزيمته فى سنة ٢٨٠ ق . م وثورة بلاد الإغريق علية (٤) .

ثم تعرض " انطيوخوس الأول " إلى هجوم من الغال وبمساعدة من " نيقوميديس " و" ميثريداتيس " عبروا نهر الدردنيل ونهبوا وخربوا ممتلكات انطيوخس فى آسيا الصغرى ثم استقروا فى فروجيا ، ولم يستطع انطيوخس القضاء عليهم والتخلص منهم ، على الرغم من الهزيمة التى أوقعها بهم فى معركة الفيلة فى عام ٢٧٥ ق . م (٥) ولقد رأى أنه من المناسب استمالة الغال بالمال ، وذلك بدفع جزية سنوية مقابل تعهدهم بالابتعاد عن خلق المشاكل (٦) .

---

1 - Tarn (W .) op . cit ., P . 13 .

٢ - مفيد رائف العابد : (المرجع السابق) ، ص ٧١ .

٣ - مفيد رائف العابد : نفس المرجع ونفس الصفحة

٤ - ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ، ص ١٠٧ .

5 - Rostovtzeff (M .) , op . cit ., PP . 26 - 7 ;

- ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ص ١٠٨ .

٦ - مفيد رائف العابد : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

الحرب بين السلوقيين والبطالمة :

كانت بين السلوقيين والبطالمة حروب شغلت القرن الثالث ق .م . تقريباً ، فلم يستطع السلوقيون أن ينسوا حقهم فى جنوب سوريا التى احتفظ بها البطالمة ، وكان البطالمة لديهم رغبة جارفة فى الإحتفاظ بها لعدة أسباب منها :

أ - أهميتها الدفاعية كخط دفاع أول لدولتهم .

ب - أهميتها الإقتصادية والتى تتمثل فى غناها بالأخشاب والزيوت وبعض المعادن ، وكذلك منافذ الطرق التجارية على البحر المتوسط والخليج العربى وإيران

جـ - موقعها الإستراتيجى (١) .

ولقد سعى السلوقيون إستعادة جنوب سوريا للأسباب ذاتها ، وقد كان نتيجة ذلك وقوع سلسلة من الحروب المسماة بالحروب السورية بين مصر والسلوقيين ، وانتهت هذه الحروب حوالى سنة ١٩٨ ق .م بأن استعاد السلوقيون تلك الأجزاء ، بينما اكتفى البطالمة بحكم مصر وبرقة (٢) .

أما عن بداية هذا الصراع الطويل بين البطالمة والسلوقيين فلا شك أن بطلميوس الثانى كان هو البادىء بذلك الصراع الطويل ، ومن المرجح أنه بدأ العدوان عقب وفاة " سلوقس " ، وذلك استنتاجا من حال ميليتوس التى كانت تابعة للسلوقيين فى سنة ٢٨٠ ق .م (٣) ، فوقعت فى قبضة مصر فى عام ٢٧٩ ق .م ، وتسمى هذه الحرب بإسم حرب قاريا أو حرب دمشق (٤) . حيث استولى بطلميوسفى هذه الحرب على دمشق وشاطىء فينيقيا الشمالى حتى " أرادوس "، وفى عام سنة ٢٧٩ ق .م . تم الصلح بين انطيوخس وبطلميوس الثانى (٥) .

---

1 - Tarn (W .) , op . cit ., P . 16 .
2 - Jbid ., loc . cit - ;
- إبراهيم نصحى (المرجع السابق) ص ١٠٩ - ١١٠ نقولا زيادة : (المرجع السابق) ، ص ٦٦ .
3 - Tarn (W .) , op . cit ., P . 16 .
٤ - أبراهيم نصحى (المرجع السابق) . جـ١ ، ص ١١١ .
5 - Cary (M .) , op . cit - , PP - 85 - 387 .

وأعقبت الحرب السابقة (١) ، " الحرب السوريه الأولى " عندما غزا جيش " فيلادلفوس " سورية السلوقية عام ٢٧٦ ق .م . ، وهزم انطيوخس الأول القوات البطلمية واسترد دمشق (٢) . وتزوج بطلميوس أخته أرسينوى الثانية (٣) ، ويرجع تارن السبب والمبرر وراء زواج أرسينوى الثانية من بطلميوس الثانى فى عام ٢٧٦ ق .م . إلى هزيمة فى سورية (٤) .أمام أنطيوخس الأول ، وبعد الزواج أحالت أرسينوى الحرب الخاسرة إلى نصر جارف واستولت سنة (٢٧٣ أو ٢٧٢ ق . م) على فينيقية كلها ومعظم ساحل آسيا من (ميليتوس) إلى نهر كاليكا دنوس بقيليقيا (٥) .

وفيما بين أكتوبر ٢٦٢ وأبريل ٢٦١ ق .م مات انطيوخس الأول بعد أن استولت مصر منه على مدينة " إفسوس " . وخلفه إبنه الأصغر انطيوخس الثانى (٢٦١ - ٢٤٦ ق .م) وكان أميرا نشيطاوضع شئون دولته فى نصابها (٦) . وعقد انطيوخس الثانى وأنتيجونوس تحالفا بينهما للإنتقام من بطلميوس الثانى وذلك شن الحرب السورية الثانية (٢٥٩ - ٢٥٥ ق . م) وكانت نتيجة هذه الحرب إسترداد " انطيوخس " إفسوس وميليتوس فى عام ٢٥٨ ق .م .

---

1 - Otto (W .) , Beitrage zur Seleukiden geschi - chte , 1928 , ch . I .

* يرى .. ابراهيم نصحى بأن أحدث هذه الحرب وقعت سنة ٢٧٥ ق .م بينما يرى تارن بأن الحرب السورية الأولى كانت سنة ٢٧٦ ق .م .

2 - Tarn (W .) , loc . cit . ;

* ابراهيم نصحى : (المرجع السابق) جـ١ نفس الصفحة .

٣ - غادة محمد على : مصاهرات ملوك البطالمة ، رسالة ماجستير غير منشورة آداب المنيا ١٩٩٥ ، ص ١٣ .

4 - Tarn (W .) , Journal of Hellenic Studies (J . H . S .) X Lvi , 1926 , The First Sgrian wars , P . 161 .

5 - Tarn (W .) , Hellenistic Civilisation , P . 16 .

6 - Jbid ., P . 17 ;

* ابراهيم نصحى ، (المرجع السابق) ج ١ ، ص ١٢٤ .

وأطلق مواطنوها على أنطيوخس لقب " إله " (١) ثم استعاد جزءاً كبيراً من ساحل آسيا الصغرى ، وبلاد الفينيقيين حتى بيروت (٢) .

وفى سنة ٢٥٣ ق . م تمكن بطلميوس فيلادلفوس من كسب " انطيوخس " الثانى إلى جانبه بالمصاهرة (٣) فاستبعد الأخير زوجته لاوديقى " Laodice ، وتزوج من ابنه فيلادلفوس برنيقى من أرسينوى الأولى (٤) . حتى إذا توفى انطيوخس الثانى فى سنة (٢٤٧ - ٢٤٦ ق . م) ، تصارع على وراثة العرش كل من الملكتين المنافستين ، فقد رغبت لاوديقى - زوجة انطيوخس الأولى التى تم استبعادها إكراما للأميرة البطلمية - أن تقيم ابنها ملكا (والذى أصبح بعد ذلك سلوقس الثانى) ، على حين أن " برنيقى " كانت تأمل أن تكفل وراثة العرش لإبنها الصغير . وأرسلت قوة بحرية بطلمية لتأييد مطالب برنيقى من أجل ابنها ، واحتل الأسطول سلوقية بيريه ، ثم تقدم الأسطول فى نهر العاص حتى وقف أمام انطاكية ، وقام " بطلميوس الثانى " بإستعراض عسكرى فى تلك المملكة المفككة الأوصال والمنقسمة على نفسها ، حتى بلغ مدينة سلوقية على نهر دجلة (٥) .

وقد أخذ الإنحلال يدب فى امبراطورية السلوقيين منذ عهد انطيوخس الثانى ، فانفصلت عنها " باقتريا " (حوالى عام ٢٥٠ ق . م) ثم " بارثيا Parthia " فى عام ٢٤٧ ق .م ثم المرحلة الثانية فى عام ٢٣٥ ق .م . وأرمينيا حوالى عام ٢٣٠ ق .م (٦) .ومن ناحية أخرى شرع بطلميوس فى الإستيلاء على سورية بأسرها ، واحتل جنوده أنطاكية لمدة سنتين من عام ٢٤٦

---

1 - Appian , syrian wars , 65 .
2 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 17 .

٣ - غادة محمد على : (المرجع السابق) ، ص ٥٣ .

4 - Tarn , op . cit ., P - 18 .
5 - Tarn (W .) op . cit ., loc . cit .

٦ - ابراهيم نصحى : (المرجع السابق) ، جـ١ ، ص ١٣٨ .

إلى عـام ٢٤٤ ق.م ولكن " سلوقس الثـانى " الشـاب نجح فى إسترداد انطاكيـة سـنة ٢٤٤ ق.م (١) .كما أنه تمكن من استرداد قيلقيا وشمال سورية ، كما استرد الشرق ، ولكنه أضـفـق فـــى استرجاع " سلوقية بيرية " بحكـم المناعـة الطبيعيـة لموقعهـا ، وكذلـك فشل فـى اسـتـعادة بـلاد الفينقيين ، ثم فقد أيضا ساحل آسيا الصغرى ، ومنه مد بطلميوس بعد ذلك ملكه حتى احتل ساحل تراقيا ، (٢) . وهذه الحرب التى قامت بين سلوقس وبطلميـوس تسمى الحرب السورية الثالثة أو الحرب اللاوديقية (٣) .

حرب الأخوين :

لقـد سـاءت حـال امبراطوريـة السـلوقيين ، وقطعـت الخلافـات أوصــال أسـرة السـلوقيين ، وأعجزتهـا الحروب الأهليـة التى نشبت بين الأخوين " سـلوقس الثـانى " وأخيـه " انطيوخس هيراكس " (٤) . الذى تحـالف مع الغـال ، وأنزلوا بأخيه سلوقس هزيمة عند أنقرة التى كـان من نتائجها :

عقد الصلح والتنـازل نهائيـا عن آسـيا الصـغـرى لأنطيوخس عـام ٢٣٦ ق.م (٥) ، ثـم آلـت فـى النهاية إلى مملكة الأتاليين (٦) .

وقد مـات سلوقس الثـانى فى سنة ٢٢٦ ق . م (٧) . متأثرا بجراح أصابته أثر سقوطه عن

---

1 - Polybius, V, 58 ;

* جلانفيل داونى : (المرجع السابق) ، ص ٧٥ .

2 - Tarn (W.) op. cit., loc. cit.

٣ - ابراهيم نصحى : (المرجع السابق) جـ١ ، ص ١٣٣ .

٤ - مفيد رائف العابد : (المرجع السابق) ، ص ٨٦ .

5 - Tarn (W.), op. cit., P. 18 ;

* ابراهيو نصحى : (المرجع السابق) ، جـ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

٦ - جلانفيل دوانى : (المرجع السابق) ، ص ٧٥ .

7 - Bevan (E.), op. cit., P. 203 .

ظهر جوادة (١) ، وهو يحاول إعادة فتح :" بارثيا Parthia " كما مات ابنه سلوقس الثالث فى عام ٢٢٣ ق .م . دون أن يتم تسوية الحساب مع " أتالوس الأول (٢) حيث قتله عددا من ضباطه بزعامة (نيكانور) (٣) .

وبعد موت " سلوقس الثالث " نادى " أخايوس " (Achaeos) بأنطيوخس ملكا فى سنة ٢٢٣ ق . م حيث أن " سلوقس الثالث " قدعهد إليه بحكم بابل فى عام ٢٦٦ ق . م (٤) . وعندما تولى " انطيوخس الثالث " الملك ، كانت المملكة السلوقية دولة محطمة واهية القوى . لذلك عزم " انطيوخس الثالث " على إعادة بنائها واسترداد مجدها ، فاستبقى " هيرمياس " فى منصبه كبيرا للوزراء ، وأسند إلى " أخايوس " مهمة رد أتالوس على أعقابه ، وأسند ولايتى ميديا وفارس إلى حاكمين شبه مستقلين وهى مولون (Molon) وشقيقه الاسكندر (٥) .

وبعد ثورة مولون وشقيقه الإسكندر فى سنة ٢٢٢ ق .م (٦) توجه الملك على رأس جيشه بإتجاه الشرق أولا : ليسترد المقاطعات الإيرانية والقضاء على مولون وشقيقه ، وكان النجاح حليفة فى آخر سنة ٢٢٠ ق . م .

وثانياً : عبور جيشه جبال " هندكوش " ونزوله وادى كابل وتوغله جنوبيا حتى أصبح على أبواب الهند (٧) .

وبمشارف عام ٢٢٠ ق .م كان ابن عمه " أخايوس " قد استرد من " أتالوس " كل ما كان قد

---

١ - مفيد رائف العابد : (المرجع السابق) ، ص ٩٠ .

2 - Tarn (W .) , op . cit ., loc . cit .

٣ - مفيد رائف العابد (المرجع السابق) ، ص ٩٠ .

4 - Tarn (W .) , op . cit , loc . cit .

5 - Polybius , V , 40 .

٦ - مفيد رائف العابد : (المرجع السابق) ، ص ٩٢ .

7 - Bevan (E .) , op . cit ., vol . TT , P . 23 ;

* فيليب حتى (المرجع السابق) ، ص ٢٦٤ ، ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ج١ ، ص ١٤٢ - ١٤٣

كسبه من ممتلكات السلوقيين بآسيا الصغرى ، ماعدا بعض المدن فى إقليم طرواده (١) . ومـــا إن أصبحت له السيادة التامة على مملكته ، وبعد وفاة " يورجتيس " انتهز الفرصة لتخليص سورية الجنوبية (فلسطين) من يد " بطلميوس فيلوباتور " . ولكن الحصون السورية عاقته ، واستطاع " سوسيبيوس " وزير بطلميوس إيقافه عن مواصلة الحرب بأن تظاهر بخدعة وهى ان انطيوخس يستطيع أن يحصل على جوف سوريا بمفاوضات سلمية ، فى مقابل هدنة لمدة أربعة شهور . وأتاح " سوسيبيوس " بذلك لنفسه فرصة استقدام بعض القواد من البلاد اليونانية مثل " اندروماخوس " و " بولوقراتيس " ، وجيش بإيجاز من فيلوباتور نحو عشرين ألفا من المصريين ، وسلحهم ودربهم على النهج المقدونى ، وكون منهم فيلق مشاة كامل العدة (٢) . وانتهت هذه الحرب المسماة بالحرب السورية الرابعة بمعركة (رفح) فى ٢٢ يونية عام ٢١٧ ق . م . وفيها انتصر " فيلوباتور " واحتفظ بسوريا الجنوبية وفينيقيا (٣) .

ولكن " انطيوخس " لم يستسلم لهزيمة فى رفح ، بل ساد قدما فى إعادة بناء المملكة السلوقية . وإضطر انطيوخس إلى التحالف مع أتالوس ، للقضاء على ابن عمه " أخايوس " الذى تعاظم خطره بشكل مريع يهدد بقاء امبراطورية انطيوخس . وفى عام ٢١٦ - ٢١٥ ق . م . حاصر " انطيوخس " " أخايوس " فى ساردیس ، وسلمه " بوليس الكريتى " إلى " أنطيوخس " الذى أمر أن تنفذ فى ابن عمه العادة المحلية المتبعة فى معاقبة الخارجين عن القانون وهى تقطيع الأطراف والرأس وصلب الجسد (٤) . واسترد انطيوخس معظم الممتلكات السلوقية فى آسيا الصغرى (٥) .

---

1 - Tarn (W .) , op .cit ., P . 21 .
2 - Polybius , V, 57,1- 8 ; Jou geut (P .) , op . cit ., - 217 ; Cary (M .) , op .cit ., P . 92 ,
Tarn , Jbid ., P . 22 .
3 - Tarb (W .) , op . cit ., P - 22 ;

* فيليب حتى (المرجع السابق) ، ص ٢٦٥ .

٤ - مفيد رائف العابد (المرجع السابق) ، ص ١٠٤ .

٥ - ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

وفى عام ٢٠٢ ق.م. اجتاحت جيوش " انطيوخس " جنوب سوريا (وتلك هى الحرب السورية الخامسة) ، واستطاع " انطيوخس " أن يصل إلى غزة ، ولكن هذه المدينة قاومت " انطيوخس " مقاومة شديدة إلا أنها لم تستطع الصمود فسقطت فى يده وأتى على الأخضر واليابس (١) (شتاء عام ٢٠١ - ٢٠٠ ق.م) وهزم " انطيوخس " " سقوباس " Skopas " (الوصى الجديد على العرش البطلمى بعد اجاثوكلس ، هزيمة فادحة فى موقعة (بانيون Panion) (٢) . (التى يعتقد أنها باينياس فى البقاع عند منبع نهر الأردن) فى سنة ١٩٨ ق. م (٣) . ثم استرد بيت المقدس ونشر نفوذه على كل فلسطين حتى صحراء سيناء (٤) . وبذلك صار انطيوخس الثالث سيدا على المنطقة بأكملها (بما فى ذلك بلاد الفينيقيين) التى احتفظت بها أسرته (٥) .

وبعد أن أدرك أنطيوخس أن هزيمة فيليب على يد روما أصبحت محققة ، وبدلا من أن يحديد العون لفيليب ، راح طوال عام ١٩٧ ق . م . يواصل فتح آسيا الصغرى وتراقيا من قيليقيا إلى الهلسبونت ويستعيد ممتلكاته الوراثية فى آسيا الصغرى وتراقيا ، كما أنه استطاع أن يعيد إلى بلاده كل ما استولى عليه " أتالوس " منها (٦) . وفى صيف سنة ١٩٦ ق . م . استولى على " مادوتوس Madytos " و " سيتوس " وكل شبه جزيرة غاليبولى وشاطىء تراقيا (٧)

---

1 - Polybius , XVI , 22 a .
2 - Polybius , XVI , 18 - 19 ; cf . cary (M .) , op . cit , P . 93 ; Tarn(W .) , op . cit ., P - 24 ; Bevan (E .) , op . cit ., vol . II , P - 37 .
٣ - مفيد رائف العابد (المرجع السابق) ، ص١٠٩ .
4 - Polybius , XVI , 39 , 3 - 4 ; Bevan (E .) , op . cit ., loc . cit .
5 - Tarn (W .) , op . cit ., P . 24 .
6 - Tarn (W .) , Jbid ., P - 26 .
7 - Polybius , X VIII , 51 , 3 .

وقرر انطيوخس كسب ود جيرانه وتقوية نفسه فى مواجهة روما بعد أن وجهت روما له إنذاراً متضمناً الآتى : -

أ - أعلنت حرية بلاد الإغريق فى سنة ١٩٦ ق.م .

ب - أبلغت سفراءه بضرورة الإبتعاد عن المدن الإغريقية المستقلة فى أوربا وفى آسيا .

جـ - أن يعيد كل ما أخذه من ممتلكات فيليب الخامس وبطلميوس الخامس .

د - ألا يدخل أوربا على رأس جيش (١) .

فوافق " انطيوخس " على عقد معاهدة صلح مع مصر سنة ١٩٥ ق . م ، وفى سنة ١٩٣ - ١٩٢ ق.م . زوج " انطيوخس " ابنته كيلوباترا الأولى من بطلميوس الخامس (٢) . وزوج إبنته الأخرى إلى " أرياراثيس الرابع " ملك " كابادوكيا " ، وعرض على " يومنيس " ملك برجام الزواج من ابنته الثالثة ، غير أنه رفض خوفا من إغضاب روما (٣) . ، وضمن لنفسه محالفة كل من بيثينيا وكابادوكيا وغلاطية (٤) .

وتجرأ انطيوخس بدخول الحرب لصلحة اليونان حيث كان الرومان يتوسعون ، ولكنه أصيب بهزيمة على ايديهم عند " ثرموبيلاى " فى سنة ١٩١ ق.م ، ودُمر جيش انطيوخس ونجا الملك بمفرده - تقريبا - وفر إلى آسيا (٥) . وهزمه الرومان فى العام الثانى للمرة الثانية قرب " مغنيزيا " فى غرب آسيا الصغرى ، ونتيجة لذلك اضطر فى عام ١٨٨ ق.م إلى عقد معاهدة " أباميا Apamea " مع روما . وبمقتضى هذه المعاهدة ألزم انطيوخس على التنازل عن كل أملاكه السلوقية بآسيا الصغرى عدا " قليقيا " وأن يتخلى عن أفياله واسطوله وأن يدفع تعويضاً كبيراً (٦) . وهكذا فقد " انطيوخس " إلى الأبد آسيا الصغرى بما فيها من طرق برية وتجارية

---

1 - Polybius , X VIII , 47 , 1 - 3 .
2 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 26 .
٣ - ابراهيم نصحى ، (المرجع السابق) ، جـ١ ، ص١٨٦ .
4 - Tarn (W .) , op . cit ., P 2.7 .
5 - Jbid ., PP - 27 - 8 .
6 - Appian , Syrian Wars , 18 - 20 ; إبراهيم نصحى (المرجع السابق) جـ١ ص١٨٩

وبما تقدمه من اتصال مباشر مع الحضارة اليونانية (١) .

وبالرغم من كل مافقده " انطيوخس " ، إلا أنه مازال يحتفظ بإمبراطورية عظيمة ، حيث لقى حتفه فى سنة ١٨٧ ق.م . وهو يحاول نهب معبد بإيليماس (عيلام) (٢) . وتبوأ العرش ابنه الأصغر الذى عرف فى التاريخ باسم (سلوقس الرابع) (١٨٧ - ١٧٥ ق . م) ، وهذا قصر نشاطه على الشرق ، وأن يحترم معاهدة " أباميا " ودعم امبراطوريته بحيث تكون لديها القوة الكافية لمقاومة أية محاولة من جانب روما للتدخل فى شئونه الداخلية (٣) . ويبدو أن سلوقس الرابع كان ضعيف الشخصية مما أدى إلى اغتياله فى سنة ١٧٥ ق.م . على يد وزيره " هيليودوروس Heliodoros " (٤) . تاركا وراءه ابنين ديمتريوس وأخوه الأصغر انطيوخس (٥) . ولما كان " ديمتريوس " رهينة فى روما خلفا لعمه " انطيوخس الرابع " فأعلن " هيليودوروس " انطيوخس الصغير ملكا تحت وصايته (٦) .

وفى نفس سنة ١٧٥ ق.م . ارتقى العرش الملك المقتدر " انطيوخس الرابع ابيفانيس Epiphanes " (٧) . بعد أن قضى على " هيليودوروس " وأشرك معه بن أخيه الأصغر انطيوخس الخامس . وكان معجباً متحمساً بكل ماهو إغريقى ، وزاد مساحة مدينة " انطاكية Antioch " وقد غزا انطيوخس مصر فى سنة ١٦٩ ق.م واستولى على " بلوزيون (الفرما) " (٨) . ثم تم تقدم إلى منف (٩) . وهكذا نجح فيما فشل فيه برديقاس وأنتيجونوس وانطيوخس العظيم ، إذ

---

١ - فيليب حتى (المرجع السابق) ، ص ٢٦٦ .

2 - Tarn (W.) , op .cit ., P - 29 .

٣ - ابراهيم نصحى ، (المرجع السابق) جا ، ص ٢٠٠ .

مفيد رائف العابد : (المرجع السابق) ص ١٢٠ .

4 - Tern (W .) , op . cit ., loc . cit . ;

5 - Bevan (E .) , Syria and the Jews , C . A . H ., vol . vIII , Cambridge 1930 , P - 496 .

6 - Jbid ., P . 497 .

7 - Appian , Syrian wars , 45 ; Tarn (W .) , op .cit ., P . 30

8 - Diod ., XXX , 14 .

9 - Tarn (W .) , op . cit ., P . 34 .

أنه لم يستطع أى قائد جيش غزو مصر من سوريا منذ الإسكندر الأكبر، أى منذ مدة تزيد على قرن ونصف القرن (١) . ويسط حمايته على بطلميوس السادس (٢) . وفى سنة ١٦٩ ق.م. زحف انطيوخس من منف على الإسكندرية ، لكن المدينة أعدت العدة للدفاع عنها ، وتصادف أثناء حصار أنطيوخس الإسكندرية وجود عدد من الفراء والبعثات الدينية من المدن الإغريقية فى العاصمة البطلمية ، وقد إتفقت الأراء على ضرورة مشاركة كل أولئك السفراء فى مفاوضة انطيوخس فى عقد الصلح ، وأعلن انطيوخس موافقة على الصلح بمجرد قبول المصريين الملك الشرعى لمصر" بطلميوس فيلوميتور Ptolemy Philometor " (٣)، وانسحب انطيوخس فجأة قبل أن يقطف ثمار حملته الناجحة على مصر، تاركا حامية فى بلوزيون وبطلميوس الصغير فى الإسكندرية ، وفيلوميتور فى منف ، ويبدو أن انطيوخس كان مطمئنا على أن نزاع متوقع بين بطلميوس السادس وأخيه الأصغر يبرر تدخله مرة أخرى فى مصر (٤) .

وعاود انطيوخس زحفه مرة ثانية على مصر فى سنة ١٦٨ ق.م . ليجنى فيها ثمار حملته السابقة ، وأرسل اسطوله للإستيلاء على قبرص ، وأرسل بلاط الإسكندرية استغاثة إلى روما (٥) ، وجاء " بوبيليوس لايناس " Popilius Laenas " مبعوث روما وسلم إلى انطيوخس مطالب مجلس الشيوخ الرومانى (٦) القاضية بالإنسحاب من مصر، وخط بعصاة كانت فى يده دائرة حول الملك وطلب إليه أن يرد على الرسالة قبل أن يخطو خارج تلك الدائرة ، فأعلن

---

1 - Bevan (E .) , op . cit ., P . 505 ; Bouche - Leclercq , op . cit . , II , P . 11 ; Bevan (E .) , The House of Seleucus , Vol . 1 , P - 284 .
2 - Tarn (W .) , op .cit ., P - 34 .
3 - Bevan (E .) , Syria and the Jews , C , A . H . Vim , P - 506 .
٤ - ابراهيم نصحى : (المرجع السابق) ، جـ١ ، ص٢٠٨ .
5 - Bevan (E .) , op .cit ., PP - 506 - 7
6 - Appian , Syrian Wars , 66 .

الملك بأنه سيلبى طلب الرومان (١) ، لأن انطيوخس لم يكن يرمى إلى تحدى روما (٢) . وبدأ انطيوخس بإصدار أوامره للإنسحاب من مصر (٣) .وأعد جيشا للزحف شرقا ضد البارثيين (٤) لإعادة غزو باكتريا بهدف تحقيق حلم حياته (٥) .

وفى عام ١٦٣ ق . م توفى انطيوخس فى "جاباى " (Gabae = أصفهان) فى ميديا (٦) . بعد أن كلت جهوده بالنجاح ، فذهب بموته كل محاولة لإمبراطوريته فى القيام بأى دور آخر كدولة عالمية (٧) . وخلفه ابنه انطيوخوس الخامس ، وعندئذ تنازع على السلطان الوصى الفعلى على الملك الطفل " لوسياس " وأحد قادة انطيوخس الرابع المصاحب له فى حملته ويدعى " فيليب Philip " ، ولكن انتصر عليه " لوسياس " وفر فيليب إلى مصر . وعندما علم " ديمتريوس " الإبن الأكبر لسلوقس الرابع بوفاة " انطيوخس إبيفانس " هرب من روما (٨) بمساعدة " بوليبيوس " * (٩) فى عام ١٦٣ ق .م ، وجاء ليحكم سوريا ، ويبدو أن بعضا ممن أرسلهم ديمتريوس لتمهيد عودته اعلاميا قد نجحوا فى ذلك ، فما انتشرت أخبار وصوله حتى هتف المدينون فى جميع المدن الكبرى له كما قبض الجيش فى انطاكية على أبناء انطيوخس الرابع ولوسياس ، وعندما وصل ديمتريوس إلى انطاكية أمر بإعدامهم ، واسترد فى عام ١٦٢ ق . م . العرش الذى كان عمه انطيوخس الرابع قد سلبه منه (١٠) . واستولى على التاج باسم

---

* ابراهيم نصحى : (المرجع السابق) ، جـ١ ، ص ٢١١

1 - Appian , Jbid .,

2 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 34 .

3 - Appian , Syrian Wars , 66 .

٤ - ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ، جـ١ ، ص ٢٢٢ .

5 - Tarn (W .) , op .cit ., P - 34 .

6 - Bevan (E .) , C . A . H . VIII , P - 514 .

7 - Tarn (W .) op . cit , loc . cit .

8 - Bevan (E .) C . A . H . VIII , P . 517 .

9 - Tern (W .) , op .cit ., P - 35 .

10 - Appian , Syrian Wars , 47 .

ديمتريوس الأول سوتير (١) .

ولقد حقق ديمتريوس نشاطا كبيرا فى الحكم : فاسترد بلاد بابل من القائد " تيمارخوس " الذى ثار عليه من قبل واعترفت به روما (٢) . كما أنه عُين ملكاً جديداً فى كابا دوكيا محل عدوه " ارياراثيس الخامس Ariarathes " (٣) . غير أنه كان غير محبوب بين رعاياه (٤) . وما وافى عام ١٥٠ ق.م حتى كان هناك ثلاث ملوك جيران ديمتريوس أصبحوا أعداءاً له وهم " أتالوس الثانى Attalus " ملك برجامة Pergamun " و" أرياراثيس الخامس " ملك كبادوكيا " " وبطلميوس فيلوميتور" ملك مصر (٥) .

وفى نفس الوقت قدمت برجامة شخصا يطالب بعرش سوريا ، وكان يدعى " بالاس Balas " ، وصرح أتالوس بأنه فى الحقيقة ابن الملك الأخير(انطيوخس الرابع) ، واتخذ لنفسه اسم الإسكندر وأقامه " أتالوس " فى قيليقية (Cilicia) ما بين عام ١٥٨ - ١٥٣ ق .م . ليهدد عرش ديمتريوس (٦) . فاعترفت به كل من روما وفيلوميتور فى (شتاء عام ١٥٣ - ١٥٢ ق . م) ملكاً شرعياً لسوريا ، وغزا " اسكندر" سوريا بمساعدة مصر (٧) . ، وفى النهاية هُزم " ديمتريوس " بعد أن حارب وجالد جلاداً لاهوادة فيه حتى قتله " اسكندر بالاس " فى صيف ١٥٠ ق.م وأصبح " بالاس " ملكاً على كل من سوريا وبابل (٨) .

---

* ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ، ص ٢٢٢

1 - Bevan (E .) , op .cit ., P . 518 ;
2 - Appian , Syrian wars , 47 .
3 - Appian , Syrian wars , 47 .
4 - Tarn (W .) op . cit ., P . 35 .
5 - Bevan (E .) , op . cit ., P . 521 .
6 - Jbid ., P . 522 .
7 - Tarn (W .) ., op . cit ., loc . cit .
8 - Bevan (E .) , op . cit ., 523 .

وما ان استوى " اسكندر " على عرشه حتى دعى انصاره وأركان الدولة البطلمية الى مدينة عكا لحضور حفل زفافه على " كيلوباترا ثيا Cleopatra Thea " ابنة حليفه بطلميوس السادس فيلوميتور(١). عام (١٥٠ - ١٤٩ ق.م) . وفى الحفل ظهر " يوناثان المكابى " بالرداء القرمزى (وكان رداء أصدقاء الملك من المرتبة الأولى) ، فكان هذا الظهور بمثابة انتصار باهر لليهود المحافظين (٢) .

ولم يحتج " بالاس " إلى وقت طويل لإظهار عدم جدارته بالعرش الذى آل إليه ، ومالبث أن عاد ديمتريوس الثانى إلى البلاد ومعه مرتزقه من كريت ، وأخذ ينازعه على العرش (٣) . واحتل " فيلوميتور " بنفسه الساحل السورى (٤) . وتختلف المصادر حول نوايا فيلوميتور ، فيذكر ديودرور (٥) . أن نيته كانت فى الأصل مساعدة زوج إبنته الاسكندر ضد ديمتريوس الثانى . بينما يروى الكتاب الأول للمكابيين (٦) . أن فيلوميتور جاء لمساعدة الاسكندر المقهور لكنه خانه وانضم إلى " ديمتريوس " . ولكن " فيلوميتور " يصعب إتهامه بالخداع والفسق لما يتصف به من خلق ويعتقد أنه جاء لمساعدة " بالاس " . وانضم فيلوميتور إلى ديمتريوس الثانى ووعده بعرش سورية وبابل ويد إبنته كيلوباترا ثيا ، زوجة بالاس ، مقابل تنازله عن جوف سوريا لمصر (٧) .

وفى أثناء ذلك هرب " بالاس " إلى قيليقية ، بينما دخل " بطلميوس " أنطاكية ، وعرض الأنطاكيون العرش على بطلميوس رغبة فى التخلص من المنازعات الأسرية ، أولا ، وبحجة

---

1 - Tarn (W .) , op . cit ., P . 35 .
2 - Bevan (E .) , op .cit ., P . 524 ; Bouche - Leclercq ,op . cit ., II , PP . 46 - 9;

* المكابيين الأولى : ١٠ - ٤٩ - ٦٦ .

٣ - إبراهيم نصحى (المرجع السابق) جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

4 - Tarn (W .) , op .cit ., loc . cit .
5 - Diod., XXX II , 9 .

٦ - المكابيين الأول : ١١ - ١ - ١٨ .

٧ - ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ، ص ٢٢٥ .

كونه سلوقيا من ناحية أمه (ابنة انطيوخس الثالث) رفض بطلميوس خشية إغضاب روما ، وحث الاهالى على قبول ديمتريوس الثانى ملكا . وأعد " بالاس " جيشا وزحف على شمال سورية من قليقية ، بينما اتحدت قوات " بطلميوس " وديمتريوس الثانى " وتقابل الجيشان على ضفاف نهر " أونيوباراس Oenoparas " ، ولقد حقق بطلميوس وديمتيريوس إنتصارات غير أن بطلميوس جُرح جرحا مميتا ، (١) . ولكنه لم يمت قبل أن يرى رأس زوج إبنته " بالاس " فى صيف ١٤٥ ق . م(٢) .

وحينما أستتب الأمر لديميتريوس الثانى ، أمر بتسريح الجنود السورية من الجيش (٣) . ، والإقتصار على الإحتفاظ ببعض مرتزقة الكريتيين بزعامة " لاشنس " فانتشر بين أهل أنطاكية الحق لهذا الحكم ، وفى نفس الوقت العطف على الجنود المسرحين ، وازداد شعور الغضب والإستياء من " ديميتريوس " الثانى (٤) . وعندما شعر الملك بذلك أمر الجنود المسرحين بتسليم أسلحتهم ، وكلف الجنود الكريتيين بتنفيذ هذا الأمر بالقوة ، وفى أثناء تنفيذهم لهذا الأمر قتلوا النساء والأطفال (٥) . فثار السوريون على الفور ضد " ديميتريوس الثانى " وعند ذلك ترجم أحد القادة العسكريين ويدعى " ديودوتوس " حقد السوريين وكرههم بإعلانه " انطيوخس بن اسكندر بالاس " وكان رهينة عند أحد شيوخ العرب ملكا باسم " انطيوخس السادس " (٦) . فى مدينة أفامية السورية . وبقى " ديودوتوس " ثلاث سنوات وصى على عرش " انطيوخس السادس " ولما ذادت مكانته وعظم شأنه عزل " انطيوخس السادس "

---

1 - Bevan (E .) , C . A . H . VIII , P . 525 .
2 - Bevan (E .) , The House of Seleucus , vol . 1 . PP .304 - 5 ; Bouche - Leclercq , op .cit ., II , PP . 49 - 53 .
٣ - مفيد رائف العابد : (المرجع السابق) ، ص ١٣٥ .
4 - Bevan (E .) , C . A . H YIII , P - 525 .
٥ - جلانفيل دوانى (المرجع السابق) ، ص ٨٦ .
6 - Appian , Syrian wars , 68 ; Tarn (W .) , op . cit ., P - 35 .

وملك وحده فى سنة ١٤٢ ق.م ولقب بلقبُ تريفون " Tryphon " (١). ولم يستطع ديمتريوس أن يبعده عن الملك ، فترك زوجته " كيلوباترائيا " تقوم بشئون الملك بدله بسورية واتجه بجيوشه شرقا (٢). حيث كان " ميثريداتيس الأول " دخل اقليم بابل واستولى على سلوقية دجلة العاصمة الشرقية للدولة السلوقية (٣).

ورغم النجاح الذى حققه " ديمتريوس " فى المرحلة الأولى من الحرب فانه لم يتمكن من متابعته وأدت حيلة دبرها ميثريداتيس إلى أسر ديمتريوس وتفرق جيشه . ولكن ميثريداتيس أكرم أسيره وزوجه من ابنته واحتفظ به كورقة يلعب بها وقت الحاجة (٤).

وعندما علم انطيوخس بأخبار سقوط " ديمتريوس " فى الأسر لدى ميثريداتيس ، سارع إلى اعداد جيش وأسطول وجاء مسرعاً إلى سورية ، وأخذ على عاتقه مهمة استعادة السلطة السلوقية المسلوبة من الأرض (٥).

وكان انطيوخس السابع يورجيتيس Antiochus VII Euergetes الملقب " بسيدتيس Sidetes " أخر الملوك الأقوياء من الأسرة الملكية القديمة ، وفى بداية حكمه قبل ربيع ١٣٨ ق.م . كان عمره عشرين عاما فقط ، وتزوج من " كيلوباترا ثيا " بإعتباره الزوج الثالث فى حياتها ، ثم قضى على " تريفون " فى عام ١٣٨ ق.م (٦). ، ووحد مملكته وشد من قوتها وأخضع المدن والأقاليم التى يحكمها اليهود ، ثم عبر الفرات فى النهاية بجيش كبير ، واشتبك مع القوات البارثيه وهزمها فى ثلاث معارك (٧). وطرد فراتيس ملك البارثيين خارج ميديا (٨). وفى

---

* أحمد وصفى زكريا (المرجع السابق) ، ص ١٠٦ .

1 - Appian , Syrian wars , 68 ;

2 - Tarn (W .) , op .cit ., P - 36 .

3 - Bevan (E .) , C . A . H. VIII , P . 528 .

4 - Bevan (E .) , op . cit ., P - 528 .

٥ - مفيد رائف العابد (المرجع السابق) ، ص ١٣٩ .

6 - Bevan (E .) , op . cit ., P . 529 .

٧ - مفيد رائف العابد (المرجع السابق) ، ص ١٤١ .

8 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 36 .

عام ١٢٩ ق.م دبر عدد من عملاء فراتيس مكيدة كبرى حينما تمكنوا من شراء ضمير أحد قادة انطيوخس المدعو اثينايوس تمكن بواسطتها من الإيقاع بانطيوخس منفردا والقضاء عليه وأسر معظم قواته (١).

وبعد وفاة " سيديتيس " استمر حكم السلوقيين ستة وأربعين عاما، ولكن دولتهم أصابها الوهن ففقدت قوما جيني والرها (٢). ونشبت حروب أهلية عنيفة لانهاية لها بين الملوك المتنافسين على ما تبقى من ميراث مملكة السلوقيين. ومن هذه الأحداث المؤلمة طرد انطيوخس الثامن (Grupus = ذو الأنف الأقنى) ابن ديمتريوس الثانى وثيا فى عام ١٢٣ - ١٢٢ ق.م. الإسكندر الثانى الملقب فى الأرامية (زابيناس Zabinas) وتعنى المشترى، ثم دخل الصراع " انطيوخس التاسع "، ولقب نفسه بعد نجاحه فى اقتناص السلطة من أخيه بلقب المحب لوالده فى حين أطلق عليه السوريون لقب " الكوزيكى " على اسم المدينة التى قدم منها وهى " كوزيكوس Kyzikos "، وبدأ نزاع أسرى مرير بين أبناء كل منهما (٣). واضطرت المدن الكبيرة السورية أن ترعى شئونها بنفسها، كولايات مستقلة بذاتها تحارب أو لا تحارب فهى صاحبة القرار، وذهب الزعماء المحليون (الوطنيون) من سوريين أو أعراب يؤسسون الإمارات الأقل هيلنية (٤)، وكان الإتيوريون (Ituraeans) سكان لبناء يغيرون حيث يشاءون (٥)، وأصبح هناك قوتين من الأبناء الأصليين لا بأس بها وهما النبط واليهود (٦).

وتمثلت قوة الأنباط فى قيامهم بطرد بقايا الأدوميين من منطقة التبراء قبل عام ٣١٢ ق.م ثم استولوا على جوف سوريا من أيدى السلوقيين حوالى ٨٥ ق.م. ووصف دمشق نفسها تحت

---

1 - Bevan (E .) , op .cit ., P - 530 ; Tarn , op .cit ., loc . cit .
2 - Tarn (W .) , op .cit ., P . 44 .
3 - Appian , Syrian Wars , 69 .
4 - Bevan (E .) , op .cit ., P - 531 .
5 - Tarn (W .) , op .cit - , loc . cit .
6 - Bevan (E .) , op .cit ., P . 531 .

حمايتهم لتتجنب مصيراً أسوأ فيما لو وقعت في أيدى الأيتوريين (١). فكان الإيتوريون يكتسحون الشاطىء بين صيدا وتيويروسويون The ouprosopon ويخربون حقول جبيل وبيروت، ولم يبق من المدن الساحلية بين فينيقية ومصر سوى عدد قليل مثل عسقلان، وأصبحت غزة خرابا مقفرا عبارة عن شواهد ماثلة من انتقام اليهود (٢).

وفى سنة ١٣٠ ق.م وسع "الفريتون" امبراطوريتهم حتى أصبحت تمتد من الفرات إلى السند ومن جيحون حتى المحيط الهندى. أما فى الغرب فقد وقف فى وجه الجيوش البارثية الملك "تيجرانس" وحموه ميثريداتيس الكبير Mithrodates ملك البونت (٣). ولقد احتل تيجرانس بلاد الرافدين التى حكمها البارثيون، وفى عام ٨٣ ق.م. اكتسح سورية الشمالية وقيليقية (٤). التى كانت لا تزال تحت حكم السلوقيين وأعلنت روما الحرب على تيجرانس لعدة أسباب منها: -

أ - كان تيجرانس يوسع ممتلكاته على حساب البارثيين والسوريين.

ب - كان حموه وحليفه ميثريداتيس ينشىء امبراطورية لنفسه على حساب آسيا الصغرى والرومان (٥).

وإذاء ذلك اضطر تيجرانس إلى سحب حاميته من سورية فى سنة ٦٩ ق. م، واستعاد انطيوخس الثالث عشر الاسيوى منطقة انطاكية واعترفت روما بذلك (٦). ولكن فيليب الثانى لم يعترف بحكمه. وكان هذان أخر من لبسا تاج السلوقيين الملكى (٧).

---

1 - Tarn (W .) , op .cit ., P . 45 ;

* فيليب حتى (المرجع السابق)، ص ٢٧٠

2 - Bevan (E .) , The House of seleucus , Vol . II , P . 264

٣ - فيليب حتى (المرجع السابق)، ص ٢٧١.

4 - Appian , syrian wars , 48 ; Tarn (W .) , op .cit ., P . 45 .

5 - Strabo , X II , 3 , 1 .

6 - Appian , Syrian wars , 49 .

٧ - فيليب حتى (المرجع السابق)، ص ٢٧٣.

وأخيرا فتح القائد الرومانى " بومبى Pompey " بلاد الشام وضمها إلى روما فى سنة ٦٤ ق. م (١) . فانتهى الحكم السلوقى فى سورية وتحولت البلاد إلى ولاية رومانية (٢) .

١ - مفيد رائف العابد (المرجع السابق) ، ص ١٥٣ .

2 - Appian , Syrian wars , 50 .



خريطة توضح شبه جزيرة البلقان (للبحر المتوسط)

شبه جزيرة البلقان وجزر بحر ايجا واسيا الصغرى

الفصل الأول
الحضارة الهيلينستية

لاشك أن منطقة الشرق الأوسط قد صبغت بصبغة جديدة منذ القرن الثالث قبل الميلاد عرفت بأسم الحضارة الهيلينستية تلك الحضارة التى اجتاحت بلاد الشرق فى ركاب حملة عسكرية ضخمة شنها قائد عظيم هو الإسكندر الأكبر وهو فى ريعان شبابه (سن التاسعة عشرة) . وكانت ألوية النصر والحظ (Fortuna : Tyehe) تلاحقه فى كل مكان وترفرف عليه بها لانها حينما ذهب . وفوق ذلك فإن تلك الحضارة سادت وعمت أرجاء الشرق الأدنى برمته وتغلغلت بصفة خاصة فى مناطق فسيحة منه ، كان للبعض منها حساسيته واستراتيجيته الخاصة . ولم تكن هذه الحقيقة الأخيرة لتغيب عن وعى اليونان والرومان . إنهم على التعاقب أدركوا مالها من أهمية وأولوها كل تقدير . ولدينا على سبيل المثال فيما كتبه المؤرخ الرومانى تاكيتوس خير شاهد على الأهمية التى بلغتها مصر وهى واحدة من بلاد الشرق الذى اجتاحته جيوش الإسكندر . إذ نوه بمركزها الجغرافى الفذ فقال جملته المأثورة : ثم أكدت الأحداث المتعاقبة على مصر فى شتى العصور صدق قول هذا الكاتب الرومانى وحسن فراسته وتقديره وتحليله السليم .

ولقد خرجت من البلقان وبلاد اليونان وجزرها المنتشرة فى بحر إيجة تيارات تحمل ألوانا من تلك الحضارة الهللينسيية وأخذت تنتشر فى أرجاء آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين وفارس وسوريا وفلسطين ومصر – وهذه كلها بلاد كانت على مضى الزمان ملتقى تيارات فكرية ومهبط حضارات عريقة وبواتق انصهرت فيها تلك الحضارات . وكان من حسن الطالع أن قامت وسط تلك الحضارات دول – مدن يونانية انتشرت فى أرجاء هذه المنطقة الفسيحة من الشرق الأدنى ، وكان قيام بعضها تلقائياً أو بحافز من المؤسسين لها لأسباب

ودوافع متباينة . ولكن أغلبها أو بالأخرى سبعة عشر منها على الأقل يرجع تأسيسه إلى الإسكندر نفسه الذى أراد الأخذ بيد هذا الشرق وتوحيده ، وطبعه بالطابع اليونانى . واختار أن تكون وسيلته لتحقيق ذلك تأسيس المدائن على أوسع نطاق ، لتكون بنظمها وأسلوب الحياة التقليدى والمرعى فى كنفها بمثابة مناطق إشعاع ضخم يهدى الناس وينير لهم سبل الحياة الحضارية الجديدة . وعلى أثر ذلك قامت انتفاضات متعاقبة ، أخذت تبعث فى قلوب الناس روحاً جديدة فى عصر شهد من الأحداث اضخمها واعمقها تاثراً .

كان من أولى تلك الأحداث الجسام ظهور دولة مقدونيا نفسها وهى تطل على الساحل الشمالى من بحر إيجة (بحر الأرخبيل) . فخرجت من دور التفكك الذى رميت إبانه بالعجمة والهمجية بالنسبة لبقية اليونانيين وأخذت تردد دعواها ونداءها على عهد فيليب الثانى والد الإسكندر الأكبر بأنها نصيرة اليونان والعاملة على تجريد حملة مشتركة شعواء على دولة الفرس .

وثانى تلك الأحداث الجسام تقويض دولة الفرس على يد الإسكندر ونقلص سلطانها وتخليص بلاد كثيرة من الشرق الأدنى مما كانت قد عانته من سيطرة الفرس وسلطانهم .

وأمام ذلك فقد استقبل الناس والشرق عهدا جديدا بمقدم الإسكندر وحياة عرفت منذ ذلك الحين بالهللينستية ، تميزاً لها عن الحضارة اليونانية العريقة وهى الهللينية الصميمة . وكانت تلك الهللينستية خليطا من عناصر هللينية ، مشوبة بأخرى شرقية بين أسيوية وإفريقية ومصرية . وقد قدر لتلك الحضارة الجديدة أن تسود أرجاء الشرق وتنتشر

فى ربوعه ، وأن يقبل الناس فى كل مكـان على المضى فى تيارات والأخذ من خيراتها بنصيب ملموس .

وقد قدم الملوك والحكام ممن خلفوا الإسكندر المساعدة على السير فى ركب تلك الحضارة الجديدة . فأسسوا جميعاً المدن اليونانية فى بلادهم ، أسوة بما كان يفعله الإسكندر وتبريراً لادعائهم بأنهم خلفاؤه . وبينما توسع السلوقيون فى أسيا والشام فى هذا المضار ، إذا بالبطالمة فى مصر يحجمون ، فكان نصيب مصر أقل القليل من حيث تأسيس المدن . على أن مصر البطلمية كانت بين هذه الدول سباقة فى أكثر من مضار آخر وسارعت إلى تذوق شتى ألوان تلك الحضارة الهللينستية الوليدة .

الفصل الأول

الإمبراطورية السكندرية

ومن المعروف أن حضارة القرون الهللينستية الثلاث ، الممتدة من وفاة الإسكندر فى عام ٣٢٣ ق.م . إلى قيام الإمبراطورية الرومانية على يد أوغسطس فى عام ٣١ ق.م . ومن البديهى أن هذه الحدود إن هى إلا شيء وضعى بحت ، وذلك أن بذور بعض مظاهر الروح الهللينستية تبدأ فى الظهور قبل الإسكندر ، كما أن أوغسطس لا يمثل فى بعض النواحى أى فاصل حقيقى بين عهدين . غير أن هذه الحدود تقوم بتوكيد حقيقتين : أولاهما أن الدوافع الخلاقة التى تمخضت عنها سيرة الإسكندر وحياته لم تترك البتة شيئاً على حاله الأولى ، وثانيتهما أنه بعد أن سقطالعلم الهللينستى سقوطاً نهائياً بين أطلال الدمار الذى خلفته الحروب الأهلية الرومانية ، بدأ ينهض من جديد فى عهد الإمبراطورية على أسس مغايرة ، فأصبحت الحضارة بذلك ذات طابع إغريقى رومانى . وفى جميع فصول هذا الكتاب تعتبر روما والتاريخ الرومانى من الأمور المسلم بها . وكل ما يعنينا أن نلمس بأيدينا الروح الهللينستية وطابع ذلك العالم الذى تكشف للجمهورية الرومانية عندما توغلت شرقاً . فإن تلك الجمهورية عند اتصالها بالحضارة الهللينستية كانت – على النقيض من الإمبراطورية – لا تعدو أن تتقبل ما يعرض لها ، ولم تكن بلاد الإغريق التى علمت روما هى بلاد الإغريق العريقة بل الحضارة الهللينستية المعاصرة ، وبقدر ماتقوم الحضارة الحديثة على دعائم من المدينة الإغريقية ، فإنها إنما تقوم قبل كل شيء على الحضارة الهللينستية .

ولقد اختلف المؤرخون فى لفظة الهللينستية فمن . قائل إنها ثقافة جديدة مركبة من

عناصر يونانية وشرقية ، ومن قائل إنها عبارة عن امتداد الثقافة اليونانية إلى الشرقيين ، ومن قائل إنها استمرار للنهج القويم الذى كانت تنتهجه الحضارة الإغريقية القديمة ، وعدا هذا فهناك من يقول ، إنها هى نفس تلك الحضارة منقحة بفضل ما أحاط بها من ظروف جديدة . ومامن ريب أن جميع هذه النظريات تحتوى على نصيب من الحقيقة ، ولكن ليس منها ما يمثل الحقيقة برمتها . وكلها غير صالح ، ولا يستقيم العمل به إذا ما تناولنا التفاصيل ، كقولهم (مثلا) إن الرياضيات الهللينستية كانت يونانية صرفة ، على حين أن الفلك وهو شقيقها كان علماً يونانياً بابلياً . ولا بد لنا للتعرف على صورة حقيقية لتلك الحضارة من إلقاء نظرة على جميع الظواهر ، وعندئذ يتجلى لنا أن الهللينيتية ما هى إلا عنوان مناسب للدلالة على حضارة تلك القرون الثلاثة التى كانت فيها الثقافة اليونانية تسطع بأضوائها بمنأى من أرض الوطن الأصلية ، ولن يستطيع تعريف عام أن يغطى كل هذه المعانى . وفضلا عن ذلك ، فإن هذه القرون الثلاثة تمثل من بعض النواحى طورين من أطوار الحضارة لاطوراً واحدا : الطور الأبكر الذى يتسم بالابتداع الخلاق فى بروج العلوم والفلسفة والأدب والنظم والأوضاع السياسية للدول ، عدا أشياء أخرى كثيرة اضطلع بها عالم إغريقى مقدونى مستقل حين مد ألوية حضارته على آسيا . والطور الأخير يتميز بذلك الكلل الذى أصاب الدافع الخلاق ، والإعياء الذى اعترى تلك الروح الإنشائية الخلاقة كما يتميز بظهور رد الفعل الروحى والمادى المنبعث من الشرق ضد الغرب . وذلك بينما كان العالم الإغريقى المقدونى محصوراً بين رد الفعل ، ذلك من ناحية وبين روما من ناحية أخرى حتى لقد اضطرت روما فى آخر المطاف ، وقد دمرت نظام الدول الهللينستية ، أن تحل محلها بوصفها حاملة للواء الثقافة الإغريقية . وليس فى الإمكان على الدوام فصل هذين الدورين فصلا قاطعاً ، ولكن معالم التطور فى أى أمر معين تصبح أيس فهما إذا وضع التميز الإجمالى

المذكور أعلاه نصب الأعين . ومع هذا فإن هناك نواحى كثيرة كانت فيها الحقبة الهللينستية تؤلف بالفعل كلا متماسكا . وسنلقى عليها بهذا الوصف نظرة عجلى .

ومن المعروف أن الهللينستية قد مسته يد التغير واتسعت آفاقه . ومع أن الروح الانفصالية التى انطوت عليها " دولة المدينة " الإغريقية قد كتب لها أن تظل فى الواقع قوية ومتينة إلى حد ما ، إلا أنها كانت قد تحطمت من الناحية النظرية ، وأخذت تحل محلها فكرة العالمية الشاملة ونتيجتها الحتمية : وهى الروح الفردية . وتتولد تلك الفكرة عن وجود " عالم مأهول " Oecumene " بوجه عام ، هو بمثابة تراث شائع للمتحضرين من الناس ، ونشأت لخدمته اللهجة الإغريقية المسماة باسم الكوينى " Koine " أى " اللسان العام " الذى كان شائعاً كذلك بين كثير من الأسيويين . وبفضل اللغة اليونانية أصبح من اليسير أن ينتقل الإنسان من مرسيليا إلى الهند ، ومن بلاد القوقاز إلى شلالات مصر . أما القومية والروح الوطنية فقد أصبحتا دبر الأذن . ومن الجلى أن التعليم واللسان العام المشترك يتمخضان عن ثقافة مشتركة فى كل مدينة من مدن " العالم المأهول " ، أجل إن الأدب والعلم والفلسفة قبل كل شىء قد تشمل فعلا إلى حد ما عالماً أوسع نطاقاً من بلاد اليونان ، وأن علية القوم بروما وبأجزاء من آسيا قد أصبحوا يحسون أن الثقافة اليونانية شىء ينبغى أن يتحلى به المرء نت الناحية الظاهرية على الأقل . وقد أصبحت التجارة دولية وأزيلت معظم الحواجز : إذ حور الفكر بصورة لم يبلغها مرة ثانية إلا فى العصور الحديثة ، ولم يعد للتباغض بين الأجناس وجود ، اللهم إلا عند بعض المصريين الوطنيين وبعض اليهود فيما يظن ، ولم يكن الاضطهاد الدينى لأسباب دينية بحته معروفاً فى ذلك الزمان (إذ المعروف أن اعتداء أنطيوخوس على اليهود كان إجراءً سياسياً) ، وكانت النزعات الخلقية من شئون

العلم لا السلطان . وكان لشخصية الفرد وكيانه مجال حر . وكان العصر عصر أخصائيين من الباحث العلمي إلى النجار الذى يصنع الباب ، إلا أنه يحتاج إلى رجل آخر ليقيمه . وعندما حاول يوسيدونيوس للمرة الأخيرة الإلمام بجميع نواحي المعرفة كما فعل أرسطوطاليس من قبل ، تجلت سطحيته في بعض النواحي والآفاق . بل إنه حتى القرن الثالث نفسه الحافل بالخلق والابتكار يختلف عن سابقية فى أنه وإن كان الروح الإغريقى لم يزل ذا أهمية قصوى ، إلا أنه لم يعد فى الإمكان القول بأن كل فكرة مثمرة كانت وليدة العقل الإغريقى وحده . وذلك لأنه بنض النظر تماما عن العقيدة الدينية والفلك ، لم يكن الابتكار الأعظم الوحيد فى ذلك العصر ، ألا وهو الفلسفة الرواقية إلا وليد فكر إنسان كان أهل عصره يعدونه فينيقياً قحاً ، سواء أجرت فى عروقه بضع قطرات من الدم الإغريقى أم لا .

والتشابه بين ذلك العالم وعالمنا يكاد يملؤنا بالعجب والدهشة لأول نظرة نلقيها . فقد كانت به نفس المجموعة المتشابكة من الدول ما بين كبيرة وصغيرة ، مع وجود أشكال ونظم مختلفة للحكومات ، منها ماهو أكثر تقدما مما عداه ، وكلها تعمل داخل نطاق حضارة مشتركة . وفضلا عن بعض الظواهر التى ذكرناها آنفاً ، فإنه كانت هناك ظواهر أخرى كثيرة تبدو عصرية إلى حد كبير . ومن أمثال هذه الظواهر تلك المشكلات التى لا تنقض على كر التاريخ كمشكلات الأسعار والأجور ، والاشتراكية والشيوعية ، والإضراب والثورة ، ونمو الفكرات الداعية إلى النزعات الإنسانية والأخوية مصحوبة بألوان وحشية من النزاع والخلاف ، وتحرير المرأة وتقييد عدد السكان ، ومسائل نيل الحقوق السياسية ، بل والتمثيل النيابى (فيما يحتمل) والهجرة وطبقة البروليتاريات " Proletariat " أو الطبقة الدنيا من العامة ، وقيام كل من العلم المضبوط الدقيق وغليظ لخزعبلات أحدهما إلى جوار الآخر ،

وظهور مجموعة ضخمة من المؤلفات تعالج كل ميدان من ميادين النشاط البشرى ، وهى فى الغالب تتسم بالكفاية ، ولكنها لم تعد تخرج بعد كتاباً يضارعون الأسماء العظيمة التى برزت فى الماضى ، وكذلك انتشار التعليم الذى يتمخض عن صنع كتل متواصة من أنصاف المتعلمين ونشوء طراز من الدعاية أشد وعياً ، ونمو شعوب أنصاف متحضرة تتعلق بأذيال العلم والتاريخ والدين . ولا يعنينى فى هذا المقام كثيراً أن أسرد مافى العالم القديم من أشباه لما فى العالم الحديث ، وإنما آثرت فى الأحوال العادية أن أترك ذلك الأمر لفطنة القارىء ، ولكن ينبغى ألا نغلو فى جمع مثل تلك النظائر ةالتغلغل وراءها . فإن كثيراً من الأشياء وإن أوتى فى ظاهره شيئاً من الشبه لما فى عالمنا العصرى من أشياء ، إلا أنها قلما كانت متماثلة أو متطابقة ، مثال ذلك أن وجه الشبه ضئيل لا يكاد يذكر بين الإضراب المصرى القديم والعصرى ، أو بين الشيوعية العصرية والشيوعية الرواقية . وكان يكمن وراء كل شىء فارقان أساسيان وقاطعان : أولهما أنه كان عالماً خالياً من الآلات (الماكينات) ، وثانيهما أنه كان مملوءاً بالرقيق . وهذه الحقيقة الأخيرة شىء لا داعى إلى المبالغة فى تأكيده إذ لن يتيسر لنا الحصول على صورة واقعية للمجتمع الهلينستى ، إلا إذا كان الرق موجوداً أمام نواظرنا ، لا يغيب عنا أبداً . ولا يغربن عن البال أن كثيراً من الامال المرجوة كالحرية والأخوة - بل حتى الثورات نفسها - كثيراً ماتحمل إلينا صورة لا تمت إلى الواقع بأدنى سبب عندما نتذكر بوضوح أن شطراً كبيراً من السكان قد أخرجه معظم الناس عن مجاله الأصلى وأسقطوه من حسابهم .

ولقد عالج المؤرخون الحقبة الهللينستية باعتبارها فترة اضمحلال بل حتى انحلال وانهيار ، ولكن لعل قلة منهم هى التى تهتم الآن بالنقاش والجدل فيما إذا كان ذلك

يصدق على القرن الثالث . فإن مثل هذه التسميات لا يمكن أن تنطبق - إذا انطبقت على الإطلاق - إلا على الفترة التى أسميتها بالطور المتأخر ، ولو فرض حتى إنها انطبقت على تلك الفترة ، فإن الأمر هنا فيما أظن لابد أن يتوقف إلى حد كبير على وجهة النظر . مثال ذلك أننا إن أعرنا العلوم الطبيعية أو الفنون منزلة الصدارة القصوى ، كان الطور المتأخر طور انحطاط وتدهور ، ولكن إذا وضع بزوغ فجر بعض الغرائز والمشاعر الدينية من التى قد تمهد السبيل لأحداث أعظم وأكبر ، موضع تقدير واهتمام يعادل منزلة تلك العلوم والفنون على الأقل ، كان ذلك الطور طور نماء . والشىء الذى يبدو فعلا أننا نراه فى الطور المتأخر ، هو مجموعة من المتناقضات ، فنحن نسائل أنفسنا مثلا : أى الأشياء يمثل حقاً أواخر القرن الثانى ، أهو سوق الرقيق بديلوس أوفك الرقاب والعتق بدلفى ؟ وهل لنا أن نبدأ بحث موضوعنا من أفعال الساحر المشاء أو استناداً إلى آراء الرواقى الذى كان يعتقد بأن الفضيلة هى الجزء الأوفى عن نفسها ؟ وأنا نفسى قد أتجاسر وأعبر عما يخالجنى من شكوك كبيرة فى أن اليونانى القح الذى هو قوام الأرستقراطية العنصرية فى المحيط الإيجى ، قد اعتراه الاضمحلال والانحلال حقاً . وليس هذا بالرأى الأكثر شيوعاً بين أهل الرأى ، بيد أنى قد عرضت الحقائق على مابدت لى . وينبغى أن تساعد تلك الحقائق القارىء على استخلاص نتائجه الخاصة . وهناك أشياء كثيرة أيضاً ، قد تبدو لأول نظرة تلقى عليها كأنما هى حالة انحطاط وتدهور ، ولكن يمكن تعليلها فى ضوء اعتبارين عامين . أولهما هو النقص المتواصل فى عدد الإغريق الأقحاح بعد حوالى عام ٢٠٠ ق .م ، ثم بالإضافة إلى ذلك دخول العناصر الأجنبية أو امتزاجها بهم ، وهى التى مهما يكن مقدار ما يكمن فيها من قدؤات ، لم يكن لديها فى الغالب فى ذلك الزمان ما كان للإغريق من طاقة ذهنيه ولا سياسية ولا اجتماعية . وثانيهما هو مسلك الجمهورية الرومانية التى جعلت همها

تحطيم الروح اليونانية ، حتى ترامت فيما يرجح إلى إقناع أناس كثيرين – فضلا عن ملوك سوريا ومصر – بأن كل جهد مقدر عليه مقدماً بأن يكون شيئاً لاغناء فيه ولا طائل تحته . ومن الطبيعى أن مجرد الإذلال والإخضاع البحت بوساطة قوة متفوقة تفوقاً عظيما – مهما يكن من يستخدم تلك القوة – لا علاقة له بالموضوع .

ويجدر بنا هنا أن نسجل هنا ملحوظة على المصادر الأدبية . ففضلا عن كونها جزئية بتراء ، بل وأهم من ذلك كثيراً ، أنها كثيراً ما تكون معادية لما تصف (ولا يشذ عن ذلك إلا بلوتارخوس) ، بل إنه حتى يوليبيوس نفسه لم يكن حظه من عدم التحيز إلا ضئيلا . ولا مراء أن من التضليل البحت نقل دعاية حزبية كالتى يتمثلها يوزانياس مثلا عند كتابته عن نهاية الحلف الاخى أو كالتى يسطرها جستن عن بطلميوس يوجتيس الثانى – وتسميتها باسم التاريخ . وهناك سؤال أعتقد أننا لا نزال بعيدين إلى حدما عن الوصول إلى إجابة مضبوطة عنه ، وهو : ماقيمة الشيء الكثير من المتواتر إلينا من الروايات ؟ إذ يخيل إلى أن هناك فى هذا العصر عدداً كبيراً من الشخصيات والأحداث التى لا نراها مطلقاً فيما أعتقد ، وكل مانراها إنما هوستار أدبى تشوبه غشاوة بيد أن لدينا مصدراً لا يبرج يزداد على الأيام وفى الإمكان أن يعول عليه هو النقوش والبرديات المعاصرة .

ولقد كانت إمبراطورية الإسكندرية تشمل عند وفاته مقدونيا ومصر ومعظم آسيا من بحر إيجه إلى بلاد البنجاب ، إلى الجنوب من خط القوقاز وقزوين ، وذلك باستثناء بلاد العرب وأرمينية وشمال آسيا الصغرى . وقد تحالفت وإياه بمحض حريتها معظم المدن اليونانية بآسيا فيما عدا تلك التى كانت واقعة على البحر الأسود ، على حين كان حلف كورنثة

ينظم علاقاته بتلك المدن الواقعة فى بلاد اليونان الأصلية . ومات الإسكندر دون أن يترك وريثاً ، ودون أن يضع أية ترتيبات لمواصلة نظام الحكم فى البلاد . ولم يكد قواده يقضون على ثورات الإغريق فى الحرب اللامية وعلى تمرد اليونان بالشرق الأقصى ، حتى شب بينهم نزاع على الحكم اتخذ صورة حرب بين الساتربة " Satraps " (أى الأسر الحاكمة المحلية) وبين أية قوة مركزية كانت تهدف إلى التسلط العام على الجميع ، وقضت معركة إبسوس " Ipsus " سنة ٣٠١ بصفة نهائية على كل أمل فى جمع شمل العالم الإغريقى المقدونى . ومالبث ذلك العالم أن عاد من الناحية السياسية إلى مايقرب من الوضع الذى كان عليه قبل الإسكندر وإن صار له حكام آخرون ، واستظل بحضارة مخالفة . وما حلت ٢٧٥ حتى اصبحت ثلاث أسر ملكية منحدرة من ثلاثة من قواده ، موطدة الملك راسخة القدم . فحكم السلوقيون شطراً كبيراً من رقعة الإمبراطورية الفارسية القديمة بآسيا ، وحكم البطالمة مصر وتربع آل انتيجونس على عرش مقدونية ومالبثت أسرة مالكة أوربية رابعة لا تمت إلى الإسكندر بأية صلة هى أسرة أتالوس صاحبة برجامة ، أن اتسعت رقعتها بآسيا الصغرى على حساب الدولة السلوقية ، كما علا شأوها بفضل روما . ثم أخذت روما تقوم بدور فى الشئون الهللينستية بطريقة تنطوى على شيء من الحذر أولا ، حتى انتهى بها التهام عالم البحر المتوسط بأكمله ، بعد أن سقطت فى يدها آخر دولة مستقلة وهى مصر فى ٣٠ ق .م ولا يسعنا إلا أن نشير إشارة موجزة إلى قصة الكفاح المعقد الذى شب بين القواد حتى ٣٠١ ، والذى خاضت غماره إلى حد كبير مرتزقة من جميع الأجناس . وكان الجيش قد رتب الأمور بعد موت الإسكندر على صورة تجعل الملك شركة بين أخيه الأبله وغير الشقيق فيليب الثالث وولده الإسكندر الرابع المولود بعد وفاته من زوجته روكسانا : واستولى قائده برديكاس على أزمة الأمور فعلا بآسيا . كما استقر الأمر لأنتيباتر فى أوربـــا ،

حيث كان يحكم مقدونيا ويشرف على بلاد الإغريق بالنيابة عن الإسكندر . واقتسم نفر من القواد مختلف الولايات (الستراپيات) من جديد . فحصل بطلميوس وهورجل حكيم بعيد النظر ، على مصر فى ذلك التقسيم . كما حصل أنتيجونس ساتراب أو والى فريجيا الأعور على نصيب آخر من الأرض . وتلقى ليسماخوس مقاطعة تراقيا . وشبت الحرب فى ٣٢١ بين عصبة مكونة من أنتيباتر وانتيجونس وبطلميوس وبين برديكاس ، الذى أعلن أنه يناصر الملكين ، بيد أنه اتهم بأنه إنما يهدف إلى العرش . وانتهى الأمر بقتله ثم عينت الجيوش المقدونية المتحدة أنتيباتر وصياً على العرش . وكان أنتيباتر آخر قائد من قواد فيليب الثانى ظل على قيد الحياة . ولم يلبث ماكان يحبوه به الجميع من احترام أن مكنه من لم شتات الإمبراطورية إلى أن مات فى ٣١٩ . وفى غضون ذلك الزمن راح أنتيجونس الذى كان بوصفه أحد قواده يرأس قوة ضخمة – يحطم حزب برديكاس واتباعه حتى لم يبق منهم حياً إلا واحد فقط هو يومينيس الإغريقى من كارديا ، وهو سكرتير الإسكندر . فلما توفى أنتيباتر انتخب بوليبر خون محليا وصار على العرش بمقدونيا . وشرع أنتيجوس يمهد الأمور لنفسه ، وانضم يومينيس إلى بوليبر خون مناصراً للملكين . واستعرت نار الحرب ثانية ، وكان بطلا القصة فى آسيا هما يومينيس وانتيجونس ، الذى كان يؤيده بطلميوس وآخرون . فى حين أن بطليها بأوربا كانا بوليبر خون وكساندر (ابن أنتيباتر) وكان حليفاً لأنتيجونس . وانتهت الحرب بأوربا فى ٣١٦ بالفوز المبين لكساندر ، وهو رجل أوتى مقدرة فائقة ، ولم يلبث أن صار سيداً على مقدونية وشطر عظيم من بلاد الإغريق بما فى ذلك أثينا . وهلك كل من فيليب الثالث وأوليمبياس والدة الإسكندر فى أثناء الكفاح ، ووضع كساندر يده على الملك الصغير الإسكندر الرابع .على أن القتال الذى قام به يومينيس اكتنفته الصعاب العظيمة من كل جانب . وكان رجلا واسع الحيلة والعقل مطلق الولاء لمليكه ، فقاتل لذلك

قتالا يذكر بالإعجاب على مر التاريخ ويعد من أعظم قصص الكفاح الرومانتيكية ، ذلك أنه استولى على بابل ، وتمكن من الحصول على مساعدة ستاربة الشرق الأقصى . وهزم انتيجونس أكثر من مرة . ولكن جيوشه خانته فى أوائل ٣١٦ وأسلمته إلى انتيجونس الذى أمر بإعدامه . وقضى بموته على آخر من يدافع عن قضية الإسكندر الرابع قضاءً تـامـاً .

ولقد أوتى أنتيجونس كفاية هائلة وطموحاً لاحد له . وقد أصبح إذ ذاك أمنع القواد مركزاً ، واخذ يزعم أنه يقوم مقام الإسكندر ، فشرع فى القضاء على الستاربة الشرقيين ، ولم يستطع سلوقوس ساتراب بابل أن ينجو بحياته إلا بالفرار والالتجاء إلى بطلميوس . وفى ذلك الحين كان قد قضى على صغار القواد وأصبحوا فى خبر كان ، وعمد الحكام الكبار وهم كساندر وبطلميوس وليسيماخوس إلى تكوين حلف ضد أنتيجونس متهمين إياه بتهمة لا شك فى صدقها ، هى أنه يهدف إلى إنشاء إمبراطورية . وشبت بين الطرفين حرب (٣١٥ – ٣١١) غير حاسمة ، وإن استطاع بطلميوس فى ٣١٢ أن يعيد سلوقوس إلى عرش بابل . غير أن أنتيجونس تمكن فى ٣١٤ من الحصول على مؤازرة معنوية من الديموقراطيات الإغريقية ، بإعلانه إعلاناً ظل متمسكاً به بأمانة تامة بضع سنوان يتعهد بمقتضاه بمنح جميع المدن الإغريقية الحرية ورفع مابها من حاميات وتمكينها من حكم نفسها بنفسها ، وكان ذلك إحياء لسياسة الإسكندر موجها ضد طريقة كساندر فى حكم المدن بوساطة الأوليجركيات والحاميات (انظر الفصل الثانى) . وكانت إحدى نتائج ذلك تمرد ديلوس على أثينا وانفصالها عنها وتمتعها بالحرية حتى ١٦٦ , وبعد أن عقد الصلح فى ٣١١ بين أنتيجونس والحلفاء ، ذلك الصلح الذى أصبح أنتيجونس بموجبه سيداً على سوريا وآسيا الصغرى وأرض الجزيرة ، حاول أن يقضى على سلوقوس ولكنه أخفق دون ذلك ، وإن دمر نصف

بابل . ثم تمكن سلوقوس بعد ذلك من توطيد أركان دولته فى كل المناطق الواقعة إلى الشرق من بابل ، وإن اضطر إلى النزول عن الولايات الهندية لجندر كبت المورى ، وحصل فى مقابل ذلك على قوة ضخمة من فيلة القتال . وفى ٣١٠ تخلص كساندر من الإسكندر الرابع بالقتال ، وهى خطوة كانت الأسرات المالكة الأخرى قد دعت إليها بمقتضى معاهدة ٣١١ ، وبذلك أصبح الجميع حكاماً مستقلين فى ولاياتهم .

وفى ٣٠٧ خاض أنتيجونس وابنه الألمعى ديمتريوس ، وهو رجل ذو مواهب عظيمة ومتعددة ، وإن لم يكن ذا خلق ثابت – معترك الكفاح من جديد للاستيلاء على الإمبراطورية بأكملها ، وكافحا كفاحاً ترامى فى النهاية إلى اشتراك جميع القوات العسكرية فى كل جزء من أجزاء العالم الهللينستى . وكان كساندر يحكم أثينا منذ ٣١٧ حيث نصب عليها من قبله شخصاً اسمه ديمتريوس من فاليروم ، وهو من المشائين . وحظيت المدينة بالرغد والسلام ، واستن ديمتريوس القوانين ، مستوحياً فى ذلك روح أرسطو طاليس ، ولكن حكومته كانت تمالىء الأثرياء . وفى ٣٠٧ حرر ديمتريوس بن أنتيجونس أثينا من قبضة ذلك المشاء وأعاد إليها الحكم الديمقراطى ، ثم هزم أسطول بطلميوس فى ٣٠٦ هزيمة ساحقة فى معركة بحرية خاضها بقرب سلاميس بجزيرة قبرص وأحرز السيادة البحرية . وعندئذ تلقب هو وأبوه بلقب الملك وأصبحا عاهلين مشتركين لإمبراطورية الإسكندر وكانا يتبادلان الثقة والإخلاص المطلق ، ثم حاول أنتيجونس غزو مصر والقضاء على بطلميوس دون طائل ، ومالبث بطلميوس أن اتخذ اللقب الملكى فى ٣٠٥ هو وغيره من الأسر الحاكمة وصاروا جميعاً عواهل مستقلين بعضهم عن بعض ، وأضاع ديمتريوس سنة حاصر فى أثنائها رودس حصاره الشهير غير الموفق . ثم تمكن بعدها كساندر من البدء فى إعادة فتح

بلاد الإغريق ، ولكن ديمتريوس تمكن من ردّ كساندر على أعقابه وخلص معظم بلاد الإغريق من قبضته ، ثم أعاد فى ٣٠٣ تكوين حلف كورنثة الذى أنشأه الإسكندر أول مرة متربعاً بذلك فى رياسة هو وأبوه على دست الإسكندر ، وعندئذ طلب كساندر وليسماخوس وبطلميوس العون من سلوقوس . ثم عبر ليسماخوس البحر إلى آسيا فى ٣٠٢ مزوداً بتعزيزات أمده بها كساندر ، على حين كان ديمتريوس يزحف على مقدونيه بقوة عظيمة ، فلما فشل أنتيجونس فى القضاء على ليسماخوس اضطر إلى استدعاء ديمتريوس لنجدته . وفى ٣٠١ تلاحم جيش الرجل وابنه عند إبسوس بإقليم فريجيا مع قوتى ليسماخوس وسلوقوس مجتمعتين ، وكان معهما فى القتال معظم مالديهما من فيلة ، وهزم أنتيجونس وقتل ، ولكن ديمتريوس فر هارباً .

ولقد اقتسم الظافرون الغنائم ، حيث نال ليسماخوس آسيا الصغرى شمال جبال طوروس وأخذ سلوقوس أرض الجزيرة (العراق) وسوريا ، على أن بطلميوس كان قد احتل سوريا جنوباً كل من أرادوس ودمشق فى أثناء معركة إبسوس ، فلم يطالبه سلوقوس بإرجاعها وإن احتفظ بحقه فيها ، لأنه لم ينس أنه مدين لبطلميوس بحياته وملكه . ولكن كساندر الذى كان روح التحالف وعقله المفكر ، قنع بمقدونيا ، على أن ديمتريوس كان لا يزال يسيطر على البحر ويقبض على صور وصيدا ، وبعض مدن آسيا الصغرى وأجزاء من بلاد اليونان . وكان مايسود بين الظافرين من عدم الثقة خيراً وبركة على أثينا التى لم تبرح أعظم مدن اليونان جميعاً باستثناء سيراقوزة ، واستمتعت بحريتها بفضل ترفق كساندر بها حتى فتحها ديمتريوس فى ٢٩٥ وترك بها حامية . ومات كساندر فى ٢٩٨ ، ونشبت بين أبنائه منازعات مكنت ديمتريوس من الإستيلاء على عرش مقدونيا ، وهو عرش ظل محتفظاً به ست سنوات

أخضع فى أثنائها معظم بلاد الإغريق ماعدا إسبرطة وآيتوليا وبيروس ملك إيبيروس ، وبنى مدينة ديمترياس المسماة على اسمه (انظر الفصل الثانى) . وما لبث مركز الأحزاب بالمدن الإغريقية أن اتضح واستبان . ومنذ ذلك الحين أخذ الأثرياء يشخصون إلى مقدونيا التماساً لعونها كما كانوا يفعلون ذلك إزاء روما فيما بعد ، وذلك على حين كانت الديموقراطيات تناصر فكرة الاستقلال القومى . غير أن ديمتريوس وإن كان فاتحاً ماهراً ، إلا أنه كان عديم الكفاية كحاكم ، فلم يكن ثمة وجه للمقارنة بينه وبين كساندر السياسى البارع . لذا لم يحببه شعبه قط ، وذلك لأنه لم يكن يعامل مقدونيا إلا كمجرد قاعدة يعيد منها غزو أسيا . وفى ٢٨٩ أزعجت استعداداته البحرية غيره من الملوك ، فتحالفوا ضده . وفى ٢٨٨ اجتاح ليسماخوس وبيروس مقدونيا بجيوشهما واقتسماها فيما بينهما ، وثارت أثينا بمعاونة بطلميوس . وللمرة الثانية لم يبق لديمتريوس سوى أسطوله وبضع مدن إغريقيه . ومع ذلك فإنه غزا آسيا ، وقذف بنفسه على ليسماخوس عدوه اللدود دون أن يصيب نجاحا يذكر ، حتى إذا دفع فى النهاية إلى ماوراء جبال طوروس ، دخل فى قتال بطولة عارمة مع سلوقوس . وجاءت عليه هنيهة تراءى له فيها شبح النصر فى آسيا واقتربت منه قطوف حكمها دانية ، ولكنه اعتل وتخلى عنه جنده ، حتى اضطر فى ٢٨٥ إلى التسليم . ولم تنقض على ذلك سنتان حتى اضطر ذلك البطل ، ألمع خلفاء الإسكندر ، أن يموت فى الأسر من فرط الشراب .

اغلب المناطق الاسيوية والافريقية المتاخمة للبحر المتوسط وامتداداتها نحو الشرق ، والثانى غربى يضم مقدونيا وبلاد اليونان ومستعمراتها على الساحل الغربى لشبه جزيرة آسيا الصغرى . ولم يكن اتجاه الاسكندر نحو الشرق بأمر مستغرب بل كان متوقعاً تماما حيث كانت الصفة الغالبة على التوجه الجغرافى لليونان هى الاتجاه الى الشرق ، فانتشار الجزر بشكل واضح فى حوض بحر ايجه جعل من السهولة بمكان امكانية قيام اتصالات بين شبه الجزيرة البلقان وشبه جزيرة آسيا الصغرى ، وبالتالى لا يصبح البحر هنا حاجزا مانعا بل اداة وصل بين المنطقتين ، ومن هنا ومع استقرار بلاد اليونان وبداية ممارستها لنشاطها الاقتصادى الخارجى نجدها قد اتجهت تلقائياً الى الشرق . حيث مثلت الهجرات اليونانيه على ساحل آسيا الصغرى اعلى كثافة مكانية على سبيل المثال ، هذا بالاضافة الى ظهور قرطاجه كقوة جديدة فى الجزء الغربى من البحر المتوسط لا تسمح بتواجد قوة اخرى معها ، مما اكد على فكرة الاتجاه الى الشرق من اجل بناء امبراطورية يونانية .

الا أن هذا لا يعنى أن الاتصال بين اليونان والشرق لم يتم الا فى عصر الاسكندر ، فاشعار هوميروس مثلا فى الالياذة تصور لنا احتكاك اليونانيين عسكرياً بطروادة على ساحل آسيا الصغرى فيما قبل ظهور الاسكندر بحوالى أربعة قرون . وفى عهد الاسرة الثامنة عشرة أقام الفرعون تحتمس الثالث أحد قواده حاكما على جزر بحر ايجه ، كما يظهر تأثير الفن المصرى واضح على الفن اليونانى خاصة فى مراحلة الاولى سواء فى العمارة ببداية ظهور الاعمدة الدورية ، أو فى الصور المبكرة من فن النحت ، وحتى من الناحية الدينية نجد أن عبادة الاله أمون المصرى قد انتشرت فى اليونان واقيم له معبد فى اثينا .

ولاشك أن هذه الصلات بين حضارات الشرق والغرب قبل ظهور الاسكندر المقدونى لم تصل ابدا الى ايجاد قدر واضح من التقارب فى النظم السياسية والاجتماعية ، وانما كانت لا تعدو تسرب بعض التفاصيل الحضارية من جانب الى الجانب الأخر ، من فن أو عقيدة أو بعض الصناعات ، وغير ذلك مما كان يترك اثرا واضحا لكن لا يتحول الى تبنى طرف من الاطراف لنظم حياة الطرف الآخر مثلا ، ولكن الاحدى عشر عاما التى كون خلالها الاسكندر المقدونى امبراطوريته كان لها ابلغ الاثر فى تحقيق هذا المزج بين الشرق والغرب والذى قامت عليه اساسا حضارة العصر الهلينستى " Hellenistic Civilizalion " .

الاسكندر الأكبر المقدونى :

هو الاسكندر الثالث ابن فيليبوس الثانى المقدونى من زرجته اولمبياس ، ولد فى بيلا فى ٣٥٦ ق . م ، وقد يكون ليسيماخوس أول من علمه ، لكن الثابت أن ارسطو قد تولى امر تعليمه بدءا من الثالثة عشر من عمره ، فتتلمذ على يديه الاسكندر فى الاخلاق والسياسة والفلسفة وفن الحكم .

ولقد تولى حكم مقدونيا بعد اغتيال فيليب فى ٣٣٦ ق .م وفى محاولة من بعض مدن اليونان لاختيار مدى قوة الحكم الجديد ثارت بعض هذه المدن ، الا أن الاسكندر اثبت صلابته فاستولى على طيبة وهدمها واسترق أهلها ولم يبق من بيوتها سوى بيت الشاعر بنداروس ، وهنا أعلنت مدن اليونان جميعها ولاءها للإسكندر وفى ٣٣٤ ق . م خرج الإسكندر فى حملته على الشرق وقد عبر الإسكندر مضيق الهلسبونت (الدردنيل) فى ثلاثين الف جندى وخمسة آلاف فارس الى طروادة ، والتقى بأول جيوش الفرس عند نهر

جرانيكوس حيث انتصر انتصارا ساحقا بأقل قدر من الخسائر ، واستسلمت له مدن سارديس وافسوس ، ثم حاصر ميليتوس حيث استولى عليها فى العام نفسه ، ث تابع استيلاءه على مدن آسيا حيث حاصر هاليكارناسوس ثم دخل اسبندوس .

وفى ٣٣٣ ق . م التقى الإسكندر الأكبر بالامبراطور الفارسى داريوس فى موقعة ايسوس حيث انتصر وفر داريوس هاربا ، ثم اتجه ذلك الى الساحل الشرقى للبحر المتوسط للسيطرة على المدن الفينيقية حيث استولى على جبيل وصيدا الا أن صور رفضت التسليم فحاصرها الاسكندر ، وقاومت المدينة لمدة سبعة أشهر حتى سقطت فى النهاية وفى هذه الاثناء عرض الامبراطور داريوس الصلح على الاسكندر مقابل غرامة عشرة الاف تالنت يدفعها داريوس مع تنازله عن ملكية كل المناطق التى دخلها الإسكندر الا أن الأخير رفض هذا الصلح وتحرك من صور الى دمشق الى غزه ومنها الى مصر حتى يتم سيطرته على أغلب موانىء البحر المتوسط وبذلك يقطع كل الخطوط امام الاسطول الفارسى ، ودخل الاسكندر مصر فى ٣٣٢ ق .م سلما ، بل واستقبل بترحاب كبير من قبل المصريين الذين اعتبروه مخلصا لهم من الاحتلال الفارسى وفى ٣٣١ ق .م عاد الاسكندر مرة أخرى الى أسيا حيث انتصر على داريوس فى موقعة جوجاميلا ، ثم سار الى ايران حيث دخل برسيبوليس العاصمة الحقيقية للإمبراطور الفارسية ، ثم استولى على سمر قند وافغانستلن حتى وصل الى الهند وفى ٣٢٣ ق .م عاد الاسكندر الى بابل عاصمة ملكه لتنظيم أمور امبراطوريته ليستأنف فيما بعد خطته فى فتح بلاد العرب . الا أنه قد وافته المنيه فى نفس العام دون أن يترك وريثا له أو وصياً على العرش .

حرب القواد

وبمجرد اعلان برديكاس نفسه وصيا على عرش الاسكندر الذى تولاه اخاه اريدايوس المسمى الثالث ، خرج عن طاعته أغلب القواد مثل انتيباتير وانتيجونوس وكراتيروس وبطلميوس ، وقتل برديكاس اثناء محاولته طرد بطلميوس من مصر ، لكن احد قواده وهو ايومينيس هزم كراتروس وقتله فى آسيا الصغرى فى ٣٢١ ق .م ثم اعترف بطلميوس بأنتيباتير وصيا ، واتفق انتيباتير مع انتيجونوس لتعقب ايومينيس ، لكن وفاة انتيباتير فى ٣١٩ خلقت موقفا جديدا اذ لم يكن خليفته بوليرخون على وفاق مع بطلميوس وانتجونوس فاستولى بطلميوس على سوريا واحتل انتيجونوس فريجيا وليديا ، كما استولى كاسندر على بيرايوس واثينا ومقدونيا واعدم اوليمبياس ام الاسكندر واخاه فيليب اريدابوس وسجن روكانا زوجة الاسكندر مع ابنها الاسكندر الرابع حيث قتلا فيما بعد فى ٣١٠ ق .م ، وفى ٣١١ ق . م حاول القواد الى اتفاق فيما بينهم الا ان هذه الحاولة لم تسفر عن شىء جديد الا تأكيد الحرب بين انتيجونوس وسليوكوس وفوز كاسندر بعرش مقدونيا ، واستمرار بطلميوس فى توسعاته فى حوض بحر ايجه وفى الفترة من ٣١٥ الى ٣٠٧ ق . م استطاع انتيجونوس الاستيلاء على سوريا ، لكن بطلميوس هزم ابنه ديمتريوس عند غزه فى٣١٢ ق . م بعد أن كان بطلميوس قد احتل الكيكلاديس وبعض اجزاء من شبه الجزيرة البلوبونيز فى ٣١٣ ق . م وفى ٣٠٧ اتخذ انتيجونوس الاول لقب ملك فحذا حذوة بطلميوس وسليوكوس وكاسندر واليسماخوس وهكذا تأكدت نهائيافكرة تقسيم امبراطورية الاسكندر .

وفى ٣٠١ بعد معركة ابسوس الشهير فى فريجيا هزم انتيجونوس هزيمة ساحقة وقتل على ايدى الحلفاء الثلاثة كاسندر وليسيماخوس وسليوكوس ، مع استثناء بطلميوس الذى

حاول الابتعاد بقدر الامكان عن حروب الخلفاء حتى يتمكن حكمه في مصر ، وبالتالي آلت سوريا الى سليوكوس ، وغرب آسيا ووسطها الى ليسيماخوس ، ومقدونيا الى كاسندر ، واستولى بلايستارخوس على جنوب أسيا الصغرى ، اما بطلميوس فقد أكد سلطانه على مصر واستولى أيضاً على جنوب سوريا ، وفيما بعد فيما بين ٢٧٦ - ٢٧٥ استطاع انتيجونوس استرداد مقدونيا واسس أسرة حكمتها حتى ١٦٨ ق . م ، بينما استمرت اسرة السليوكيين تحكم سوريا حتى ٦٤ ق . م حين حولها بومبيوس الى ولاية رومانية ، على حين كانت اسرة البطالمة في مصر من أطول الاسر بقاءا فقد حكمت ما يقرب من الثلاثة قرون حتى ٣١ ق . م وهو تاريخ دخول اوغسطس مصر حيث اعلنها ولاية رومانية ذات وضع خاص تابعة له شخصيا ، وذلك بعد انتصاره على كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة وحليفها ماركوس انطونيوس في موقعة اكتيوم البحرية عام ٣١ ق . م



الفصل الثانى

الدوله السلوقيه فى الشام

لقد ظهر أهمية تاريخ السلوقيين فيما بذله أوائل ملوك تلك الأسرة من جهود لتعمير معظم آسيا الغربية بالمدن والمستوطنات الإغريقية : وهى من أعظم أعمال العالم العتيق وأدعاها للدهشة . وقد ظلت مادة ذلك التاريخ أمداً طويلا بتراء ناقصة بل متناقضة متضاربة فى الغالب ، ومع أن أعمال البحث والتنقيب قد ساعدتنا إلى حد ما ، إلا أن الكتلة الكبرى للأبحاث الحديثة – بغض النظر عن المدن اليونانية القديمة بآسيا الصغرى – قد ألقت ضياء كاشفاً على العهد البارثى المتأخر ونظيره الرومانى ، بدلا من العهدين البنائين لسلوقوس وابنه ، وسندلى إليك بخلاصة موجزة لهذه الأبحاث الحديثة مستقطين منها فلسطين فقد استطاعت البعثة الفرنسية بعد حوالى ثلث قرن من البحث والتنقيب بمدينة سوس (Susa) العيلامية القديمة أن تعثر على ذخيرة ذاع صيتها الآن حاوية للنقوش الإغريقية ولا تتناسب قيمتها العظيمة بالنسبة للمؤرخ مع حجمها بأية حال . وقد كشفت بعثة أمريكية اللثام عن مجموعة ضخمة من المنازل فى ساوقيا وحصلت على أشياء صغيرة كثيرة لها قيمة تاريخية – منها العملة والأختام (Bullae) والتماثيل الطينية . وجمعت حفائر أوروك (Uruk) طائفة جمة من الأختام ، وأظهرت مدى عناية السلوقيين بمعاهد الأهالى وعقيدتهم على حين عاونتنا الوثائق البابلية على تعرف ما كان لديهم من طرق التأريخ والتجارة والاقتصاد بوجه عام . وتحاول بعثة فرنسية فى هذه الأيام أن تحدد موضع مدينة باكترا فى وادى بلخ الفسيح المقفر الذى كان فى يوم من الأيام جنة من جنات الأرض ، وقد وجدت على قطعة من الشقافة أول نقوش يونانية من باكترا ، وهى الحروف (Atpos) . وتمت أعمال البحث والتنقيب فى دورايوريوس على نهر الفرات بدقة وتقص ليس بعدها غاية ، حيث عمل بها العلماء الفرنسيون أولا ثم الأمريكيون ، حتى توصلوا إلى صورة مدهشة لها فــــى أيــامـهـا

المتأخرة ، ولكنها لم تضف إلا القليل إلى ما تعرفه عن مدينة هللينستية فى ذروة ازدهارها ، وذلك فضلا عن قانون حق الإرث والملكية (فى الأرض) (الفصل الرابع فيما يلى) وبعض تفصيلات عن المبانى . ولكن لا يفوتنا أن ننوه بأن دقة التنقيب ربما كانت هى السبب الذى يجعل المكان يبدو أهم كثيراً مما هو فى الحقيقة . فأما النتائج التى أمكن الحصول عليها فى أنطاكية فترجع إلى العهود الرومانية .

وقد ألمت برقعة المملكة السلوقية ذاتها تقلبات كبيرة فإن سلوقوس الذى صار حاكما لبابل منذ ٣١٢ ، غزا الشرق وفقد بلاد الهند قبل ٣٠٣ ، ولكنه استولى على شمال سورية وأرض الجزيرة فى ٣٠١ ، وعلى قيليقية فى ٢٩٦ وعلى آسيا الصغرى كلها فيما عدا الممالك الوطنية وبضعة مدن معينة فى ٢٨١ ، وبذلك توطد لابنه وحفيده ملك عريض على إمبراطورية تمتد من إيجه والبحر المتوسط إلى التركستان وأفغانستان . ولكن الذى حدث بين ٢٥٠ ، ٢٧٧ فى أثناء قيام المملكتين الإغريقية الباكترية (والبارثية) وتأسيسهما بالتدريج ، هو أن الدولة السلوقية فقدت كل شىء شرقى ولايات ميديا وسوسيانا وبرسيس وكرمانيا . على أن أنطيوخوس الثالث مالبث فى ١٩٨ ق .م أن استولى من مصر على بقية سوريا . ولكن هزيمته أمام الرومان أفقدته فى ١٨٩ آسيا الصغرى ماعدا قيليقية . غير أن السلوقيين كانوا لا يزالون يحكمون إمبراطورية عظيمة حتى تمخضت وفاة أنطيوخوس سيديتس (Sidetes) فى ١٢٩ عن ضياع بلاد بابل ومملكة يهوذا (Ujdaea) من يد الدولة نهائياً وأنزلتهم إلى مرتبة أسرة حاكمة محلية بشمالى سوريا . ومن سوء الحظ أننا لا نعرف إلا أقل القليل عن سوريا الشمالية ، الموطن الأصلى الحقيقى لتلك الأسرة ، ولا بد من استقاء القدر الكبير من معلوماتنا عن الشطر الغربى منها ، من آسيا الصغرى ومصادرها .

وكانت الإمبراطورية السلوقية تمتلك ثلاثة مراكز حيوية منفصلة : أيونيا وقصبتها سارديس وسوريا الشمالية ثم دولة (بابل) ، فأما ماعدا ذلك فممتلكات من الدرجة الثانية من الأهمية ، ولئن كانت أنطاكية قصبة سوريا الشمالية ، فى أحسن موضع منه إلى المركزين الآخرين ، فإن مدينة سلوقيا الواقعة على الدجلة كانت أيضاً عاصمة لا تقل عنها كثيراً فى الأهمية . وقد مرت على أرض آسيا الغربية موجات كثيرة من الغزاة ، وتركت كل منها رواسب وبقايا وراءها . وكانت تقوم إلى جوار ثقافات بابل وفارس أجناس أخرى تتصف بالهمجية البدائية ، وذلك على حين كان الساحل فى يد المدن اليونانية بآسيا الصغرى والمدن التجارية الكبرى بفينيقيا . وفرضت فارس على البلاد ضرباً من شبه الوحدة إلى حد ما ، وذلك فى خارج نطاق المدن الإغريقية ، كما أن النظام الإدارى السلوقى استؤصلت شأفته من بعض النواحى فى المنطقة الأكمينية ، كما استؤصلت شأفته من المنطقة الآشورية من قبل . ولذا كان هناك ضرب من تتابع الحوادث والاستمرار التاريخى ، وإن تغير على المسرح كل من الحكم والثقافة المتسلطة . ومن مظاهر الحكم السلوقى بعث بلاد بابل ونهضتها على يديه ، وكانت ثقافة بابل للسلوقيين أشبه بالثقافة المصرية بالنسبة للبطالمة على حد سواء ، فابتعث الأدب المسمارى وذلك كله فضلا عن تدوين الجهود العلمية فى الفلك (الفصل التاسع) ووثائق الأعمال التجارية ، وسطرت المدونات التاريخيه المسجلة للأحداث الجاريه ، كما كتبت بالشعر رطازات (Myths) القوم وأساطير هم ، ومن بين الأساطير الشعرية ما يمضى بقصة الرب بعل مردوك منذ نهاية ملحمة الخليقة . وكثيراً ما كانت شعائر الطقوس والترانيم ومدونات الفأل والطيرة وبخاصة هذه الأخيرة ، تنسخ وتدرس ، شأن ترانيل سومر وترجماتها البابلية . وقد عثر على كثير من التعليقات ومدونات التهجى مع وجود صورة جديدة للأخيرة ، الظاهر أنها كانت مما يستخدمه اليونان ، ويرجع

تاريخ آخر وثيقة مسمارية باقية حتى اليوم إلى عام ٧ ق .م ويشير ويشير هذا النشاط إلى نهضة دينية تعهدها الملوك الأولون بالرعاية ، ونفذ أنطيوخوس الأول تماماً مشروع الإسكندر بتجديد بناء " الإنراجيل " وهو معبد " بعل " في بابل الذى كان إجزرسيس قد دمره ، كما أعاد بناء معبد نيبو " Nebo " في بورسيا ، على حين أهدى إليه بيروستوس كاهن بعل ، مؤلفة في التاريخ البابلي . وفي عهد سلوقوس عثر أحد كهان أوروك - ولعل ذلك كان تلبية لطلب الملك - بمدينة سوس على الشعائر القديمة لآلهة أوروك وانتسخ منها نسخاً عديدة ثم أعيدت عبادة تلك الأرباب سيرتها الأولى واعيد بناء معبد " أنو " في أروك عام ١١٠ بحسب التقويم السلوقى أى (٢٠١) ، في عهد أنطيوخوس الثالث ، وفوق هذا بنى السلوقيون مبانى كثيرة بتلك المدينة أو شجعوا الناس على فعل ذلك . وجمع كهان أوروك كذلك مكتبة لمعبدهم . وقد أظهرنى المستر سمث على أن السلوقيين كانوا يناصرون الدين البابلي كحصن يصد غائلة الزرادشتية عقيدة القومية الفارسية ، والواقع الذى لاريب فيه أن نقطة الضعف الرئيسية التى قطعت أوصال الإمبراطورية هى أنه تعاونه شيء حيوى . حتى إذا وافى انتفاض الشرق على الدولة كان من ناحيته تمردا من الريف وعقيدته موجهة ضد سكان الحضر من اليونانيين والبابليين .

وكان السلوقيون أنفسهم كالأكمينيين يرون أن إمبراطوريتهم تحتوى على العناصر الأربعة وهى الملوك التابعون والأسر الحاكمة والشعوب والمدن ، وسندلى إليك الآن في إيجاز بنظرة عجلى على تلك الإمبراطورية وهى في أعظم مابلغته من اتساع مع غض النظر عن شرقيها الأقصى . بالشكل المألوف هى : فريجيا على الهللسبونت وفريجيا وليديا وكاريا وقيليقية وكبادوكيا الجنوبية وهى (كبادكيا السلوقية) ومعها كاناؤنيا ، أما ليقيا فكانت تابعة

لمصر ، كما أن سواحل أيونيا الجنوبية وكاريا وبامفيليا وقيليقية الغربية قد استولت مصر عليمن جميعاً قبل ٢٧٢ . وكانت قبضة مصر على تلك البلاد فى تأرجح وتذبذب على حين لم تتمكن قبضة السلوقيين تماماً من خط السواحل حتى عام ١٩٧ . وكانت تحجب الإمبراطورية حجباً تاماً عن البحر الأسود دول ثلاث : هى مملكة بنطش الوطنية أو كبادوكيا الشمالية (وتضم قدراً كبيراً من بفلاجونيا) وبيثينيا ، وبينهما مدينة هرقلية الإغريقية القوية ، التى كانت منطقتها تضم بلداناً أخرى كثيرة هى تيوس وكيريوس وأما ستريس . وكانت كل من بيثينيا وبنطش تخترق فريجيا الشمالية ، وما لبثتا بعد ٢٧٥ بقليل حتى وكنتا حلفاءهما من الغاليين المغيرين فى ذلك الإقليم (غلاطية) ، وماعتمت كمادوكيا الجنوبية حتى جعلت من نفسها فى أواخر القرن مملكة وطنية تحت حكم " أريارائيس " ومنذ ٢٦١ شرع أمراء الأسر البرجامية فى اقتطاع إمارة صغيرة فى أيوليس . ولم يتمكن أحد من إخضاع بيسيديا – وهى أرض الهضبة فى جبال طوروس وكانت تحكمها أسر صغيرة الشأن ، على أن مدينة سلجى شبه اليونانية كانت من القوة بحيث قاومت كل محاولة بذلها السلوقيون أو غيرهم للمساس باستقلالها . حتى إذا تقدم القرن وجدت أن أسرا مالكه قد وضدت أقدامها خارج يسيديا شأن أسرة أو ليمبيخوس بكاريادبيت ليسياس المقدونى حولى فيلوميليوم بفريجيا ، ثم أسرة مواجيتس الوطنية (منذ ١٨٩) بمدينة كيبور ا الآهلة بالسكان . والمناطق الوحيدة التى كان للسلوقيين بها قدم موطده باسيا الصغرى هى فريجيا على الهللسبونت وليديا وكاريا الداخلية وفريجيا الجنوبية وقيليقية الشرقية والطريق الملكى ، وهو السكة العامة الكبرى الموصلة بين ساردیس وأنطاكية . حتى إذا توفى سلوقوس لم يعودوا قط إلى الضغط بسلطانهم على الأسرة الحاكمة الوطنية الصغرى ، نظرا لما كانوا يرمون إليه من إيجاد العلاقات الطيبة عن طريق المعاهدات والمصاهرات . وفضلا عن الغالة

، فإن عدوهم الدائم اللدود الأوحد كان برجامة . فأما فى سوريا فكان لهم السيادة بصفة عامة على البلاد شمالى لبنان ، بما فى ذلك أرادوس ببلاد فينيقيا ثم دمشق من حين إلى حين . على أن الحدود بين ممتلكات السلوقيين والبطالمة بسوريا ظلت غير ثابته والراجح أن الولاية الوحيدة التى بقيت تابعة لهم بصفة دائمة شمالى سوريا وأرض الجزيرة كانت كوماجينى ، وإن كان بعض حكام أرمينية يدفعون الجزية بين حين وآخر .

وعمل السلوقيون بسنة الإسكندر فاحتفظوا بالساترابيات الفارسية الكبيرة مع إضافة حرفى الياء والألف (ai) فى آخر كل كلمة ، ولكنهم كانوا يقسمون البلاد دوراء الفرات إلى أقسام ثلاثة هى الساترابية الإبارخية والهيبارخية (القسم أو الدسكرة) التى تقابل تقسيم مصر الثلاثى إلى نوم (الإقليم) وتوبوس (المزكر) وقرية ، ولكن لما كانت إمبراطوريتهم أوسع من مصر سعة هائلة ، ولما كانت الهيبارخية ربما انطوت على جسيم من القرى ، فإن تنظيمها كان بحكم الضرورة مفككا أكثر منه عند البطالمة (وتقسيم بعض الهيبارخيات إلى استاثماث الذى أخذ عن إيزيدور الخاراكسى ، يرجع إلى البارثيين) وربما كان لهذا التقسيم الثلاثى بالبلدين مصدر واحد مشترك ، فإن كان الحال كذلك فإن حقيقته مجهولة على حال ، ذلك أن الإبارخية قد تكون شيئاً قديماً أو شيئاً استحدثه الاسلوقيون على حد سواء . وكان الاسم الشائع للإبارخية ينتهى بحروف (ene) وإن أمكن أحياناً أن ينتهى بحروف (iane) أو (ia) أو (itis) . ويرجع الفضل فى تمييزنا للإبارخية إلى مجموعة الأسماء المنتهية فى آسيا بحروف (ene) ثم مالبثت أن صارت أهم الأقسام السلوقية الصغرى . وعندما أخذت الإمبراطورية تتفكك إذا بالدول التى خلفتها تحول بزعامة البكتيريين الإغريق (Graeco - Bectrians) والبارثيين جميع إبارخياتها إلى ساترابيات ، أى أقســـــام

أولية كبرى . ولما كانت كل إيبارخية سلوقية محتفظة بنظامها الخاص ، ولها حاكم (يتبع قائد الساترابية) وله موظفو مو مقره الرسمي ويطلق عليه (Basileion) ، فإن بعض حكام الإيبارخيات مثل هيسباؤسينيس الميسيني ، استطاعوا أن يحولوا إيبارخياتهم بأنفسهم إلى ممالك مستقلة مع إنشاء أقسام صغرى جديدة ينتهي أسماؤها بالحروف الآتية (ene) . حتى إذا وافى القرن الأول إذا بأراضى آسيا فيما وراء الفرات وهى التى كانت تابعة للسلوقيين ، قد أصبحت مزيجاً مخلطاً من أسماء تنتهى بحروف (ene) ، وقد صار معظمها إذ ذاك أقساماً أولية كبرى ، وأصبحت لفظة إيبارخيا هى الترجمة العادية المقابلة للفظه (provincia) اللآتينيه بمعنى الولاية . وكثيراً ما اختلط الأمر على رجال الأدب فلم يفرقوا بين الإيبارخيات والساترابيات السلوقية القديمة ، وذلك لأن الأقسام التى تنتهى أسماؤها بحروف (ene) كانت فى أيامهم هم ساترابيات ، إذ لا شك أن ما يذكره أبيان مثلا من ساترابيات سلوقية عددها ٧٢ لا يعنى سوى الإيبارخيات . ولعل نظام الإيبارخيات الذى كان مقصوراً فى بداية الأمر على الساترابيات الواقعة شرقى الفرات قد امتد فيما بعد غربى ذلك النهر إلى كباروكيا وبنطش ، كما أنه امتد على التحقيق شمالا بأرمينية وليست أية واحدة منها بالتى ينطبق عليها بالضبط اسم الدول التى خلقت السلوقيين (Sucession Statesene) ، ومما يدل تماماً على أن أرمنية كانت تنقل نظاماً معروفاً ، إنشاؤها لأسماء خيالية عجيبة بحروف (ene) مثل اجزرسيني وقمبيزيني تطلقها على أقسام جديدة بلادها . ووقف إقليمان بمعزل من ذلك كله : هما آسيا الصغرى غربى نهر الهاليس ، حيث لا وجود لهذا النظام إلا بقية للأسماء الساترابية القديمة ، ثم سورية التى يغشى الإبهام آثار ذلك النظام فيها . أجل إن بوسيدونيوس يطلق على المدن السلوقية الاربع بشمالى سورية اسم الساترابيات ، ولكن الراجح أن ذلك لا يشير إلا إلى قسم ثانوى صغير من الدولة السلوقية

عندما أخذ الحكم السلوقى فى التداعى . وربما جاز لنا أن نرتاب فى أن السلوقيين حولوا جنوب سورية وبلاد اليهودية إلى ساترابيتين وقد كانتا تبعتين للبطالمة حتى عام ٢٠٠ ثم تظهر أقسام يطلق عليها باليونانية (Merides) ، وهى شىء مجهول كما هو ظاهر بكل بلاد آسيا فيما عدا بلاد الهند الإغريقية تحت حكم أسرة ساكا (Saca) ، كما أن " اليهودية " نفسها أصبحت دولة كهنة تابعة للسيادة السلوقية . وقد ادعى الكثيرون أن هناك وزنا كبيراً للمعلومات التى استقيت من " اليهودية " ، وذلك لمجرد وجودها ، أجل إن كتاب اليهود قد أكثروا من القول ، ولكن لا ينبغى أن تؤخذ أقوالهم قضية مسلمة موثوقاً بصحتها . ومهما يكن من شىء فإن الظروف الخاصة المحيطة بتلك الولاية ليس من الضرورى أن تلقى نوراً يبين لنا أحوال الإمبراطورية فى جملتها .

وكان حكم ملوك السلوقين استبدادياً استبدادياً مطلقاً من الناحية النظرية . ولكن الواقع الحقيقى أن حكمهم المطلق كان مقيداً بضرورة احترام الحقوق التى وهبوها هم أنفسهم للمدن والمستقرات العديدة التى أنشأوها ، وأكبر شاهد على احترامهم لها محبة الناس لهم . ومعلوماتنا عن الموظفين الذين كانوا يديرون شئون الإمبراطورية ضئيلة لا تغنى . وقد كان الاعتقاد الشائع فى وقت ما أن كل ساترابية كان لا يحكمها ساتراب بل قائد (Strategos) ، وكانت له سلطة عسكرية . وذلك لأن كل ساترابية كانت تضم قبائل جبلية أو عناصر اخرى لم يتم إخضاعها لسلطان الدولة . ولكن هناك نظرية أخرى قوية قامت فى الآونة الأخيرة تقول بأن كل ساترابية كانت تحتوى على ساتراب وقائد . وبديهى أن الموضوع والأدلة عليه كليهما غامض وليس هنا مجال بحثهما . وكان يهيمن على الإمبراطورية وزير " للشؤن " (ho epi Ton pragmaton) من الجلى أنه كان المقابل للوزير عند الفرس ، ولكننا لا نسمع

عنه الشيء الكثير قبل عهد أنطيوخوس الثالث . وثمة وزير آخر يسمى " المشرف على الإيرادات والدخل العام . (ho ebi Ton prosodon) وربما كان على رأس الإدارة المالية للإمبراطورية ، بيد أن تلك التسمية فى بعض الأحيان تدل فيما يبدو على موظف صغير تابع . فأما الوظيفة التى كانت تقابل لقبى مدير الشئون الاقتصادية (oikonomos) ووزير المالية (Dioiketes) فهذا أمر يحوطه الغموض . وكان السلوقيون - شأنهم شأن أنتيجونس الأول - يحذون وإن كان ذلك على قلة - حذو الإسكندر فى استخدام الفرس حكاماً للأقاليم . وقد حافظوا على نظام البريد الفارسى ، ولعلهم بذلوا شيئاً من الجهد فى تحسين مجموعة الطرق الفارسية .

وكان هناك دار لتسجيل الأرض فى كل هيبارخية ، وظيفتها تحديد تخوم القرى والممتلكات ، وتجمع من هذه الدور سجلات الساترابية التى كان يقوم عليها اصمة الساترابية مسجل فى ديوان يسمى " دار السجلات الملكية " ، ثم تجمع من دار التسجيل بالساترابيات السجلات المركزية التى يستخدمها الملك . وكما أن الهيبارخية كان لها قصبة ينزلها الحاكم Basileion فلا بد أنها كانت فيما يلوح ذات دار لتسجيل الأراضى تقع بمنزلة وسط بين دار تسجيل الهيبارخية والساترابية ، وإلا فمن العسير أن نتصور ماذا كان يحدث عندما كانت ولا الساترابية تقدم الحدود التفصيلية ، كما أن دور التسجيل المركزية لم تكن تحصل دائماً على المعلومات أولا بأول بسبب بعد المسافات . وكان ذلك النظام هو نفس النظام المصرى الذى تكون فيه (الهيبارخية) هى الوحدة بدلا من القرية . ولعل من الواضح أنه بالنظر إلى شدة اتساع رقعة الدولة لم يكن السلوقيون يستطيعون ألبتة أن يجمعوا صافى ضرائبهم بنفس الدقة التى كان يجمعها بها البطالمة . وقد أدخلت الإدارة

حنظام البيع تسجل فى بعض المدن السلوقية ، بل لعلها كانت تسجل فيها جميعا

وكانت علاقة الملوك السلوقيين بالأرض فى كل من أسيا الصغرى وسورية متأصلة ترجع قواعدها إلى أعماق التاريخ . ويحتمل أن كل الأرض أو جلها كان يملكها فى الأصل عدد من دول الكهنة ، كما أن تاريخ البلاد قبل عهد الإسكندر لم يكن إلا سلسلة متكرره من الاعتداءات على تلك الدول ، يقوم بها الفاتحون المختلفون الذين كانوا يجلبون معهم عقائدهم . ولو تجاوزنا عن ذكر سكان المناطق الجبلية المستقلين كالبيسيديين مثلا ، لوجدنا الأرض تنقسم أقساماً ثلاثة أرض الملك أرض المعبد أرض المدينة وهى أرض المدن الإغريقية القائمة ، ولكن السلوقيين ادعوا ملكية أراضى المعابد بوصفهم ولاة الدولة الأعلين ، ولذا لم يكن هناك فى عهد السلوقيين إلا أرض الدولة (الملك) وأرض المدينة . ولا بد أن أرض الملك كانت تحتوى على معظم أراضى القطر كما تضم دون ريب كل المناجم والغابات التى لا تقوم على أرض المدن . أما أرض الملك فكان بعضها ملك يده وبعضها الآخر جرى منحها لكبار ملاك الأراضى من الأهالى والفرس . وربما كان بعض هذه العائلات المالكه للأراضى أقدم عهداً بكثير من الحكم الفرسى ، كما أن بعضها دام حتى العصور الرومانية . و لكن الملك كان السيد الإقطاعى عليهم ، كما أن الملكية الفعلية للأرض كانت له . وكان أصحاب الأراضى هؤلاء يعيشون كبارونات القرون الوسطى فى قلاع يمتلكونها – وهى مربعات محصنه تبنى حول فناء – كما كانوا يحتفظون من الأتباع ويجمعون الضرائب من أراضيهم ويرفعونها إلى الخزانة العامة .

وكان السكان الحقيقيون للأرض الزراعية فى كل مكان هم الفلاحون الأهالى الذين

يسكنون القرى ، وهم طبقة يندر أن تتغير مهما مربها من غـزاة غدواً وذهابا . وحيث كـانت الأرض أرض الملك في يده ، كان الفلاحون الذين هم رجال الملـك ، يزرعونها ويدفعون ضرائبهم للموظفين . وحيث كانت الأرض موهوبة رسمياً لا رجال ذلك المالك ، وإن دفعوا الضرائب عن طريقة . ولم يكن الفلاحـون أشباه موالى أرض كحالهم في مصر بل موالى أرض تماماً يباعون ويشرون مع الأرض ، ولم يكونوا يستطيعون مغادرة موطنهم المخصص لهم . ولم يكنلقراهم هيئات أو مجالس . وكانوا يدفعون الضرائب موظف مسئول . ولكن إذا حصلت إحدى المدن الإغريقية على الأرض ومعها الفلاحون فكثيراً ماكانت الأحوال تعدل ، وما ندرى على وجه التحقيق أكان ذلك بتحرير موالى الأرض قصداً وعمـداً أو بحكم سير الأمور في مجرى تطـو رها الطبيعى ؟ ومع ذلك فربما ظل الفلاحـون في بعض الأحيان موالى أرض كما حدث في زيليا لعهد الإسكندر ، ولكنهم كـانوا يصبحـون على الإجمال مستوطنين وراثيين أحراراً (Katoikoi) يدفعون الضرائب للمدينة ، كما أن قراهم اخذت في بعض الحين تسعى إلى الحصول على ضرب من الحياة الجماعية ، وكان هـؤلاء يؤلفون قسما آخر يختلف عن العبيد الزراع في لا كونيا مثلا . ومن ثم فإن المدينة الإغريقية كـانت نعمة على الفلاح الأسيوى وكانت تهدف إلى رفع مستواه ومنزلته .

ولم يحرر السلوقيون موالى الأرض ، ولكن ربما كان لديهم قضاة خاصون لفلاحى الملك ، وبذلك كانوا من الحكمة بحيث فصلوا بـين القضاة والإدارة ، وقد ابتدعـوا ثلاث وسـائل عملت باطراد على إنقاص رقعة مناطق رق الأرض ، وربما أدت في النهاية إلى إلغائه نهائياً . وأول هذه الوسائل هى المدن الإغريقية التى أسسوها والتى حولت أرض الملـك إلى أرض مدن على نطاق واسع . وثانى تلك الوسائل أنهم كانوا على اسـتـعـداد – بعكـس

البطالمة - أن يهبوا أرض الملك أو يبيعوها بصورة تامة ونهائية ، على شريطة أن يعمل الممنوح على ضم أرضه إلى إحدى المدن وجعلها أرض مدينة ومن الطبيعى أن المدن كانت راغبة تماما فى زيادة رقعتها . ونالت تلك الوسائل عملهم على إلغاء ملاك الأرض الإقطاعيين ، وهو أمر ترتب عليه إلغاء حالة كانت تنطوى أو تكاد على امتلاك موالى الأرض امتلاكا خاصا. وقدشرع يومينيس صاحب كارديا وانتيجونس الأول فى نقل المزارع الإقطاعية إلى يد الإغريق أو المقدونيين ، ولم تلبث المزارع الإقطاعية وقد نقلت إلى ملاك جدد فى عهد السلوقيين الذين كانو يناصرون المدن بكل افئدتهم ، أن انجهت إلى الانضمام إلى المدن لتصبح بذلك أرض مدن ، والظاهر أنهم لم يستطيعوا التغلب فى بيسيديا وكبادوكيا وبنطش على أرض المزارع الإقطاعية فاستمرت على الرغم منهم تماما إلى العهد الرومانى . وحيما أصبحت الأرض أرض مدينة ، صار من المحتمل الا يظل يظل الفلاح مولى أرض ، بل لا شك أنه لم يكن يستمر فى ذلك الوضع . ولا بد أنه كان لذلك أثره فى الفلاحين بأرض الملك الباقية ، وذلك لأن هؤلاء الفلاحين كادوا يصبحون فى صدر عهد الإمبراطورية الرومانية مستوطنين ، كفل لهم نظام جماعى ، بل الواقع أن مجموعة من قرى سورية (هى منطقة حوران) قد حصلت على نظام يحاكى إلى أقصى حد نظام آية مدينة إغريقية . ولعلهم ظلوا فترة من الزمن ينعمون من الناحية الاقتصادية بما يفوق ماكان لدى سكان أراضى المدن . على أنهم انحدروا عن منزلتهم وعادوا سيرتهم الأولى فى ظل العهد الأخير من الإمبراطورية الرومانية ، حتى لقد ظهرت الملكية الخاصة لموالى الأرض نفسها من جديد بآسيا فى عهد جستنيان .

وكانت دول المعابد القديمة ، الكبيرة منها والصغيرة ، مفرطة فى كثرة عددها ، كما كان

بعضها لا يزال يمتلك قدراً عظيماً من الأرض وكلها ترجع إلى نظام اجتماعى يسبق العهد الآرى قوامه نظام الأمومة ، وهو أمر غريب تماماً عن الأفكار اليونانية أو الفارسية . والراجح أنهم كانوا فى الأصل يعبدون جميعاً ربة الخصب العظيمة بآسيا وزميلها الرب الذى كان فى نفس الحين ابناً لها وزوجا . وإلى هذه العقيدة القديمة يمكن أن ترجع عادة زواج الأخ من أخته الشقيقة التى أمكن تتبعها فى عدد جم من الأسر المالكة بغربى آسيا – ومن أشهر الأمثلة على ذلك أسرة ماوسوللس بكاريا – التى لعلها هى السبب فى أن ملكات السلوقيين ومن ورائهم النبط كن يلقبن رسمياً بلقب الأخت (الفصل الثانى) . وثم أثر آخر لتلك العادة استمر طويلا ، هو أن النقوش اليونانية التى وجدت فى فريجيا لا تذكر أحياناً إلا اسم الأم وحدها أو تذكر اسم الزوجة سابقاً على اسم زوجها . وقد غزت آلهة أجنبية بعض هذه البيوت المقدسة ؟، ولكنها خضعت مع ذلك للنظام القديم المرعى ، حتى إذا وافى العصر الهللينستى كان تأثير تجمع الفكرات الهندو – أوربية بعضها إلى بعض ، من فريجية وفارسية وإغريقية ، قد بلغ من القوة بحيث رفع اسم الرب احياناًعلى حساب الربة ، كما طبع بعض الأسماء بالطابع الهللينستى (الفصل العاشر) . وكثيراً ماعرف حاكم دولة المعبد وهو كبير كهنة يتولى منصبه بالوراثة ، كيف يتتبع نسبه حتى يصل به إلى أحد أبطال عصر الرطازات أى الميثولوجيا الإغريقية . ولكن النظام لم يتغير قط . فإن الكاهن كان يحكم أراضى دولة المعبد بما عليها من فلاحين هم " فلاحو الرب " وإليه كانوا يدفعون الضرائب . فأما قرية المعبد نفسها فكانت تحوى عدداً من الرجال وهبوا أنفسهم للإله ، وهم فى بعض الحين من الخصيان . ولكن الظاهرة التى أثارت دهشة اليونان أيما إدهاش هى وجود تلك الجمهرة الغفيرة من رقيق المعبد الإناث اللاتى كانت كثيرات منهن بغايا مقدسات يقمن على خدمة ربة الخصب وعبادتها . وهن فى العادة من بنات موالى الرب ، اللاتى كن يخدمن فى

المعبد إلى حين قبل أن يصبحن زوجات للفلاحين ، ذلك أن الأرض ومن عليها من أناس يعيشون بقوة الربة ، لذا فإن تقديم الابنة بغية المعاونة فى نشر سلطانها لم يكن إلا شيئاً ينطوى على الشعور الطيب نحو المجتمع ، لذا كانت النساء يفخرن بأنهن ينحدرن من سلسلة من عاهرات المعبد . وكان المعبد غالباً ما يقوم بدور البنك المحلى ، كما أن قريته مسرحاً لسوق سنوية عظيمة .

وربما جاز لنا أن نذكر أشهر دول المعابد وآلهتها ، وإن كان معظم دول المعابد الكبرى يقع خارج حدود السلوقيين . ففى كبادوكيا كانت " ما " من كومانا (أى موضع التراتيل) ولها ستة آلاف من عبيد المعابد من الرجال والنساء ، وكان هناك زيوس من فيناسا ، وله ثلاثة آلاف ، وذلك عدا " أرتميس بيراسيا " فى كستا بالا هيروبوليس التى كانت كاهناتها يستطعن المسير فوق الجمر المتقد وفى بنطش كانت تعبد الربة " ما " من كومانا يونتيكا التعى كان لها ستة آلاف من رقيق المعبد مع تحريم شديد للخنزير ولحمه ، كما تعبد أنائتس من زيلا ، و " مين " فارناكو (مع سيلينى أو القمر) من كابيريا ، وهى التى كان ملوك بنطش يقسمون بها رسمياً . وكانت بفريجيا معبودة هى كيبيلى أجد يستس وثمة آتس فى ببسينوس ، وهناك ليتووليرينوس وتعبدان بالقرب من ديونيسوبوليس ومين كارو بالقرب من أتو داو الأم ديندمينى بالقرب من يسنيوس وفى نطاق كيزيقوس ، وزيوس من أيزائى . وهناك أيضاً معبدا " مين " أسكايئوس (مانيس من أورامنا) وسيلينى (القمر) قرب أنطاكية البيسيدية . ثم الأم زيزمينى فى ليكاؤنيا ، ومين تيامو أو التيرانى والأم أنائتس من ليديا ، وزيوس من أولبابكليكيا . وعدد آخر عرف من النقوش ، بما فى ذلك الأماكن المختلفة المسماة هيروبوليس أى "> مدينة المعبد " التى تصبح هيرابوليس أى " المدينة المقدسة " إذا كان

النفوذ اليونانى قويا – وهو تفريق جوهرى بين الكلمتين . ولم تكن أرتميس من إفيسوس سوى ربة الخصب التى ألحق معبدها القديم بمدينة إغريقية . وظل ذلك المعبد طويلا حكومة داخل الدولة فى إفيسوس بما له من كبير كهنة يلقب بملك النحل (Megabyzus) وسرب عظيم من الفتيات المتكرسات اللواتى كن أبكاراً عذراوات ، ولعلهن كن يعرفن بخلية النحل . وقد ظل المعبد كذلك حتى وضع ليسيماخوس إدارته فى يد لجنة إغريقية وألغى صورة النحلة من عملة إفيسوس . وكانت بشمالى سورية " دول كهنة " مماثلة لهذه كالتى قامت فى بامبيكى (مبوج) Bambyee وبايتو كايكى (Baetocaece) وإميسا (حمص) ، وامتدت إلى ألبانيا فى سفوح القوقاز الذى هو موطن لعدد كبير من بقايا الشعوب القديمة .

ومع أن السلوقيين الأول كانوا على استعداد لاحترام مشاعر رعاياهم الدينية كما أنهم فضلا عن المعبد الذى أعادوا بناءه بمدينة بابل قد شادوا معابد أخرى فى بامبيكى (مبوج) وأولبا ، إلا أنهم حاربوا السلطة الزمنية التى كان يستمتع بها الملوك الكهنة محاربتهم للإقطاع سواء بسواء . وكانت سياستهم تهدف إلى ترك الكاهن وشأنه فى دولة معبده – هو والمعبد وقرية المعبد ، مع القدر الكافى من الأرض لخدمة المعبد ، وصبغ ما تبقى من ممتلكات المعبد الزراعية بالصبغة الدنيوية الزمنية . ويرجح أن أنطاكية المواجهة لبيسيديا مثلا اقتطعت من ممتلكات (الرب) مين الأسكينى (Men Askaenos) التى كانت مترامية الأرجاء فيما سلف من الزمان . و مع ذلك فإن دول الكهنة تمكنت من الحيلولة دون تنفيذ تلك السياسة إلى غايتها القصوى ، وعاد السلوقين فى أيام اضمحلال دولتهم إلى توسيع رقعة بعض المعابد السورية وأعطوها حق إيواء اللاجئين (Asylum) ، وهو شيء مماثل لما

حدث بمصر . وقد اختفت بعض الكهانات الوراثية إبان فترة الاضطراب التى سبقت حكم أوغسطس ، وكان القواد مثل بومبى أومار كوس أنطونيوس يعينون الكهنة على هواهم ، فأعطى أنطونيوس دولة المعبد فى أولبا لإحدى النساء . ثم أصبحت زيلا وكابيرا وبعدهما كومانابونتيكا مدناً إغريقية رومانية ، وواصلت الإمبراطورية الرومانية اقتطاع أراضى المعابد إلى الحدالأدنى الضرورى . بيد أن بعض عائلات الكهنة الكبرى دامت حتى العصور المسيحية ، وكان منها فى الكنيسة أساقفة ممتازون .

وتدل الثروة التى جمعها الكمينيون (Achhaemenids) على أن غرب آسيا كان ينتقل فعلا من الاقتصاد العينى إلى أساس نقدى . ولا شك عندنا فى أن المدن السلوقية كانت من عوامل التعجيل بهذه العملية ، وإن كانت العملية تسير هنا على الراجح بخطى أبطا منها بمصر .كما أن الاقتصاد القائم على التبادل العينى لا شك أنه ظل هو الأصل فى كثير من نواحى الريف . ونظام الضرائب فى الإمبراطورية السلوقية موضع يحوطه الغموض . وبين أيدينا اليوم قائمة أغلب الظن أنها سلوقية ، استطعنا بوساطتها هى والأختام التى أمكننا استخراج أعداد جمة منها من مدينتى أوروك وسلوقية تكوين قائمة بالضرائب ولإن لم يكن معنى كل بند فى تلك القائمة التى اجتمعت لنا واضحاً دائماً . والقئمة تشمل رسوم الواردات (أى الضرائب جمركية) ورسوم الموانى ورسوماً دخولية فضلا عن ضرائب على الأسواق والمبيعات والماشية والملح وعلى الاستمرار فى ممارسة بعض أنواع الأعمال وتسجيل المستندات ، وهناك ضريبة التاج ، ثم ضريبة أخرى على الأرقام لا ندرى طبيعتها , وهناك فيما يحتمل ضريبة رءوس لا يمكن أنها كانت تجبى إلا من فلاحى الملك ، ولكن ذلك شىء غير محقق تماماً . ويجىء فى نهاية الأمر آخر تلك الضرائب وأعظمها أهمية

وهى ضريبة الأرض المفروضة على أرض الملك . وفوق ذلك كان الملوك يحصلون على الإيراد من ممتلكاتهم الشخصية ، كالمناجم والمحاجر والغابات ومن الجزية التى تدفعها المدن التى تفرض عليها الجزية . ومن المحتمل جداً أن نظام الضرائب لم يكن واحداً فى جميع الساترابيات بتلك الإمبراطورية المترامية الأطراف . أجل إن إقليم بابل (بابلونيا) ربما كان يختلف فعلا عن مألوف تلك القاعدة ، كما أن الكتاب اليهود يوردون بعض التفاصيل عن نظام الضرائب ببلاد اليهودية (Judaea) ، وهى تفاصيل ، إن صدقت ، دلت على أن ضرائبهم ثقيلة ثقلا خارقاً ، ومع أن نظريات كثيرة وضعت لتعليل ذلك ، فلابد من النظر إلى الأرقام بعين التحفظ ، وذلك لما جرى عليه كتاب اليهود من ميل إلى تمثيل السلوقيين فى صورة الطغاة الظلمة . ولا شك أن نظام الضرائب السلوقى كان " أقل إحكاما وأكثر مرونة " من نظام الضرائب البطلمى ، بل الواقع اعتماداً على ماعرفناه من معلومات ضئيلة أن الفوارق بين ذلك النظام والنظام المصرى كانت كبيرة جسيمة . ولم يصل إلى علمنا أى احتكارات ملكية للتجارة أو الصناعة لديهم ، ولم نسمع قط بأى ضروب من ضروب التذمر الدائم الذى كان يصدر من الفلاحين والعمال المصريين وكان طابعاً مميزاً لهم ، كما أن نظام جباية الضريبة الخطيرة الشأن وهى ضريبة الأرض على أراضى الملك كان يختلف تماماً . وبينما ظل الفلاح المصرى طوال عصر البطالمة يدفع مبلغاً سنوياً ثابتاً ، فإن السلوقيين واصلوا العمل بطريقة أخذ عشر المحصول ، وهى الطريقة السحيقة القدم بآسيا والتى عملت بها مصر لعهدى الفراعنة والفرس ، وبذلك كانوا شركاء حقيقيين للفلاحين يشاطرونهم الخسارة فى السنوات العجاف ، وهو أمر فاخر به ماركوس أنطونيوس عندما أخذ يؤكد فضل روما ومالها من أياد بيضاء باتباعها للطريقة السلوقية بأخذ عشر المحصول . ويحتمل أن جزءاً من ضريبة الأرض كان يدفع نقداً ، ولكن القدر كان يقدم عيناً كان كافياً

لجعل الملك تاجراً عظيماً للقمح . أما طريقة تصرف القوم فى القمح فأمر لا نعلمه ، اللهم إلا أن ضرائب كل ساترابية كانت تفيض إلى عاصمتها أنهاراً ، فتحول النقود إلى الخزانه المركزيه (Basilikon) ولكن بعد الشقة وصعوبة النقل كانتا ولامراء تحولان دون نقل القمح بهذه الطريقة ، ومن ثم لا بد أن القوم كانت لديهم مراكز عديدة . وكان على الفلاحين أن يقوموا بنصيب من العمل بطريق السخرة .

أما العملة فكان السلوقيون يحتفظون بها فى أيديهم وجعلوها العملة الأساسية فى الشرق ، وكانوا على وجه الإجمال يستخدمون المعيار الآتيكى كالإسكندر سواء بسواء ، ويحرصون حرصاً تاماً على أن يقصوا من إمبراطوريتهم نقد أعدائهم البطالمة الذين كانوا يستخدمون المعيار الفينيقى ، وإن استخدموه هم أنفسهم أحياناً . وكان هذان المعياران يقتسمان العالم بينهما (الفصل السابع) ولم يكن يسمح لأية مدينة سلوقية جديدة بأن تسك عملتها لنفسها ولا حتى العملة النحاسية اللازمة للفكة الصغيرة ، كما أن هؤلاء الملوك كفوا حوالى منتصف القرن الثالث عن سك العملة الذهبية ، ولعل ذلك كان يرجع إلى اضطراب طريق الذهب الوارد من سيبيريا . زجميع تقديرات دخل السلوقيين وإيراداهم إنما تقوم على الحدس والتخمين . وكانت قيمة ضريبة الأرض تختلف باختلاف سعر القمح . وليست هناك أسعار مدونة للقمح بالمناطق الريفية كما أن الأسعار المدونة بالنسبة للمناطق الساحلية قليلة (حيث وجد القليل منها فى أوروك) ، وفضلا عن ذلك فليس من الضرورى أن سعر القمح كان واحداً فى سورية أو بابل مثلما كان فى ميلتوس أو ساموس . وقياساً على ما حدث بأماكن أخرى من العالم ، لا بد أنه حدث ارتفاع عظيم فى الأسعار بلغ دروته حوالى (٣٠٠) ، ثم أعقبه هبوط طويل الأمد . وكثيراً ما كان ضيق ذات اليد يلم بالعاهلين السلوقيين

الأوالين ، وكانا ملكين كريمين فى العطاء ولا بد أنهما أنفقا أموالا طائلة ، وذلك قياساً على ما ظهر من أمثلة فيما بعد ، ومع أن الولايات الداخلية قد حظيت دون ريب بالرغد والثراء فى ظل ما كانوا يعتقدون أنه السلام السلوقى الطويل الأمد ، إلا أن المدن الساحلية بآسيا الصغرى وشمالى سورية قد كابدت عناء كثيراً من تلك " الحروب السورية " التى لم تكن لها نهاية والتى كانت تدور رحاها بين السلوقيين والبطالمة (٢٧٣ - ٢٠٠ ق.م) . حتى إذا استولى أنطونيوس الثالث فى (٢٠٠ ق . م) على سورية بأكملها بما فى ذلك جميع منافذ التجارة البرية الواردة من الشرق ، فليس لدينا شك فى أن الأموال قد تدفقت إليهم بسبب تلك التجارة ، ومع أن أنطيوخوس الرابع قد ضيق عليه الخناق فى النهاية بسبب فقدانه لعرب آسيا الصغرى والغرامة التى فرضتها عليه روما ، إلا أنه لا شك أصبح فيما بعد أغنى من اى ملك سلوقى قبله . ومع ذلك كله فإن السلوقيين بعامه لم يحرزوا ألبته مثل تلك الثروة اى كنز من ثروة مدخرة ، فلا بد أنهم أنفقو ا على البلاد قدراً أكثر كثيراً بالنسبة لدخلهم ، وكان أنطيوخوس الرابع يستخدم ثروته كجده سلوقوس الأول فى تأسيس عدد جديد وضخم من المدن أو صبغها بالصباغ الهللينستى .

وينبغى لنا قبل أن ندخل فى مسألة التوطين والتعمير التى عنى بها السلوقيون ، أن ندخل فى اعتبارنا ذلك الموضوع الشائك الخاص بعلاقة الملوك السلوقيين الأول بالمدن اليونانية بآسيا الصغرى التى كانت تقع من وقت إلى آخر داخل الحدود الجغرافية لإمبراطوريتهم . ولا شك أن الرأى السائد هو أن هذه المدن كانت مدناً تابعة . ولكن الأمر ليس على مثل هذه الدرجة من البساطة . فإنها كانت جميعاً مدناً حرة ، حليفة للإسكندر ، وخضع بعضها فى أثناء حروب " خلفاء الإسكندر " لهذا أو ذاك من خلفاء الإسكندر . وقد حررها جميعاً أنتيجونس الأول . بيد أن بعضها ربما عاد إلى التبعية لأحد الأفراد ثانية ، مثل ليسيماخوس أو غيره من الحكام . ولا نكاد نعرف شيئا عن حكم سلوقوس نفسه ، ولكن بعض

المدن اتدت مع ابنه أنطيوخوس الأول بمعاهدة تحالف (Symmachia) هذه كـانت تضم جميع الأراضى السلوقية الحقة ، ولذا فإنها اتخذت معنى إقليمياً ، وأنه بناء على هذا لما كانت بعض المدن خاضعة ، وجب أن تكون كلها خاضعة . ولكن معنى كلمة سوماخيا لا يمكن أن يدل إلا على معاهدة التحالف الحرة " لا يمكن أن تدل على أن جميع المدن كانت بالضرورة عضوا فى تلك المحالفة أى " السوماخيا" . هذا إلى أنه كانت هناك مدن مثل " إريثراى " التى لم تكن يوما ما إلا مدينة حرة بالمعنى الذى أخذت الحرية تكتسبه آنئذ من حيث : " حق سن القوانين وعدم وجود أية حامية وعدم دفع أية جزية " . وقد ألقى أحد النقوش نوراً مواتياً على ثالث الملوك السلوقيين وهو أنطيوخوس الثانى ، حيث يفهم منه أنه سيعيد الحرية التامة لكل المدن الأيونية ، وهو عمل ظلت تلك المدن مدة طويلة تعده صكا رسمياً بتلك الحرية ، وعندئذ تبدو بعض المدن لآخر مرة كأنما تتصرف من جديد فى سياستها الخارجية بحرية ، وما يستطيع إنسان أن يجادل فى أن أزمير كانت لعهد سلوقوس الثانى دولة مستقلة تماماً ، شأنها شأن ميليتوس وماجنيزيا على نهر المياندر إذ اشتبكتا فى الحرب فى ١٩٦ ، وقوة أنطيوخوس الثالث فى ذروتها – حتى أصلحت بعض المدن الإغريقية الأخرى ذات بينهما ، كأنما لم يكن لأطيوخوس بالفعل اى وجود . وقد أدعى أنطيوخوس الثالث فيما بعد أن جميع المدن الإغريقية كانت من الناحية الشكلية رعيته ، وأن الحرية منه وفضل منه عليها ، وهى وجهة نظر لعل من الممكن تتبعها قبل ذلك ،  ولكن بعد أن فقد ذلك آسيا الصغرى فى (١٨٩) ، عاد مركز المدن فاصبح يعتمد كل الاعتماد على برجامه وروما . ومن المحتمل أن المدن قاطبة كان لها حق شرعى أكيد فى الحرية على نفس الصورة التى اعترف بها الإسكندر ، يبدو أن هذه المدن لم تستطع على طول الزمن أن تصمد امام اعتداءات الملوك ، ولم يكن بدمن أن يجيء الوقت الذى لا



يصبح فيه للحرية من معنى سوى التحرر من الجزية .

ولننتقل الآن إلى ما بذله السلوقيون من جهود فى عملية التوطين والتعمير بآسيا . كان أساس ذلك التوطين هو المستقرات العسكرية ، وليس المدينة الإغريقية (Polis) كما كان يعتقد قديماً ، أجل إنه حدث فعلا أن الملوك ملئوا البلاد فى نهاية الأمر بالمدن الإغريقية ، ولكن ذلك يتم إلى حد كبير بصورة غير مباشرة . وذلك لأنه لو يكن فى مستطاع أحد عدا الملك وحده أن ينشيء مدينة . ومع أن التقاليد كان يؤثر فيها عن سلوقوس أنه ملك عامل مجد كابنه تماماً ، إلا أن تأسيس مدينة (Polis) كان معناه أن يبذل الملك جهداً شاقاً عظيماً . إذ كان ملزما أن يبحث لها رقعة من الأرض ، وعن سكان ينزلونها وأن يشيد أسوارها ، ويمونها بمدد من الطعام وقمح للبذور وماشية وآلات يبدأ الناس بها معايشهم مع تأجيل الضرائب حتى تقف المدينة على قدميها ، وأن يتصرف هو شخصياً فى مسائل لا حصر لها تتعلق بالإسكان والإقتصاد والإجتماع ، وأن يمنحها دستوراً ليدر عليه دولاب الحياة السياسية ، وأن يختار القانون الذى تجرى عليه أحوال المدينة ، وإن كان هنا يستطيع إصدار الأمر بتبنى قانون إحدى المدن الإغريقية الشهيرة واقتباسه مع تعديله أو عدم تعديله , ولكنه فيما يتعلق بالمستقرات العسكرية ، فإن وإن كان لا يزال ملتزماً بأن يجد لها الأرض للسكن والمال للنفقة ، إلا أنه كان فى وسعه (أو قل يعمد دائماً تقريباً) أن يكل ذلك العمل إلى مندوب عنه يكون هو الحاكم المحلى . ومع أن جالية المستقرات العسكرية سرعان ما كانوا يصبحون هم الاحتياطى العسكرى للدولة ، إلا أن واجب الدفاع كان الهدف الأول منها . وقديماً أنشأ الإسكندر بعض هذه المستقرات فى باكتريا وبلاد الصغد ، ليرتكز عليها الدفاع ضد قبائل الساكا الرحل كما أنشأها فى ميديا لكبح جماح قبائل البرز (Epuiz) .

كما أن سلسة المستقرات السلوقية التى كانت تمتد عبر آسيا الصغرى من نهر الكايكوس (Caieus) إلى نهر الميانذر – وهى ناكراسا وتياطيرا وهيركانس وكادوى وبلونـدوس فالميسوبون المقدونيون ثم بلا كان الغرض الواضح منها جماية المنطقة الساحلية من غائلة الغلاطين . وربما كانت بعض المستقرات الأولى مقدونية خالصة ، بيد أن الشطر الأعظم من مستقرات الغرب كان يونانيا ، وكان المستقرون ممن أنمو الخدمة العسكرية من الجند ومن المرتزقة ، والرجال القادرين على الخدمة والراغبين فيها . وكان كل مستوطن يعطى رقعة من الأرض ليزرعها ويحصل منها على معاشه ، وهى تسمى بالنصيب (Kierog) . أى الإقطاع العسكرى ، وكان إقطاع التمليك عسكرياً يضطر الحائز للأرض بموجبه مادام حياً أن يؤدى الخدمة العسكرية ، إذ يلوح أن الأرض ما تكاد تصبح نصيبا وراثياً ، ولكن كان فى الإمكان بيعه أو التوصية به ، وإن ظل مع ذلك خاضعاً للالتزام بالخدمة العسكريه إذ يلوح أن الأرض ما تكاد تصبح نصيبا أو إقطاعاً عسكرياً (أو ربما إحضار بديل له يقوم بها) يظل ملازماً للأرض إلى الأبد . ويرى الأستاذ العلامه روستوفتزف أنه ربما كان هناك أكثر من نوع واحد من المستقرات العسكرية ، وذلك مع أن وجود نموزج يحتذى كان لابد أن يسهل عملية التوطين بدرجة عظيمة ، بحيث يرجح أن هذه النماذج كانت موجودة . ومنها يكن الأمر ، فإن رجال هذه الأنصبه وهم أصحاب الإقطاعات والحائزون لها (Cleruchs) كانوا العمود الفقرى للجيوش السلوقية أى الفيلق الإغريقى المقدونى ، وكان ولاؤهم للملك السلوقى المتربع على العرش مضرب الأمثال ، وهو ولاء ينبنى عن حسن أحوالهم . وكان المستقر العسكرى يقام عادة بجانب مدينة أو قرية سكانها من الأهالى أو بالقرب منها ، ولم يكن له فى الغالب اسم يدل عليه عدا اسم القرية ، ولكن المستقر كان فى بعض الأحيان يطلق على نفسه اسم الموظف الذى أنشأه أو اسم المدينة أو الحى الإغريقى الذى تصادف أن جـاء

منه معظم المستقرين . وكان نظام الإقطاع العسكرى عند السلوقيين آنجح كثيراً منه عند البطالمة .

والفرقبين المستقر العسكرى والمدينة شيء ليس تحديده بالأمر السهل ولا يقدم إلينا كتاب الإغريق كبير عون فى هذا الصدد ، وذلك لأن غالبيته يطلقون لفظة مدينة (Polis) على أى شيء يجدونه كما أن بعضهم قد يسمون المستقر العسكرى قرية لأنه كان غالباً ما يحمل فى البداية اسم قرية . ولم يكن الإغريق قبل الإسكندر يعرفون شيئاً سوى المدينة (Polis) والقرية (Kome) . ولكى يصبح المكان مدينة وجب أن يستمتع بالحكم الذاتى وأن تكون به منظمات معينه وعناصر أخرى لضمان الحياة الجماعية المشتركه . وكان الحد الأدنى الذى لا يستغنى عنه من تلك الحياة هو انقسام المواطنين إلى قبائل ، وقيام مجلس مختار من هذه القبائل ، ووجود موظفين عموميين ينتخبون أو يعينون بالقرعة ، ووجود أراض خاصة بالمدينة ثم قوانينها وماليتها . زكان هناك على الجملة – وإن لم يكن ذلك امراً ضرورياً – سور يحيط بالمدينة وجمعيه عامة تضم شمل الأحرار وأقسام صغرى محلية لأرض المدينة هى الأحياء (Demes) . فإذا اجتمعت مجموعة من البيوت بغير هذه العلاقات كونت قرية ، ولا علاقة لذلك بالرقعة والمساحة مطلقاً . ولعل الإغريق كانوا يرون أن بابل ومنف وأورشليم لم تكن فى الحق إلا قرى ، ولإن استثنوا من ذلك استثناء واحداً عند البرابرة : حيث اعتبروا المدن الفينيقية الشديدة التنظيم مدناً حقة ، كما أن أرسطو أدخل دستور قرطاجه فيما ذكر من دساتير المدن الإغريقية . ولكن اللذى حدث بعد الإسكندر أن ذلك التناقض القديم " الذى يفرق بين المدينة والقرية " لم يعد ينطبق على الوضع القائم حيث زالت الفوراق رويداً رويداً حتى اختلط الشيئان ، ونشأت أشكال جديدة وسط بين الأمرين ، حيث ظهرت أشكال جديدة مثل الجالية (Politeuma) وهيئة المستوطنين (Katoikoi) لتحدد مجتمعات ذات نظام فيه شيء من شبه الاستقلال المدينة

، ويسمى أعضاء هذا النظام الأخير باسم المستوطنين (Katoikoi) . وكان للجالية (البوليتيما) مركز دينى كالمدينة تماما ، وربما كان لها مجلس وموظفون عموميون ، وكانت لديها وسيلة تضم بها إلى المدينة هيئة من الأجانب دون أن تجعلهم مواطنين احراراً . وفوق هذا فإن مراكز كبرى للأهالى الوطنيين أخذت هى الأخرى تسمى مدناً ، ولإن أطلق بعض الحذرين من الكتاب مثل إيزيدور وإسترابون لفظ مدينة القرية (Komopolis) على أية مدينة أهلية ليس لها نظام يستطيع اليونانى فهمه . ونحن نجهل على وجه العموم حال المدينة الأهلية الخالصة قبل طبعها بالطابع الهللينستى .

ويعتقد العلماء بصفة عامة أن مستوطنى المستقر العسكرى كانوا يسمون كانويكيين (Katoikoi) وهى كلمة نافعة كان لها أكثر من معنى واحد . ولم تكن مدن الإسكندر نفسها وهى الإسكندريات مدناً (Poleis) إغريقية عادية ، وإن أصبحن كذلك فى ظل السلوقيين ، بل كانت شكلا جديداً قصد به إسكان أناس من أكثر من جنس واح أو ربما كانوا يؤلفون مجموعة من جاليات (بوليتيماتا) يكون الإغريق فيها أهم عنصر ، وكانوا رعايا خاضعين لولاة من قبل الملك ، كما أن الإغريق المستقرين بها كانوا يرفضون أن يعدو ا هذا النظام منطويا على شىء من " الحياة الهللينستيه والأسلوب الهللينستى " وكانت المستقرات العسكرية عند السلوقيين يتوافر لها شكل ما من أشكال . تاحكم الذاتى على يد الموظفين المعينين فيها كما أنها كانت محصنة ، وكلما زادت رقعتها اتساعا زاد اقترابها شيئاً من شكل المدينة (Polis) وصورتها ، كما أن ذلك يستلزم على الأقل موافقة الملك وربما استلزم أيضاً شيئاً من إعادة تعديل الوضع من جانبه . مثال ذلك أنه عندما أصبح المستقر العسكرى بسوسا يسمى سلوقية على نهر البولايوس ، فلا شك أن الاسم الجديد الحوى لاسم العائلة

المالكة لم يكن في المستطاع إطلاقة إلا بإذن من الملك المتربع في الحكم . بيد أن المستقر العسكرى بعد أن يصبح مدينة كان يحتفظ بما فيه من أنصبة من الأرض (Kleroi) المخصصة للجند ، كما يتضح فيما بعد من الحال في دورا الواقعة على الفرات ، على حين أن مكاناً يؤسس مباشرة كمدينة لم يكن به أنصبه من الأرض للجند . ومعنى ذلك أن المواطنين الذين يحتلون الإقطاعيات (Kleroi) من الاراضى المخصصة للجند كان لا يزال في الإمكان استدعاؤهم للخدمة العسكرية ، في حين لم يكن في الإمكان استدعاء نظرائهم بمدينة بدأت كاملة التكوين . مثال ذلك أنه عندما أظهرت النقوش التى عثر عليها بسوسا أنها كانت تعد مدينة إغريقية وأنها مع ذلك كان بها أصحاب إقطاعيات من الأراضى المخصصة للجند (Kleroi) ، ظهر أنها كانت يوماً ما مستقراً عسكرياً ثم حولت إلى مدينة (Polis) وتغير اسمها على يد أحد الملوك . وغنى عن البيان أن المدينة الإغريقية قديمة كانت أم حديثة - كانت المالكة المطلقة لأراضيها ، في حين أن المستقر العسكرى لم يكن كذلك . وبيينقانون الوراثة المرعى في دورا يوروبوس ، الذى يرجح أنه قديم جداً ، وإن كانت النسخة الموجودة فعلا عندنا أحدث عهداً ، أن صاحب الإقطاع وإن كان يحق المكتسب أو يهبه للغير ، إلا أن الملك كان مع ذلك المالك النهائى ، وذلك لأنه كان في حالة وفاة أحد الأفراد بلاوصية يحتفظ بحق الاستيلاء على الأملاك عند عدم وجود ورثة . ولذا فمن الجائز تماماً ، وإن لم يكن في المستطاع القطع به في الوقت الحاضر ، أن الفارق الأساسى بين المدينة والمستقر العسكرى لم يكن مرده سعة الرقعة ولا درجة الحكم الذاتى بقدر ما كان مرده امتلاكها لأرضها أو عدم امتلاكها لتلك الأرض .

ولو تركنا المدن الإغريقية وشأنها وأمعنا النظر في المدن السلوقية الجديدة في آسيا التى

لها نظام المدينة المألوف ، وجدناها تنقسم إلى قسمين ، أو لها ما كان إغريقيا فى جوهره وثانيها ما كان أهلياً بحتا ، وسنبحث الصنف الثانى من فورنا . والكاتب الوحيد الذى يمكن الاعتداد به والثقة فى استخدامه لكلمة مدينة (Polis) هو إيزيدور الخراكسى . وذلك لأنه ينقل عن البيانات المساحية البارثية الرسمية ، وكثيراً مايكون استرابون حريصاً ودقيقاً ولكنه لا يلتزم تلك الدقة على الدوام بأية حال . ومن ثم يجوز لنا أن نعد كل مكان بالإمبراطورية يحمل اسماً إغريقياً أو مقدونيا (مع استثناء ممكن ولكنه غير مرجح هو يوروبس (Europus) مسقط رأس سلوقوس اما مستقراً عسكرياً اتسعت رقعته وإما مدينة كان بها إقطاعيات عسكرية (Kleroi) ، مثل سوسا (سلوقية على اليولايوس) أودورا يورويس كانت فى البداية مستقراً عسكرياً . ولكن يصبح أيضاً اعتبار كل مكان يحمل أحد الأسماء الأربعة للأسرة المالكة – سلوقية وأنطاكية المسماة (على اسم زوجته الإيرانية) ، أنه كان مدينة إغريقية إما أنها كانت منذ البداية من إنشاء أحد الملوك وإما مكاناً أطلق عليه ملك اسماً جديداً مثلما كانت عليه سوسا . وأن المدن ذات الأسماء المقدسة مثل أرتميتا وهراقليا ، ربما كانت هى الأخرى مؤسسات ملكية أيضاً ، ولكن التسمية سرعان ما أصبحت شيئاً عسيراً بالنسبة لوجود هذا العدد الضخم من الأسماء الملكية ، مثلما كان الحال بإزاء إسكندريات الإسكندر السبع عشرة . والواقع أنه فيما يتعلق بالمدن السلوقية كان الاسم الرسمى يحتوى فى كل حالة على إضافة جغرافية ، وذلك كما هو معروف من أن اليونان من أبناء سلوقية – سوسا كان من الناحية الرسمية يسمى نفسه لا باسم السلوقى بل بأسم " السلوقى من النازلين على اليولايوس " ولكن تحديد الموضع فى الاستعمال اليومى كان من المحال ، ولذا اكتسبت كثير من المدن السلوقية (بل ربما جميعها تقريباً) كنيات (أى أسماء شعبية) ، وذلك هو ما فعلته كثير من الإسكندريات وغنى عن البيان أن عدداً عظيماً من هذه الأسماء الشعبية

العديدة الأنواع لا تزال معروفة إلى اليوم ، كما أنها غالباً ماتحل فى المصادر الأدبية محل الأسماء الرسمية وتقصيها إقصاء تاماً ، وهو أمر جلب على الكتاب المعاصرين الشيء الكثير من الارتباك قبل أن يتم اكتشاف هذه الطريقة .

وليس فى المستطاع دائماً معرفة أعمال وآثار أى فرد من الأسرة السلوقية ولكن يمكن القول إجمالا إن تنظيم المدن بشمالى سورية وإقليم بابل وما حول الخليج الفارسى يرجع إلى سلوقوس قبل كل إنسان ، وإن التنظيم بإيران يعود الفضل فيه إلى أنطيوخوس الأول . وإن الفضل فيما يوجد بآسيا الصغرى من مدن يعود إلى أنطيوخوس الأول وأنطيوخوس الثانى ، مع توسع ملحوظ فى تلك الجهود بقيليقية والشرق ينسب إلى أنطيوخوس الرابع إبيفانيز ، حيث غالباً ما تميز مدنه باسم " إيبفانيا " . وإليكم قائمة موجزة بأسماء المدن السلوقية الرئيسية . فإن سورية الشمالية العامرة من قبل بالمحنكة من جند أنتيجونس وقواده أصبحت فى ظل سلوقوس مقدونيا ثانية ، فهنا كانت توجد بيريا جديدة وكورهستيكى ، كما كانت توجد وراء الفرات ميجدونيا جديدة ، وهنا كانت تقوم المدن الأربعة العظيمة المسماه على اسم سلوقوس . وقد صار لأنطاكية عاصمة الإمبراطورية الواقعة على نهر العاصى (Orontes) الذى كان صالحاً للملاحة فى تلك الأيام) – أربعة أحياء كبرى لكل منها سوره داخل سور المدينة العام . فقدبنى سلوقوس بالمدينة الحى الأول وشاد سلوقوس الثانى الحى الثالث ، كما أقام أنطيوخوس الرابع الحى الرابع . ولم تصبح أنطاكية فى يوم من الأيام مركزاً للعلم ، وهى إن أصبحت مركزاً تجارياً عظيماً فقد كانت شهرتها دائماً أنها مدينة ملذات ، كما ساءت سمعة حديقتها الكبرى دافنى (Daphne) ، وقد كتب بوسيدونيوس وهو من سكان أياميا المجاورة ينعى على السكان الإغريق السوريين ما

ينغمسون فيه من ترف . وبالقرب من مصب نهر العاصى يقع الميناء الحصين وهو سلوقيا الواقعة عند سفح جبل بيريا ، وبها مقابر الأسرة المالكه وهى ترتفع أروع إرتفاع عن البحر فى مدرجات بعضها فوق بعض منبسطة فى صخرتها العظيمة وتعبد حجراً مخروطيا ، ورثته عن عالم أقدم منها . وإلى الجنوب تقع على البحر لاؤديكيا (اللاذقية) ، كما تقع فى المجرى الأوسط من العاصى وفى سهلى ملىء بالأبخرة مدينة أباميا ترسانه السلوقيين التى حلت محل بلا (Pella) التى شادها أنتيجونس . وهنا كانت توجد أحياء الفيلة والإسطبلات العظيمة لكرائم الخيل . وفضلا عن هذه المدن الأربع اكتظت المنطقة بالمستقرات الممتدة حتى لاؤديكيا اللبنانية وهليوبوليس (بعلبك) بالقرب من منبع نهر العاصى ، وكانت المدن الموجودة فى الناحية الشرقية أكثر عدداً ، وهى المجتمعة حول بيرويا (حلب) على نهر خالوس ، على الطريق من أنطاكية إلى هيرابوليس - بامبيكى (مبوج) وحول مدينة خالكيس (Chalcis) الموجود دون ذلك جنوباً ، كما توجد فى الشمال مدينة باسم أنطاكية الموجودة فى كورهستيكى . وكان خط مديد من المدن يقع على حافة الفرات ، ومنها دورا التى أعيد بناؤها تحت اسم بورويس وثايساكوس التى جددت باسم أمفيبوليس ، والى مافوق ذلك شمالا كانت مدينة باسم أباميا تحمى كوبرى الزوارق المقام قرب زيوجما ، التى حلت محل ثايساكوسوصارت منطقة العبور المطروقة . وكانت تقوم بشمال أرض الجزيرة عدة مدن من بينها مدينتان شهيرتان ، هما أنطاكية (نصيبين) بميجدونيا ، وأنطاكية إدسا (الرها) بوادى الأورفة وفى القرن الثانى انقلب اسم حماة إلى إيبفانيا ، وأصبحت بيروت لأوديكيا (اللاذقية) كما ظهرت مدينة باسم أنطاكية على بحر الجليل ، هذا إلى أن مدينة أورشليم أطلق عليها اسم أنطاكية فترة من الدهر (الفصل السادس) .

كان سلوقوس يعمل فى إقليمى بابل وسوسيانا بوحى من أفكار الإسكندر فيما يتعلق بالخليج الفارسى ، وذلك هو نفس النهج الذى يرجح أن ليسيما خوس قد اتبعه فيما يتعلق بالبحر الأسود وكانت أعظم مدينة هنا أول شىء شيده سلوقوس ، ، وهى مدينة سلوقيه على الدجلة أسفل بغداد بمسافة قصيرة ، وقد حلت فى الأهمية محل بابل . وأصبحت سوس مدينة سلوقية على اليولايوس (ورد ذكرها من قبل) ، وكانت هناك مدينة أخرى باسم سلوقية بإقليم سوسيانا على الهيديفون وثالثة على البحر الإريترى (أو بالأحرى الخليج الفارسى) وهى موطن سلوقوس الفلكى (نفس هذا الفصل) . وكانت هناك مدينة باسم أباميا فى ميسنى ، كما كانت تقع أعلى بغداد اباميا أخرى وأنطاكية أخرى ودورا أخرى ، وعلى قرب من التلال السوسية ، حيث يتشعب الطريق الرئيسى الممتد شرقا من سلوقية ، وكانت تقوم مدينة أرتميتا العظيمه الشأن . وهناك مدينة الإسكندرية الواقعة على مصب الدجلة والتى سميت فيما بعد خاراكس إسباسينو ، وقد أعاد بناءها أنطيوخوس الرابع باسم أنطاكية ، على أن الأماكن الثلاثة المعروفة على الجانب العربى من الخليج وهى لاريسا وخالكيس وأريثوسا لابد أنها كانت مستقرات عسكرية ، وثمة مستقرات أخرى معروفة على الخليج . وقد دمر أنتيجونس الأول مدينة بابل ، وفى ٢٧٥ نقل أنطيوخوس الأول البقية الباقية من سكانها المدنيين ولم يترك بها إلا المعبد ، والراجح أن إعادة تشييدها من جديد كمدينة إغريقية كان على يد إيفانيز وكذلك أيضاً اصطبغت أوروك وهى ورقة (Warka) بالصباغ اليونانى بصورة جزئية وتسمت أورخوى (Orchoi) ، ولكنها على الرغم من ضخامة عدد سكانها اليونان كان يحكمها موظفون العموميون من الوطنيين كما لم يكن لها فيما يلوح أى شكل من أشكال المدينة اليونانية .

فأما عن إيران فقد أنشئت فى ميديا طائفة جمة من المنشئات قصد بها فيما قصد كبح جماح القبائل الجبلية – منها يوروبس راجاى قرب طهران وأباميا عند البوابات القزوينية بإقليم بارثيا مدينة هيكاتومبيلوس وأربع مدن أخرى وأنشئت فى برسيس مدينة أنطاكية على الخليج الفارسى (ولعلها بوشير) ، وربما أنشئت مدينة باسم لائرديكيا ، وإن كان الشعور الوطنى قوياً والملوك الكهنة الوطنيون أجداد الأسرة الساسانية لا يزالون يحكمون فى برسبوليس (إصطخر) . وقد أدت الغزوة العظيمة التى قامت بها قبائل الساكا قرابة ٢٩٣ والتى لعلها هى السبب فى أن سلوقوس بعث بابنه أنطيوخوس (الأول) ليحكم الشرق ، أدت إلى تدمير ثلاث على الأقل من الإسكندريات هى خوقند (Chodjend) ومرو وتارميتا (ترمز) على نهر جيحون (أمودرايا) . وكلها كذلك لولا أن النصوص هنا نستعصى على كل حل وتفسير . وأخيراً حول اسم سوس إلى سيلوكيا على اليولابوس على يد أنطيوخوس الثالث (فيما يحمل) . كما أن إيبفانيز أعاد بناء مدينة إكبانانا وسماها إيبفانية .

وفى آسيا الصغرى كان الطريق الرئيسى بين سورية وأيونيا موضع عناية كبيرة . وعند ملتقى الطريق الآتى من ميليتينى (Melirene) مخترق مزاكا الكبادوكية بالطريق الآتى من طرسوس خلال أيكونيوم ، كانت تقوم مدينة لأوديكيا وتكنى (المحروقة) وتسمى كذلك بسبب أفران مناجم الزئبق الموجودة قرب زيزيما ، وتقوم فى الجانب الغربى المدينة العظيمة أباميا – كيلايناى المسماه " بالفلك " وهواسم مجهول المعنى أدى بها فى النهاية إلى وضع صورة فلك نوح على عملتها ، وإلى ما وراء ذلك غرباً على نهر ليكوس ، حيث يفترق الطريقان المؤديان إلى إفيسوس وسارديس كانت تقوم لاؤديكيا أخرى . وكانت هذه المدن هى المراكز الرئيسية للأسفار والمواصلات . وكان هناك طريق يـمـتـد جنـوبـاً مـن

لاؤديكيا المحروقة ويبلغ البحر عند سلوقيا (سيليفكيا Selefkia) على نهر كاليكادنوس ، وآخر يمتد شمالا بجوار فيلوميليوم وسينادا إلى نيقيا ونيقوميديا بإقليم بيثينيا . وكانت الطرق تمتد من أباميا كيلايناى إلى أنطاكية وأبولونيا وسلوقية (الحديد) ، وهى مدن حراسة على الحدود الفاصلة عن بيسيديا المستقلة . وكان هناك طريق يمتد جنوباً من لاؤديكيا على الليكوس مخترقا كيبورا الوطنية إلى ساحل بامفيليا . وعند هذه اللأوديكية – كان الطريق إلى سارديس ويواصل مسيرة شمالاً إلى ثياطيرا السلوقية التى تمتد منها طريق إلى برجامة وآخر يسير شمالاً ماراً باستراتونيقيا على نهر الكايكوس إلى كيزيكوس . ويسير الآخر إلى إفيسوس ماراً من خلال أنطاكية على الميأندر وأنطاكية – نيساتم سلوقية – تراليس ، وكان فرع منه يسير جنوباً ماراً بأنطاكية – الا بندا إلى استراتونيقيا بكاريا وقد أعيد تنظيم وتسمية كثير من المدن القيليقية فى عهد الملك إبيفانيز ، وإن كنا نعتقد أن القول بأن خمسين مدينة يونانية كانت معروفة هناك فيما بعد ، فيه شيء من المبالغة ، وأصبحت كل من مالوس وأدانا (قطنة) تسمى أنطاكية ، كما صارت موبسيوستيا تسمى سلوقية . وأصبحت طرسوس التى تسمت أنطاكية من قبل فى القرن الثالث مدينة جامعية هامة فيما بعد .

ومن المحقق أن المدن السلوقية الجديدة كانت تدفع الضرائب ، وذلك لأن قدراً عظيماً جداً من أرض الملك (الدولة) كانت تنتقل إلى ملكيتهم وتصبح أرض مدن بحيث لم يكن فى وسع الخزانة العامة أن تتحمل ما يصيبها . من خسارة فى ضرائب الأرض لو لم تكن تتلقى ما يعادل تلك الضرائب . وكان بعض هذه المدن تحت ولاة مدنيين (Epistatai) مسئولين أمام الملك ، ومع ذلك فالواقع انهم لم يرد ذكرهم إلا مرتين ، فى كل من سلوقية فى سفح جبل بيريا وسلوقية على الدجلة فضلا عن " سيد المدينة " البابلى

بأوروك . ومن الجلى آنه كلما كان هناك عدد كبير من السكان الوطنيين ، كان من المرغوب فيه وجود سلطة أخرى فوق موظفى المدينة العمومية ، ولكن الواقع الذى جرى بـه العمل بأنطاكية فى برسيس ، أنه إذا كـان هنـاك وال مدنـى (Epistates) فإنه لم يكن لـه سيطرة على الجمعية العامة من الأحرار ، كما أن المدينة كانت تـؤرخ تواريخها بعام كـاهن عبادة السلوقيين وليس بالعصر السلوقى . حتى إذا بدأت الأسرة فى الاضمحلال بحجت المدن السورية شيئاً فشيئا فى الحصول على قسط كبير من الاستقلال . فلـم تكـد تحـل ١٤٨ - ١٤٧ حتى كانت المدن السورية الشمالية الأربع قد حصلت على قـدر من الاستقلال كـاف لكـى تكون محالفة النقد والعمله بين " الشعوب الشقيقة " وعندمـا كـانت تنشب الحروب الأهلية بين أفراد الأسرة المالكة ، كانت المدن السورية تقوم بـدور هـام باعتبارهـا عنصراً سياسياً ، فتساعد هذا " المنازع " أو ذاك ، ومنذ (١٤٠) فصاعداً كـان الكثير منهـا يحصل من بعض الملوك ، ثمناً لما يقدمه إليهم من مساعدة ، على لقب " المقدسـة التى لا تنتهك حرمتهـا " (الفصل الثالث) . ومعنى ذلك حصانتها من كل هجوم يصدر منه عليها وأن يكـون لهـا الحـق فـى إيـواء مـن أسـاءوا إليه ، كمـا أنهـا كـانت تبـدأ فـى سـك عملتهـا مستخدمة فـى تأريخهـا الحقب التى نالت فيها حريتها .

وفضلاً عن المدن والمستقرات العسكرية ، ربمـا كـانت هنـاك بعض المستوطنات المدنيـة بآسيا الصغرى ، وإن لم يردد ذكرها فى المراجع حتى الأزمنه الرومانيـة ، كمـا أنـه ليـس فـى الإمتكان التفريق بسهولة بينها وبين القرية الوطنية المتطورة ، التى كانت تعمل على الدوام نحو الحصول على مظهر من مظـاهر التماسـك . وفـى ظـل هـذا النظـام لا يعـود القرويـون يسمون أشباه رقيق الأرض (Laoi) ، بل يسمون بتلك اللفظة النافـعـة " المستـــــوطنون

(Katoikoi) (فصل لرابع) . وذلك يتضمن وجـود ضرب من الحكم المحلى فى القرى ، مهما يكـن بدائياً فى أول الأمر . ولا مراء أن ذلك الوضع نفسه كان يحدث فى مناطق المدن الإغريقية الجديدة . وكان ذلك بمثابة درجة ارتفعها قدر الفلاحين ، كما يتبين من أن يومينيس الثانى صاحب برجامة رد بعض المستوطنين (Katoikoi) ثانية إلى مرتبة أشباه رقيق الأرض (Laoi) ، وقد سبق أن لا حظنا نمو الحكم المحلى ببعض القرى الوطنيـة بشمال سورية (الفصل الرابع هامش) . والحق إن من أهم وأبرز الظواهر التى تتميز بها الحقبة السلوقية استمرار النمو والتقدم فى الأوضاع والأشكال السياسية المتنوعة ، واستمر هذا التقدم دون عائق يعوقه حتى الأزمنه الرومانية ، حيث كانت القريـة الوطنيـة غير الحدودة الشكل آخذة فى أن تصبح مستوطناً ، قد يتحـول بدوره إلى مدينة هللينستية . وكانت القرى التى يطبق عليها هذا التنظيم تتجمع بعضها مع بعض فى النهاية ، وربما كان ذلك مع شىء من المحاكاة للأشكال الإغريقية - مكونة رابطات أو أحلافا ترجع أصولها إلى العصور السلوقية . ومن هذه الرابطات ماكان يسمى باسم الكايستريانيين (Caystriani) أو الهيرجاليين (Hyrgaleis) أو الهيبتا كوميتانين (ذوى القرى السبع) (Heptakometai) أو البنتيديميين (الأحياء الخمسة) (Pentedemiti) وكثير غيرها . ومنها ماكان يصل فى النهاية إلى مرتبة سك العملة ، وهو حق كان فى العادة مقصوراً على المدن . وبديهى أن تطور القرية إلى مدينة مهلنة لم يكن جديداً جدة مطلقة ، كما أن هذه العملية نفسها كانت مرعية فى بعض بلاد اليونان أيضاً مثل أيطوليا ، بيد أن القرية الأيطولية كانت تختلف اختلافاً بليغاً عن قرية سكانها من موالى الأرض الفريجيين ، أما الشىء الذى كان لا نظير له فى حكم السلوقيين فهو نطاق تلك العمليات . فلو أتيح الزمن الكافى للعمليات الجارية فى آسيا الصغرى وشمال سورية ، لكانت النتيجة النهائية أن تصبح المملكة كلها مكونة من مدن يقع

فى تخومها نطاق من الأرض وتستمتع باستقلال ذاتى ، وكلها تحت سيادة ملك رب يتولى شئون الأمن ويدبر السياسة . ولسناندى هل كان السلوقيون الأول يرون هذا الرأى فعلاً أم لا . ولكن الشيء المحقق هو أن روما كانت ترى ذلك ، كما أن الطريقة التى حاولت روما بها أن ينفذ هذه الفكرة فى بعض الأماكن بجرة قلم بعد أن تغلب على مثريدانيس ووجد نفسه قادراًعلى عمل أية تسوية يشاؤها ، وهكذا قسم بنطش إلى إحدى عشرة مدينة إقليمية ، ولم تكن بين هذه المدن الإحدى عشرة سوى ثلاث إغريقية هى : سينوبى وأميسوس وأماسيا . وكان باقيها مدناً أو قرى وطنية حولت إلى مدن إغريقية رومانية مثل " يوبانوريا – ماجنوبوليس " أو " كابيرا – ديوسبوليس " . ثم إنه أنشأ بالمثل اثنتى عشرة مدينة إقليمية فى بيثينيا . بيد أن الإمبراطورية الرومانية كانت تقنع بتطور أبطأ وأدنى إلى الطبيعى ، دأبة أن يكون غير منتظم الشكل . ذلك أن أية مدينة قد تضمحل وتعود فتصبح من جديد قرية .

وربما جاز لنا أن نعرض عليك حالة تمثل مبلغ تعقيدأوضاع أشكال المدن الهللينستية بآسيا . ذلك أن كاريا كان بها حلف دينى قديم من القرى الوطنية التى كانت تعبد زيوس ذا السيف الذهبى " Chrysaoreus " ، وثم قرية هى ألا باندا أعيد بناؤها باسم أنطاكية . ومع أنها أصبحت عندئذ مدينة يونانية إلا أنها ظلت عضوا فى هذا الحلف الكارى . وهناك مدينة جديدة هامة هى استراتو نيقيا وقد ضمت إليها بعض هذه القرى كأراض تابعة للمدينة ، فأصبحت أحياء (Pemes) لها ، وعن طريق هذه الأحياء أصبحت هى أيضاً عضواً فى الحلف وكان اسم أحد هذه الأحياء (باناماراً " ، (Panemara) ، وكان يعبد زيوس طوال النهار ، وقد بلغ به التقدم فى التنظيم مرتبة جعلته يصدر المراسيم ويمنح مواطنيته ، أى " مواطنية الحى " للأجانب . ومما فعلته بعض الأحياء فى هذا الصدد أنها وهبـــــت

مواطنيتها لمواطنين من مدن أخرى منهم بعض أبناء استراتونيقيا ، وهى المدينة التى كان اليونان يعدونها جزءاً منها . فلا عجب أن استرابون كفعن محاولة العثور على اسم يونانى يعبر عن وصف هذا الحلف الكارى القديم على ما عرفه ، والتمس النجاة لنفسه حيث سماه a' aystem " نظاما " ما .

فإذا انتقلنا الآن إلى الدور الذى كان يلعبه الآسيويون فى عملية التوطين السلوقى ، وجب على المرء أن يميز أولا المدينة (Polis) التى كانت إغريقية فى معظم أمرها ، من تلك التى يغلب عليها الطابع الآسيوى . وهناك مدن جديدة تبدو إغريقية صرفة مثل أنطاكية فى برسيس (بوثسير) وهى التى استوطنتها بالنيابة عن أحد ملوك السلوقيين مدينة ماجنيزيا الواقعة على المياندر . ولكن الأسماء اليونانية لا تدل على الشىء الكثير ، وذلك لأن الفينيقيين قد أخذوا يستخدمون تلك الأسماءبعد (٣٠٠) بفترة وجيزة ، كما أنتهج كثير من الآسيويين ذلك النهج نفسه . ثم سمحت بعض المدن الإغريقية ، القديمة منها والحديثة ، بدخول بعض أفراد النخبة المختارة من الأسيويين فى مواطنيتها حتى فى القرن الثالث نفسه (حيث كانت هناك سوابق قديمة ، وذلك لأن الدم الكارى والليبى كان شديد الانتشار بين مجاميع السكان المواطنين فى ميليتوس وقيرنية) . وهكذا سجلت أسبندوس فى قبائلها بعض المرتزقة الأسيويين ذوى الدماء المختلطة ، ومنحت أزمير حق المواطنية لجماعة من جند الفرس ، وكان باستراتونيقيا أحياء (وقد سبقت الإشارة إليها) . أما ساردیس التى لم يكن لها فى أثناء القرن الرابع إلا منظمتها الوطنية ، فقد أصبحت مدينة (Polis) فى أثناء القرن الثانى . وليس من المعقول أنه لم يكن بها عدد من المواطنين الليديين ، شأن سلجى (Selge) التى اخترعت لنفسها أسطورة إغريقية قديمة تتحدث عن

تأسيسها . ولا شك أنه كان بها كثير من البسيديين ، كما كان بالمدن الليقية المهلنة كثير من الليقيين ، ولا بد أن أنطاكية - طرسوس أيضاً كان بها كثير من المواطنين الواطنيين ، على حين أن برجامة منحت فى (١٣٣) حق المواطنة للأسيويين بالجملة (نفس الفصل الرابع .

على أن منح المواطنة الفعلى للأسيويين لم يكن فيما يلوح هو الصورة المألوفة . وتشير جميع الاحتمالات إلى أن الطريقة المألوفة لا نضواء الأسيويين فى مدينة إغريقية هى نظام الجاليات (Politeuma) وهو المعروف بآسيا فيما يبدو باسم نظام المستوطنين (Katoikia) (نفس الفصل) . وكان معنى ذلك وجود هيئة منظمة تتألف من الأجانب . مثال ذلك الجالية السورية (Politeuma) فى سلوقية أو الجالية اليهودية فى كثير من المدن ، وكلها كان لها حقوق سياسية محدودة أدنى من حقوق المواطنية ولها منظمتها الخاصة ، ولها هيئتها الخاصة من المواظفين العموميين أو من هم فى مرتبتهم ، ولكنهم لم يكونوا جزءاً من كيان المدينة ، حيث كان الإغريق وحدهم هم المواطنون فهم " الأنطاكيون أو السلوقيون " أو أى نوع آخر ، كما أن الموظفين العموميين من اليونان كانوا يتولون شئون جميع السكان فيما يتعلق بأمور من أمثال الأغذية أو الصحة العامة .

فإذ كان هناك هيئة ضخمة من الأهالى الوكنيين ، فربما حلت المشكلة الأهلية على أوجه كثيرة عدا المواطنية أو نظام الجاليات (Politeumata) . وكان لبابل المجددة مسرح (مدرج) يونانى وجيمنازيوم ومنظمة مدينة ، ولكن مناشط البابليين الدينية والعلمية تواصلت - رغم وجود تلك الأشكال اليونانية (نفس الفصل) . وحافظت سلوقية على طابعها الهللينستى حتى النهاية ولكنها امتصت أيضاً سكان بابل الوطنيين ، وحلت محل

أوبيس (Opis) ، وهى مدينة محلية كبيرة . ولما كان مجموع سكانها الكلى يبلغ فى النهاية ستمائة ألف نسمه ، فلابد أن يكون بها بصورة ماعدد ضخم من السكان الوطنيين خارج الأسوار . بيد أن أوبيس ظلت محتفظة بكيانها منفصلاً ، كما ظلت مركزاً هاماً للتجارة قائماً بذاته مثلما حدث فى أبولونيا تجاه بيسيديا أن ظلت المدن التراقية والليقية منفصلة وربما كانت أوبيس بمثابة القرية التابعة الملحة بسلوقية . ولكن سلوقية أصبحت من ناحية ما مدينة مزدوجة ،وذلك لأن بعض قطع عملتها تحمل صورة ربتى مدينة ذات أبراج وقد اشتبكت أيديهما . والعادة أن الربة الثانية تعد ممثلة لمدينة طيشفون (Ctesiphon) القديمة ، ولكن ربما جاز أنها أوبيس باعتبارها ممثلة لسكان سلوقية البابليين . ومعنى هذا أن العملة ربما كانت تمثل بصورة أوسع الصداقة بين الإغريق والبابلى . وربما كان هؤلاء السكان الوطنيون أحد الأسباب (حيث تكون الأسباب التقليدية هى وحدة الوطن وقرب الجوار) التى من أجلها يسمى السلوقيون فى أغلب الأحيان بابليين ، فيعود ذلك بالارتباك على العلماء المعاصرين . وعلى نفس هذه الشاكلة كان سلوقوس الفلكى الإغريقى ينعت بالكدانى (نهاية الفصل الرابع) ، وهو من سيلوقوس الواقعة على الخليج الفارسى . على أن أنطاكية (العاصمة) كانت تختلف مع ذلك هى الأخرى . فإن مدينة الملك سلوقوس كانت إغريقية – مقدونية بحته ، ولكن أنطاكية وجد بها فيما بعد عنصر سورى ضخم ، وربما كان هذا تفسيراً للحى الثانى الذى استغلق أمره علينا ، والذى لم يكن له أى مؤسس حقيقى وكان السوريون يسكنون خرج الأسوار ، ثم عمد القائمون بالأمر بعد ذلك إلى إدخالهم فيها وإحاطتهم بالسور الثانى ، ولعلهم كانوا يكونون جالية (Politeuma) كالجالية السورية بسلوقية ، ولكن المرء لا يستطيع أن يجزم فى هذا الصدد برأى وربما كانت أنطاكية – إدسا (الرها) التى تنعت بأنها شبه بربرية – من نفس هذا الطراز ، وكذلك شأن

أنطاقية تجاه بيسيديا ، ومع أنها كانت مدينة إغريقية إلا أنها احتاجت إلى أن يؤسس بقربها مزار مقدس منفصل للرب مين الأسكيني (Men Askaonos) (انظر الفصل العاشر) ، وهو أمر يشير إلى وجود حي وطني كبير منذ البداية . وثمة مدينة وطنية قديمة هي مدينة أرادوس الفينيقية تحظى بامتيازات استثنائية جداً من سلوقوس الثاني ، منها الحق في إيواء اللاجئين السياسيين .

وفضلا عن هذه الظواهر كانت هناك أيضاً مدن جديدة لم تسم إلا بأسماء وطنية . ويذكر إيذيدور الخاراكسي عدداً منها يقع معظمه في شرقي إيران ولما كان ينقل إلينا ماسجلته البيانات المساحية البارثية الرسمية عن الواقع في زمن يقارب ١٠٠ ق . م فإنه إذا سمى مكاناً باسم مدينة (Polis) كان ذلك المكان مدينة فعلا . ولا بد أ نه كانت هناك مستقرات عسكرية شرقي الفرات إما مختلطة الأجناس وإما أسيوية صرفة (وذلك لأن السلوقيين كانوا يستخدمون بعض الجند الأسيويين) مثل المستقر القائم بأفرومان بكردستان (نفس هذا الفصل ، هامش) ، حيث كانت الإغريقية هي اللغة الرسمية . بيد أن جميع من ورد ذكرهم كانوا من الآسيويين. على أن هذه المستقرات العسكرية قد نمت فصارت مدناً ذات أسماء وطنية ، فلو فرض أن بعض الإغريق كانوا بتلك المدن ، فلا بد أنهم كانوا يعيشون تحت حكم الحكومة المحلية للمواطنين الآسيويين مثل إغريق سيرينكس Syrinx في هيركانيا (Hyrcania أو أولئك الذين كانوا يعيشون في الحي اليوناني بمدينة سورية لم يذكر اسمها . وهناك نقش يرجع إلى القرن الأول مصدره أنيسا بكبادوكيا ربما أوضح لنا نشأة مثل تلك المدينة ، ولعلها نشأت في هذه الحالة بأمر ملك كبادوكيا . ونه يستنبط أنه كان لها مقومات المدينة الإغريقية المستكملة ، وكانت لغتها الرسمية هي اليونانية بيد أن جميع مـــن وردت

اسماؤهم من الرجال كان لهم إما أسماء كبادوكية وإما كانت أسماء آبائهم كبادوكية وكانت دار التسجيل معبد ربة محلية والشيء الذي تشهد به تلك المدن حقاً هو شدة افتتا الآسيويين بأنظمة المدن الإغريقية .

والسلوقيون ، وإن لم يكن لهم هدف معين يرمي إلى طبع سورية بالطابع الهللينستي إ أن مجرد التجاور البحت كان له بطبيعة الحال بعض الأثر ، كما أنه كانت هناك قوتان تعملان إلى جوار عامل السياسة : أولاهما هي القانون ، ذلك أن القانون اليوناني كان يشق طريقه يساعده فيما يرجح تلك السياسة التي كانت في الأصل سياسة الإسكندر دون ريب في تطبيق ذلك القانون على الجاليات الأجنبية بالمدن . فقد نما قانون إغريق سوري اضطرت روما أن تحترق ، وقد تعقب المؤرخون تاريخه في سورية إلى ماوراءذلك بعدة قرون كما أن النظم القانونية الإغريقية كانت متأصلة عميقة . وكما أن قانون مدينة الإسكندرية ، وإن كان يونانياً ، إلا أنه ليس فيما يظهر قانوناً يونانيا منقولا عن اية مدينة بعينها ، فكذلك قانون الإرث الذي نقل عن دورا (الفصل الرابع هامش) فإنه يعد أثينيا أضيفت إليه عناصر أخرى . ولكن الشيء المدهش المسترعي للأنظار هو وثائق القرن الأول ، وهي عقود إيجار يونانية كتبت باللغة الإغريقية بين رجال لهم أسماء إيرانية ووجدت ببلدة أفرومان وذلك لأن هذه لم تستخرج من أية مدينة كيفما اتفق ، بل من قرية نائية بكردستان الإيرانيه وكانت القوة الثانية هي اللغة اليونانية التي كانت لساناً قاهراً حيثما حلت . وكان يستخدمها عدد عظيم جداً من الأسيويين ، وكان لها موطيء قدم حتى في كيبورا الشهيرة بكثرة ما بها من ألسن ، وكان بعض الأسيويين يكتبون الكتب باليونانية . ومن المحتمل أنها أصبحت لغة التخاطب الشائعة والواسعة الانتشار (Lingua franca) بين

التجار فى كل مكان خلا إقليم بابل . بل إنه حدث حتى فى بابل نفسها أن بعض الكهنة فى القرن الأول ق . م كتب تكريساً بالأحرف اليونانية . وبعد ذلك بفترة وجيزة كانت شواهد القبور النبطية وماعليها من نقوش تترجم ماكان لدى اليونان منها . وقد عثر على وثائق يونانية حتى فى جورجيا ، التى لا يكاد يصدق أن أى إغريقى زارها. وهناك ألفاظ إغريقية كثيرة مستخدمة فى اللغتين السوريانية والأرامية ، كما أن اليونانية طردت الألسن الأهلية طرداً تاماً من كل من ليديا وغرب فريجيا . ولكن مهما تكن القوة التى بلغتها اليونانية كأداة توصل بين الناس فإن نجاحها كانت له حدوده ، وذلك بأن فريجيا الشرقية وليكا وليكاؤنيا وسورية احتفظت جميعاً بلغاتها الأصلية فى النواحى الريفية ، وذلك هو بطبيعة الحال ما فعلته بلاد آسيا الداخلية ، فإن اللغة الفينيقية لم تبرح لغة الكلام فى أثناء الحقبة المسيحية حتى فى بيبلوس (Byblos) وصور على ساحل البحر . ولكن هناك نتيجة لتجاور الأجناس فى الحياة لتجاور الأجناس فى الحياة والتجارة ، هى ظهورما يسمونه باسم " اليونانى بالثقافة " وهو الاسيوى الذى " يتحول إغريقياً " – إن جاز مثل هذا القول – فيتخذ اسماً إغريقياً ويتعلم اللسان والثقافة الإغريقية فإنالمرأة (الأممية الإغريقية) التى هى " فى جنسها فينيقية سورية " والتى يذكرها إنجيل مرقس إصحاح ٧ : آية ٢٦ – كانت من هذا النوع . وفى الإمكان جمع الأمثلة الدالة على ذلك النوع من التحول عن طريق الثقافة بين الجانبين ، وليس هنا موضع بحثها .

ومن أعظم الأشياء التى فعلها السلوقيون إدخالهم تقويماً حقيقياً . ولكنهم ليسوا أسبق الناس إلى ذلك ، وذلك لأن بعض المدن الفينيقية قد سبقتهم إلى البدء فى استخدام تاريخ ثابت يؤرخون به بيد أنه كان أول تقويم عام وكان ينطوى على تقدم عظيم فى

الحساب والتقويم على أساس تسمية العهود بأسماء بعض الموظفين العموميين أو علـــى أساس سنوات حكم أحد الملوك - وهى خصيصة بربرية لا تزال تستخدم فـى التـاريخ الرسمى للقوانين وإصدار ها ببريطانيا العظمـى ومنـذ إبتـداء الحقبـة السـلوقية أخـذت التواريخ تحسب بأرقام بسيطة ، على أنه كانت هناك صيغتان تساخدمان لتلك الحقبة ، فإن السنة الأولى ابتدات بإقليم بابل بيوم أول نيسان (مارس - أبريل) عام ٣١١ وهو العيد الأول للسنة الجديدة لسلوقوس بعد أن استرد مدينة بابل ، ولكن التقويم كان يبدأ فى سورية باليوم الأول من السنة المقدونية التى كانت دارجـة الاستعمال آنـذاك أى أول ديوس (أكتوبر) عام ٣١٢ . وبذلك كان هناك فرق يقارب خمسة أشهر بين التاريخين . وكان التقويم السلوقى واسع الانتشار فى آسيا حتى عند اليهود كما أنه دام طويلا ، وتستخدم فيه فى الغالب أسماء الأشهر البابلية أو الفارسية بدلا من مقدونية . وكان يستخدم فى كل أرجاء الإمبراطورية البارثية وما يتبعها من ممالك ، وبلغ بلاد الهند ، وكان (فيما يقال) لا يزال يستخدم فى بعض أجزاء من سورية فى القرن الراهن .

ولو تأملنا المدى الواسع الذى بلغة الاستيطان الذى قام به السلوقيون فى آسيا أوشك ان يتعذر علينا أن نصدق أنه فشل .ولكن الواقع أنه قد فشل ، فلم يصادف نجاحاً إلا فى أجزاء آسيا (كما كان الناس يعتقدون فيما سبق) لأن الزواج المختلط قد جعل من الإغريق قبل نهاية القرن الرابع شرقيين مولدين يجرى فى عروقهم دم مشترك والواقع أن شيئاً مـــن ذلك لم يحدث . فإن اليونان كانوا يستطيعون أن يستوعبوا القدر الكبير من الدم الأجنبى ويظلون مع ذلك إغريقاً كما نشهد بذلك ميليتوس وبرقة أو يصبحون هجناء مثل يمستوكليس وكيمون ولكن الواقع أن الإغريق فى آسيا ظلوا حتى قرابة الحقبة المسيـــحية

يبدلون أقص الجهد للمحافظة على نقاء دمائهم ، كما أن ذيوع الأدب اليونـانى بعد الفتح البارثى لم يكن إلا إثباتاً منهم وتأكيداً لعترتهم اليونانية . وقد كون الهجنـاء المولـود بشمال أرض الجزيرة حوالى ٥٠ ق . م طائفة منعزلة عدت أقرب إلى البرابرة منها إلى الإغريق ،كما أطلـق عليهـم اسـم خـاص ينطـوى علـى الزرايـة والتحقير ، ,كـان هنـاك حتـى بمدينـة دورايوروبس مراقبون للسلالات والأنساب (genearchs) ، كـانت إحـدى مهـام وظيفتهـم المحافظة على نقاء دماء الأسر الإغريقيـة . ومما يؤثر عـن دورا بطبيعة الحـال وفـرة تخـالط الدماء بها ، ولكن ذلك جميعه جاء متأخراً عن الحقبة المسيحية ، إن دورا التى خلفت لنا النقوش لم تكن كما سماها بعضهم مدينة إغريقية دب فيها الانحـلال ، بـل مدينـة تنتقل إلى نوع جديد من الحياة فى أيدى البارثيين ثم بعد ذلك فى أيدى الرومان . وكـانت عـادة البارثيين وهـم طبقة أرستقراطية متسامحة أن يحسنوا معاملـة المـدن الإغريقيـة ولكـن دورا الواقعة علـى حدودهـم كـان نصيبها أن احتلوها وأعـادوا بنـاء بعـض أجزائهـا . ولا شك أن التسمية التى أطلقوها أصبحت عندئذ ناطقة بأفصح بيان . وكان هناك خلط خـارق عجيب مـن النظـم منهـا البـابلى والفارسى والسورى . وكـانت أسمـاء الرجـال مزيجـاً مـن أمثـال ساميسيلابوس (شاماش أبى) وبافالادادوس وبرناباس ، كمـا أن أسمـاء النسـاء المكونـة من أسمـاء الربـات الآسيويات وأفضلها ما اشتق مـن نانايا ، وهى الربـة البابليـة للمدينـة مثـل مثاثانات (هبة أنائتس) وبثنانيا (بنت ثانايا) وميكات نانايـا وباريبونايـا ورهيجونـاى (وهـو اسم وصيغة عشتاروت المسماة ساباس) ، واسم الربة الذى اتخذه فلوبير بطلة له وهو سلامبو ، الذى ظهر عند ذاك كاسم لامرآة هو سلامبو فى كل مـن دورا وغزة . ولقد حـدث تخـالط وفير فى الدماء وأخذ الخطأ فى قواعد النحو والصرف يدب إلى اللغة اليونانية المستخدمة ، كما يظهر ذلك فى عملات العصر البارثى المتأخر والعملات الكوشانية .

وهناك أسباب عدة لفشل السلوقيين فى هذا الاتجاه منها أنه لم يكن هناك من الإغريق العدد الكافى لاستعمار آسيا ومنها أنهم لم يكونوا بأية حال يتخذون من الأرض الزراعية أبداً مستقراً لهم بل يتجمعون فى المدن الأرض تكون فى النهاية ملكا لمن حرثها . وكانت بعض المناطق لا تصلح لطريقة العيش الإغريقية ، كما أن كثيراً منها لم يكن من المستطاع الوصول منه إلى البحر ، وهو السبب الذى من أجله حاول السلوقيون - اقتفاء منهم لسياسة الإسكندر أن يستعمروا المنطقة المحيطة بالخليج الفارسى . وفضلا عن ذلك لم يحاول هؤلاء الملوك قط - على النقيض من أسرة يوثيديموس - أن يحصلوا على رضا الشعوب الإيرانية العظيمة عن حكمهم . والراجح أن ذلك هو السر فى قوة نفوذ الديانات الشرقية بل فيما هو أكثر من ذلك - وهو شىء كان الناس يبالغون فى التشديد فيه . ذلك أن اليونانى كمشرك يعبد عدة آلهة ، كان وهو فى قطر غريب عنه يعبد بطبيعة الحال الرب الذى يعرف أسلوب الحياة فى البلاد ولكننا سنزداد اطلاعاً حين نرى إغريق سوس يجبرون الربة العظيمة نانايا على خدمة أغراضهم خدمة أفضت إلى القضاء عليها ، أو نرى تجار سلوقية الإغريق اختاروا أن يضعوا على خواتمهم صورة أثينا الربة الإغريقية التى لم يصل إلى مرتبتها أى معبود أسيوى ألبته إلا عند النبط وحدهم . بيد أن من المحتمل أن السبب الرئيسى هو أن الشىء الذى كان الآسيوى يبغى أخذه من اليونانى هو الشكل فقط وليس الروح الميالة إلى البوح بما لديها من علم ، فقد كانت آسيا من ناحية الروح تعلم أن مسائلها الروحية أطول عمراً من الروح الإغريقية ، وهو الواقع الذى حدث فعلا . وكافح اليونان كفاحاً مجيداً ، وإن انتهى الأمر بأن غمر الطوفان الآسيوى الأمكنة جميعاً مكاناً بعد آخر ، ورغم ذلك فإن بعض المدن التى نعرف منها سوس وسلوقية كانت لا تزال مدناً إغريقية فى القرن الثانى الميلادى ، كما أن التدمير الكامل تقريباً الذى حل بسلوقية فى ١٦٣ للميلاد ،

وإن فتحت أبوابها للغزاة ، لا تنسب جريرته إلى أى شىء آسيوى بل إلى أحد أباطرة الرومان . وكان الناس يعدون الطاعون الذى أخذ منذ ذلك الحين يجتاح الإمبراطورية الرومانية من سورية إلى نهر الرين بمثابة انتقام السماء من أجل سلوقية .

* * *

ولننتقل الآن إلى برجامة . بدأ الأتاليون أمرهم بداية متواضعة كأمراء لقلعة على أحد التلال . وسرعان ما أصبحت لهم السيادة على أبوليس ، ثم أصبحوا حكاماً على آسيا الصغرى حول جبال طوروس من ٢٢٨ – ٢٢٣ . ومن ١٨٨ – ١٣٣ ، بعد أن تلقب أتالوس الأول بلقب ملك ، ولكن الدلائل تشير إليهم كمملكة من الطراز البطلمى ، أى أداة منظمة لتكديس الثروة ، وتعتبرهم قطراً يعد من وجهة النظر الهللينستية فى مستوى السلوقيين . وأدى موقع البلاد السياسى إلى جعل الأتاليين أعداء ألداء للسلوقيين وحلفاء أصدقاء لمصر ، لذا كان من الطبيعى أن يقلدوا مصر فى كل شىء . ولما كانوا لا يستطيعون أن يتخذوا من الألوهية أساسا لحكمهم (الفصل الثانى) ولم يكونوا ملوكاً قوميين ، فإنهم قنعوا بأن يتولوا الحكم كحكام ديموقراطيين ، فلم يستخدموا قط فى مراسيمهم لفظة " نحن " التى يستخدمها الملوك ، كما أنهم كانوا يسمون أنفسهم أحياناً مواطنين من برجامة . ومن المحتمل أن فكرتهم هى أن يكون الملك فيهم بمثابة " المواطن الأول " فى الدولة ، وهو نوع من الاستباق لأحداث عهد اوغسطوس . على أن قيام الأتاليين بإدارة دولتهم على أحسن وجه وبطريقة تنطوى على الكفاية ، وأن الرومان والموالين لهم من الإغريق ينوهون بذكر أنصار روما المخلصين – كل تلك أمور لا يمكن أن تخفى وراءها العاطفة اليونانية البحته المترقرقة تحت التيارات الظاهرة ، ذلك أن اليونان ذوى النزعة القومية القوية كانوا

يرون أن يومينيس الثانى لم يكن إلا يهودا الأسخريوطى الخائن الكبير لقضية الهللينستية ، والرجل الذى حرض روما على تحطيم الأسرة السلوقية ، التى كانت تناصر التقدم والارتقاء الهللينستى . أجل إن سكان أنطاكية ربما سخروا من عاهلهم أنطيوخوس ، وربما حقر هو نفسه بالقيام بعمل المقالب فيهم . بيد أن دافيتاس النحوى يشبه بمنتهى المرارة والجد هؤلاء الأتاليين المحدثى النعمة ، الذين يتسلطون على المدن الإغريقية فى ثيابهم الأرجوانية ، بما يتركه الجلد والتعذيب من أثار حمراء على ظهر عبد ضرب بالسياط وكان جزاؤه الصلب تبعاً لذلك ولم يكن أحد من اليونان يتحدث أبداً بمثل هذا عن السلوقيين .

وحينما حكمت برجامة ، ألغيت سياسة السلوقيين الرامية إلى مواصلة إنقاص أرض الملك وتضييق رقعة رق الأرض ، إذ الظاهر أن الأتاليين لم يكونوا يقتصرون على الاحتفاظ بأرض الملك ، بل يزيدون فيها بالاستيلاء على أراضى المعابد الزارعية وجعل المعابد تابعة لبعض المدن . وقد أعانهم على ذلك أنه بالرغم من وجود كثير من دول المعابد فى ابوليس من زمن بعيد ، إلا أن واحداً منها لم يكن قوياً حقاً . ولابد أنهم كانوا كالبطالمة يمنحون الموظفين حق الانتفاع والارتفاق القابل للاسترداد فى استغلال الأراضى الزراعية ، وذلك لأن أتالوس الثالث وجد كثيراً من تلك المزارع الفسيحة فصادرها أو استردها بمعنى آخر , ومع ذلك فإنهم أسسوا عدداً من المنشئات ، ولا شك فى أن اثنين منها كانتا مدينتين مستكملتين هما : أتاليا فى بامفيليا ، وهى ميناؤهم تجاهمصر ،حيث كان الطريق المؤدى من لاؤدكيا إلى كيورا يصل إلى البحر وفيلادلفيا بالمنطقة البركانية بليديا ، وهى التى أصبحت فيما بعد مكاناً عظيم الشأن ، وكانت تسمى " أثينا الصغيرة " ، كما أنها بنيت بقصد مقاومة الزلازل التى كانت كثيراً ماتهزها . ثم إنهم وسعوا حجم إيلايا لتكون مرفأ

ليرجامة ، كما شادوا ميناء آخر هو هيلينوبوليس على بحر مرمرة (Propontis) وأسسوا بعض مستقرات عسكرية على الطراز المألوف . وكان أولها فيليتا يريا عند سفح جبل إيدا وأتاليا على نهر هرمس ، وهناك عدة أسماء أخرى لمنشئات أسسها الأتاليون ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يقطع هل هيَ مدن أو مستقرات عسكرية . وكان الأتاليون يعتمدون على جيش من المرتزقه ، إن استخدموا سكان ميسيا الجبليين فى كل الساترابيات قوادا حسب العادة الشائعة ، وصار لهم " وزير لشئون الدولة " كالسلوقيين سواء بسواء .

وقد انكشفت علاقاتهم بما فى مملكتهم من المدن الإغريقية انكشافاً ظاهراً فى مؤتمر الصلح الذى عقد بعد هزيمة أنطيوخوس الثالث ، يوم أعطت روما آسيا الصغرى السلوقية ليومينيس الثانى : فبينما كانت رودس تطالب بحرية المدن الإغريقية ، كان يومينيس يطالب بجعلها رعية له . وتساهلت روما ، ثم أسلمت إليه باعتبارهم رعاياه - كل من كان تابعاً يدفع الجزية لآتالوس الأول أو من ساعدوا أنطيوخوس ثم أعلنت حرية الباقين ، ومن المدن التى سلمت إليه باعتبارهم رعاياه - كل من كان تابعاً يدفع الجزية لأتالوس الأول أو من ساعدوا انطيوخوس ثم أعلنت حرية الباقين ، ومن المدن التى سلمت إليه: إفيسوس وتيوس وتراللس ، على حين أن بعض المدن التى أعلن أنها حرة - والمعروف منها هو ساموس وبرينى وماجنيزيا ولا مبساكوس - عادت بعد ذلك قد خلت فى " صداقة ومحالفة " مع روما ، وهو أمر حدد تصرفتها ووجهها وجهة أخرى على أن عدداً كبيراً من المدن ، منها ميليتوس وأزمير ، كانت تستمتع بحرية حقيقية . وقد أخذت ابولونيا تجاه بيسيديا تؤرخ لحقبة تبدأ فى ١٨٩ . ومن البديهى أن التدمر انتشر بين المدن الخاضعة ، ويعلم القــارىء

كيف عالج يومينيس أمر إحدى المدن الإغريقية ، ولعلها أبولونيا على نهر ريندا كوس بفريجيا الهللسبونتية : فألغى استقلالها وصادر معابدها ووضعها تحت حكم قائد الساترابية . ثم عاد فيما بعد فأرجع إليها استقلالها الداخلى ومعابدها ، بيد أن المدينة ظللت تدفع الجزية وتخضع للقائد . وكانت تيوس تدفع الجزية هى أيضاً ، ويقول الكتاب المتأخرون : إنه لا شك بناء على هذا أن جميع المدن الإغريقية غير الحرة كانت بالمثل تدفع الجزية ، وذلك لأن تيوس كانت تمتاز بكونها المركز الرئيسى فى آسيا للفنانين الديونيسيين ، الذين كان الأتاليون يحبونهم ويقربونهم . والظاهر أن بعض المدن التى تذكر السجلات منها إفيسوس وأمبلادا - كانت تفرض عليها الضرائب مبلغاً معيناً من المال يقدر حسب تقدير الأملاك وتجمعه المدينة من المواطنين على الطريقة التى ترضيهم . ولكن الضرائب فى أبولونيا كانت تفرض على المواطنين مباشرة وليس عن طريق المدينة ، ويلوح أنه كانت هناك ضرائب كثيرة ، ولعل القائمة الطويلة التى كانت تيوس نفسها تفرضها على المواطنين (الفصل الثالث) ، وإن كان ذلك فى زمن أبكر كثيراً (حوالى ٣٠٠) ، وربما أعطتنا فكرة عن نظام الضرائب الأتالى فيما بعد . ولاشك أنه على النقيض من تلك الحال كان الملوك يمنحون بعض المدن إعانات مالية من الخزانه العامه مثل التى كانت تتلقاها تيوس وأبولونيا ، وهى إعانات كانت تدفع كل عام لمديرى خزانة المدينة ، كما كان فى الإمكان استخدامها لسد النفقات المدينة والدينية اللازمة للمدينة ، بيد أن طريقتهم العامة فى معاملة مدنهم اليونانية كانت واضحة تماماً , فأنهم كانوا يفرضون على المدن من الضرائب والجزية مالا طاقة للمدينة بجمعه ، ثم يعوضون النقص بأنفسهم ، وبذلك يضعون المدن فى قبضتهم بوسائل مالية لا تقل قوة عن الوسائل السياسية .

وإذن فلم يكن للمن الإغريقية غير المحرة نصيب من الحكم الذاتى إلا الشكل وحده فى ظل الحكم الاتالى ، وحتى ذلك الشكل نفسه كان مزعزعاً واهى الأساس يمكن سحبه متى شاء الملك ، وكانت المدينة خاضعة بصورة ما للقائد الإقليمى ، كما كانت تفرض عليها الضرائب ، على حين أن قبولها للإعانات الملكية كان يعطى الملك الحق فى التدخل فى إدارتها المالية الداخلية ولكن كانت لهم مظاهر أخرى تعسفية للتدخل . فقد صادر بعض ملوك الأتاليين الإيرادات التى تنتجها مصايد الأسماك ببحيرات أرتميس المقدسة قرب إفيسوس ، وهو شيء لم تغفره إفيسوس بعد ذلك أبداً . وكان الملوك يدعون لأنفسهم الحق فى نقل السكان من مكان إلى آخر حسبما يشاءون ، (وذلك كما فعل أنتيجونس الأول أخيراً وليسماخوس) ، وسلخ احدهم جزءاً من أرض بريابوس ومنحها لباريوم ، كما ضمت داردانوس إلى أبيدوس ، وكادت جارجارا تختنق بمن دفع إليها قسراً من رجال القبائل المتبربرين ، كما أن قرية جرجيتا نقلت من منطقة تروادة إلى نطاق نهر كايكوس , وكان لنقراسا وآيجينا وأماكن أخرى كثيرة ولاريب – حاكم (Epistates) يتولى الإشراف على المدينة ، كما أن برجامه كان بها مفتش على إيرادات المعبد . أما برجامه نفسها فهى وإن كانت لها مظاهر المدينة الإغريقية ونظمها ، إلا أنها كانت مما يتصرف فيه الملك ويتحكم عن طريق حقه فى تعيين الموظفين العموميين الرئيسيين بالمدينة ، ومن المحتمل أنهم هم وحدهم كان لهم الحق فى عرض المسائل على الجمعية العامه والمجلس ، وهو أمر كان من شأن أن مكن الأتاليين من التحكم فى مالية المدينة ، شأن البطالمة وما فعلوه فى مدنهم بآسيا الصغرى وإن اختلف الأساس .

ازدهرت برجامه مالياً بصورة مكنت الملوك من استخدام جيوش ضخمة ، وكانوا مضرب

الأمثال فى الغنى بين ملوك آسيا . أما أرض الملك عندهم وهى بخلاف تلك التى تمنح للموظفين أو تستخدم للمستقرات العسكرية (Cleruchland) ، فكانوا يديرونها بأنفسهم على جارى العادة المتبعة ، ولكن الراجح أنهم كانوا يستخدمون الطريقة المصرية حيث يأخذون من الفلاحين نصيباً مقرراً ، وليس نسبة معينة من الحصول كما كان السلوقيون يفعلون وذلك انه يروى عن قائد فريجيا الهلك ونتية أنه يفترض أنه لو احتاج الأمر إلى بذور القمح ، وجب أن يقدم التماس بذلك إلى الملك ، الذى كان بناء على ذلك هوالمتحكم فى كل الفائض من القمح خارج المدن . ومع ذلك فإن أصحاب الإقطاع العسكرى وهم (Cleruchs) المحظوظون أصحاب المستقرات العسكرية كانوا يدفعون عشر المحصول ضرائب , وكانت أيوليس وإقليم ترواده مناطق تجيد الزراعة وتربية الماشية . والراجح أن اضطبلات الخيل الملكية كانت تقام بالقرب من جبل إيدا ، كما أن إيدا أحد الأسباب التى ربطت بينها وبين الأتاليين ، فى حين أن ماشيتهم والجلود التى كانوا يستوردونها من إقليم البحر الأسود عن طريق كيزيكوس هى التى تمون العالم بما يلزمه من رق . ونظامهم الإقتصادى مجهول ، ولكن لا شك أنه كان نظاماً عالى الازدهار والرقى وخاصة فيما يتعلق بالموارد الطبيعية . وكان الملوك شغوفين بالزراعة العلمية شغف البطالمة الأول . وقد كتب أتالويس الأول وصفاً لجبل إيدا كما أن أتالوس الثالث كتب رسالة عن الحدائق . ومما هو جدير بالذكر أن خزانة الملك بتلك البلاد كان يستخدم فى وصفها المصطلح البطلمى (ريكسوس Rhiscus) وليس لفظة جازا Gaza وهى المصطلح الذى كان يطلقه على كنوزهم الملوك المقدونيون بآسيا : أنتيجونس الأول وليسيماخوس والسلوقيون . ولم نسمع قط عن وجود احتكارات ملكية هناك ، ولكن من المعقول أن الرق والقار لا بد أنها كانت احتكار ، ومع ذلك فإن هناك ظاهرة اتسم بها نظامها وتختلف عن أية ظاهرة فى أية مملكة أخرى :

وهى إفراطهم فى استخدام العمال الأرقام . فالجميع من ملوك ومدن على السواء كانوا يستخدمون العمال الأرقاء فى المناجم . ولكن بينما الذى كان يحدث فى مصر أن الصناعات الاحتكاريه كان يقوم بها قوم من أشباه رقيق الأرض ، فإن المصانع الملكية ببرجامه التى كانت تنتج جلود الرق والمنسوجات والديباج الموشى الأتالى الذائع الصيت وقد غزل بخيوط الذهب ، كانت تستخدم حشوداً من الرقيق معظمهم من النساء تحت رعاية " مشرف على المصانع الملكية " . ولا بد أن الدولة الأتالية كانت تقوم حقاً ، لا على المدن والمستقرات كالدولة السلوقية ، بل على الثروة التى ينتجها رقيق الأرض والعمال الأرقاء . بيد أنها أسدت للعالم خدمتين . فإنها وقت عدداً كبيراً من المدن غائلة الغلاطيين ، كما أنها جمعت بمدينة برجامه مكتبة ليس لها من ضريب سابق إلا مكتبة الإسكندرية .

ولم يلبث ملوك الأتاليين ، خاصة يومينيس الثانى وأتالوس الثانى أن حولوا رويداً رويداً قلعة التل القديمة فى برجامه القائمة على حافتها الشبيهة بالهلال إلى عاصمة فخمة ، وهى لم تبن على النظام المستطيل المعتاد ، ولكنها أوتيت من الجمال مالم تكن تقاربها فيه مدينة أخرى عدا سلوقية القائمة على سفح بيريا . وكانت بيوت العامة تزدحم عند سفح التل ، على حين كانت المدينة الإغريقية تصعد جناحى التل من جانبيه وتشرف عليها على طول القمة مبانى الملوك الفاخرة . وكان الطريق الرئيسى الموصل إليها يؤدى إلى المدخل الموصل إلى الجمنازيات الثلاثة ، وهى تقوم الواحدة منها بعد الأخرى فى مصاطب ومدرجات تصون حوافها جدران واقية متينة . وكان المدرج موجوداً فى الطنف الأعلى ، ومن فوقه كان سور القلعة الذى يضم بين دفتيه جزءاً من الحافة . وفى داخل هذا

الجدار على امتداد الحافة من الشمال إلى الجنوب كان يقوم القصر والمكتبة ومعبد أثينا الربة . وإلى جوار هذه وفى خارج السور كان هيكل زيوس سوتر (المخلص) يرتفع مشمخراً (الفصل التاسع) ، يحيط به فناء مبلط بالزليج كان يستخدم سوقا ، ومن وراء السوق معبد ديونيسوس وسوق أخرى سفلية ، تقف فيها ساعة على صورة الإله " هرميز " وله قرون الخيرات التى يفيض منها الماء بين الفينه والأخرى . وقد عرفنا إلى حد ما شيئاً عن قانون الصحة العامة للمدينة وهو الذى وضعه أحد الملوك . وكان ينص على تكليف أصحاب البيوت بكنس الشوارع وإصلاح المنازل الخربة أو التى أوشكت أن تتهدم . فإذا لم يقم المنزل بأداء ما عليه من واجب كان فى إمكان حكام المدينة (Aslynomi) أن يوقعوا عليه الغرامة وأن يقوموا بالعمل على حسابه ، فإذا أهملوا القيام بذلك كان فى إمكان قادة المدينة أن يفعلوه ، ولما كان القواد يتلقون الأوامر من الملك كان الملك هو السلطة الصحية العليا . وقد اتخذت الوسائل الكفيلة بالمحافظة على حسن نظام الطرق . وكانت جميع الصهاريج تسجل ، كما أن ما كان يوقع من العقوبات جزاء على تلويث موارد المياه بالمدينة بغسل الثياب أو سقاية الحيوانات كانت قاسية شديدة . ولكن مدينة برجامه كانت مدينة شبه أسيوية رغم عظمتها واتخاذها نظم المدينة الإغريقية . فإن معبد أثينا كان يعبد فيه إلى جوارها زيوس السبازى (Sabazios) ، وهو شكل ما من أشكال المعبود العام لآسيا الصغرى أحضرته معها من موطنها الكبادوكى استراتونيكى زوجة يومينيس الثانى ، وكانت المدينة السفلى مزدحمة بالتجار الأجانب وفرق المرتزقة والمحررين من الناس عدا الحشود الكبيرة من العمال الأرقاء فى مصانع التاج . وفى نفس الوصية التى وهب بها أتالوس الثالث مملكته لروما ، جعل مدينته مدينة حرة أيضاً . ولكى يحول المواطنون دون قيام ثورة بين الأرقاء تقليداً للتى حدثت بصقلية ، منحوا الحقوق السياسية لكل أجنبى

مقيم (Metic) وللمرتزقه بما فى ذلك جميع الميسيين والبافلاجونيين النازلين فى أرض المدينة ، كما رفعوا المحررين من الناس والعبيد ما عدا بعض النسوة إلى مرتبة الأجانب المقيمين – وهو شيء يعد فى حد ذاته ثورة ، كما أنه أعظم تحرير جماعى للأسيويين سجله التاريخ .

***

على أن ممالك آسيا الصغرى الوطنية لم تصطبغ بالصباغ الهللينستى إلا بصورة سطحية فحسب . فإن كبادوكيا وبنطش وأرمينيا احتفظت بنظمها الإقطاعية القديمة . ومع أن كبادوكيا قسمت ، محاكاة لما فعله السلوقيون ، لإلى عشر ساترابيات أو قيادات ، إلا أنها كانت تؤرخ بتقويم فارسى . وقد اقتبس هؤلاء الملوك الأسيويون أسماء العبادات والنحل اليونانية واستخدموا فى حديثهم اللغة اليونانية والألقاب اليونانية فى بلاطاتهم وشملوا برعايتهم الفنانين الديونيسيين ، واستخدموا الخبراء اليونانيين من كل نوع مااستطاعوا إلى ذلك سبيلا – كما بنوا المدن على أسمائهم هم – وهى أرباراثيا فى كبادوكيا وبوباتوريا فى بنطش وأرسامو ساتا وبعدها تجرانو كرتا فى أرمينية ، ولكن هذه لم تكن فى العادة إلا مدن ملوك ، كما أن الممالك ظلت أسيوية فى جوهرها . وكانت كبادوكيا وبنطش معاقل قوية للمزدكية (Mazdaism) ، كما أن مثريداتس يوباتور لم يكن إلا متبربراً عليه طلاء خارجى لا يسترشيناً . ومما يشهد بهذه النزعة الهللينستية المشوبة المخلطة ذلك النقش الإغريقى الموجود على قبر أنطيوخوس الأول ملك كوماجينى وصديق بومبى وهو القبر الذى أقيم على نيمرود – داغ . وقد كتبه بلغة إغريقية شديدة الازدحام بمحسنات لفظيه وفصاحة منحطة الدرجة ، شخص لم يكن يعرف طريقة استخدام أداة التعريف اليونانية . وفيه يرجع الملك نسبه إلى دارا الأول والإسكندر مع أنه لم يكن فى الحقيقة إلا

نصف سلوقى (وهو ينتسب إلى الإسكندر عن طريق " أباما " زوجة سلوقوس التى يزعم الناس أنها إبنة الإسكندر) ، كما أنه يعد بلاد فارس ومقدونيا المصدر الأصلى لعاهليته ، وهو يستخدم التقويم المقدونى ، ولكنه ينسب ماأوتيه من توفيق إلى تقواه وقد استه ، والآلهة التى يعبدها هى أهورا مزدا الفارسى ومثرا مع إضافة أسماء يونانية إلى اسميهما . وهو يؤسس كبطل – وذلك نظام إغريقى لا شك فيه – ولإن كان المبنى لا يشابه أى شىء لدى الإغريق . وقد كرس عدد من القرى للعباده هناك ، كما كرست هيئة من رقيق المعابد (Hierodules) يلزم نسلها بالقيام على خدمة تلك النحلة إلى أبد الآبدين – وبذلك بعثت من جديد الأشكال الآسيوية القديمة لدولة المعبد .

ولعل بيثينيا وحدها هى التى تغلغلت فيها الروح الهللينستيه إلى أعمق من ذلك . وكانت الأسرة المالكة الوطنية تعد نفسها منافساً للأتاليين ومعادلاهم ، كما أنها أسست كثيراً من المدن . وقد حلت نيقوميديا (الجميلة) محل أستاكوس اليونانية التى دمرها ليسيماخوس وأصبحت مدينة هامة فى العصر الرومانى . وقد شاد " بروسياس " الأول مدينة بروسياس على البحر (وكان لها حق سك النقوذ) لتحل محل مدينة كيوس ، وهى مدينة إغريقية قديمة دمرها فيليب الخامس ، وأعاد تأسيس كيروس تحت إسم بروسياس على نهر الهيبروس ، كما أنه بناء على نصيحة هانيبال أنشامدينة بروسا (بروسه) ولعله أقامها لتحل محل مدينة إغريقية أخرى دمرت تلك هى مدينة أتوسا التى هلنت ميناؤها ، ميرلية ، فيما بعد باسم أباميا ، وكانت بالمملكة أيضاً مدينة نيقيا التى أقامها ليسيماخوس . ولا بد أن نيقيا وبروسياس كانتا تستمتعان بشىء من الاستقلال ، كما أن المدن الأخرى ربما كان لها على الأقل نظم المدن اليونانية ، وذلك لآنه يجدر بنا أن نذكر أنها جميعاً تحل محل مدن

إغريقية أقدم منها .

ولكن هناك شعباً ظل بعيداً عن منال الروح الهللينستيه تقريباً حتى العصر الروماني ، وهو شعب الغلاطيين . ذلك أنهم كانوا هيئة أجنبية تعسكر في أرض غريبة وتعيش في معاقل حصينة يخرجون منها للإغارة والنهب ويحكمون ماحولهم من فلاحين وطنيين يزرعون لهم الأرض . ولعلهم كانوا يتلقون إمدادات من أوربا ويحافظون على لغتهم وتنظيماتهم القبلية وعاداتهم وفضائلهم – وهي شجاعة الرجال وعفة النساء الشديدة الشماس . وقد انتهى بهم الأمر في النهاية إلى أن قبائلهم الثلاثة انقسمت كل منها إلى أقسام أربعة (Tetrarchies) ، يحكم كلا منها ناظر ربع (Tetrarch) من دونه قاض . وكان القضاة ينظرون في القضايا المدينة ، بيد أن التشريع الجنائي وربما شئون السياسة ايضاً إختص بهما مجلس من ثلاثمئة مسن ، كانوا يجتمعون بمكانهم المقدس " درينيميتوس " ، وهو موضع لعله منتدى مستدير للمناقشات يقع في أحد الأحراش ، ومن بين نظار الأرباع كان ينتخب قادة الحروب الذين يظهرون في الأدب اليوناني والروماني " كملوك " على أنهم لم يتدخلوا في شئون دولة المعبد في بيسينوس التي كانت تقع داخل أراضيهم – إلا بعد ١٦٦ عندما احتلوا بيسينوس وأخذت عقيدتهم تصطبغ على التدريج بالصباغ الفريجي . ولا شك أن مما يرشدنا في هذا الصدد مراسلات بومينيس الثاني وهو إذ ذاك صاحب الملك في غلاطيا (١٨٣ – ١٦٦) ، مع أتيس ملك بيسينوس الكاهن . ذلك آن يومينيس كان يكتب إليه كما يكتب ملك إلى ملك ، كما أن صداقة أتيس له كانت تقوى نفوذه في غلاطيا ، على حين أن شقيق أتيس خانه وانضم إلى الغالة واتخذ لنفسه إسماً غلاطياً ، وأخذ الحصول على الكهانة لنفسه ، وكان ذلك دون ريب لمصلحة غلاطيا وبمعاضدتها . وقد شيد يومينيس الثاني في بيسينوس معبداً

وعدة أبهاء أعمدة وقضى فى النهاية على ماتبقى من قوة الغلاطيين حتى إذا تمت المذبحة التى أعملها مثريدانس فى أرستقراطية الغالة شرعوا يتخذون لأنفسهم المظاهر العامة للمدينة السائدة فى البلاد . ولكن لغتهم لم تنقرض حتى فى القرن الثالث الميلادى ، كما أنهم كانوا لا يزالون يعبدون رباً كلتياً لإسمه زيوس البوسوريجى (Boussourigios) .

***

وربما جاز لنا أن نختم هذا الفصل بإشارة إلى أهمية المدن الإغريقية القديمة بآسيا ، وهى مدن لم تكد تحس أنها أدنى من الممالك مرتبة ، بما كان لها من تقاليد عريقة وعدد سكان ضخم وحياة متماسكة حافلة بالعمل وثروة نامية ومبان عامة فخمة وأسوار هائلة . ومع أن واحدة من هذه المدن لم تضارع أثينا فى القرن الرابع قط فضلا عن سيراقوزة ، إلا أن ميليتوس فى القرن الثانى بما كان لها من أرض ، كان عدد سكانها يقارب المئة ألف بما فى ذلك الأرقاء على حين أن إفيسوس كانت أكبر وأن رودس لا يمكن أن تكون أصغر كثيراً . وكانت ميليتوس لا تزال حوالى ٣٠٠ أعظم المدن الأيونية ، وهى تعتمد اعتماداً شديداً على تجارة الصوف بها وعلى معبدها الذى يعد أعظم معبد إغريقى بآسيا ، بيد أن إفيسوس وازمير مالبثتا بعد ذلك أن تفوقتا عليها . فإن ازمير أخذت بعد ٢٥٠ تتسنم ذروة العظمة ، وكان استقلالها تاماً ، ويحتفظ لنا التاريخ سجلا رائعاً عن علاقتها بسلوقوس الثانى ومساعدتها القلبية له ، فإن عندما عبر جبال طوروس فى ٢٤٤ ، قامت أزمير بالعمل معه كأنما هى تحت نائب ملك له ، وذلك لأنها أرادت أن تؤكد باسمه امتلاكها منحاً من الأرض وهبها أبوه ، وتكلفه أن يمنح منحاً جديدة ، وتكلف خزانته دفع أعطيات للمرتزقه . ويرجع السبب فى النمو العظيم الذى بلغته إفيسوس إلى تركز تجارة الشرق فى طريق أياميـــا –

إفيسوس ، ذلك التركز الذى قواه نقل ليسيماخوس للمدينة إلى شاطىء البحر بعد أن امتلأ المرفأ القديم بالرواسب ولعل إفيسوس هى التى ابتكرت الكيستوفورات (Cistophor) التى أصبحت العملة الطرازية لمملكة برجامة وانتشرت فى كل أرجاء آسيا الصغرى . وشرع الأتاليون فى القرن الثانى يتخذون من إفيسوس مرفأ لمملكتهم ، بيد أنها لم تنس لهم قط ماقاموا به فيها من مصادرات ، وانتهزت فى ١٣٢ فرصتها للانتقام منهم ، فإن أسطوها هزم أرستونيكوس فى البحر ، ومهد طريق روما إلى آسيا . ومنذ ذلك التاريخ صارت إفيسوس فى الواقع المدينة الكبرى فى الدولة مع قيام مركز القواد والخزانه الإقليميه بها ، وإن كانت برجامة هى العاصمة الرسمية لمقاطعة آسيا الرومانية . ذلك أنها كانت المنفذ والمخرج الطبيعى للبلاد ولأنها كانت شيئا يتجاوز مدينة إغريقية ، فإن معبدها اذائع الصيت لربه الخصب الأسيوية بما فيه من خصيان ومن بنات متكرسات وما به من ملاذ للجيرة والإيواء يرجع إلى ما قبل التاريخ وما كان يربى به من سمك مقدس ، كل ذلك كان ينتمى إلى عالم أقدم .

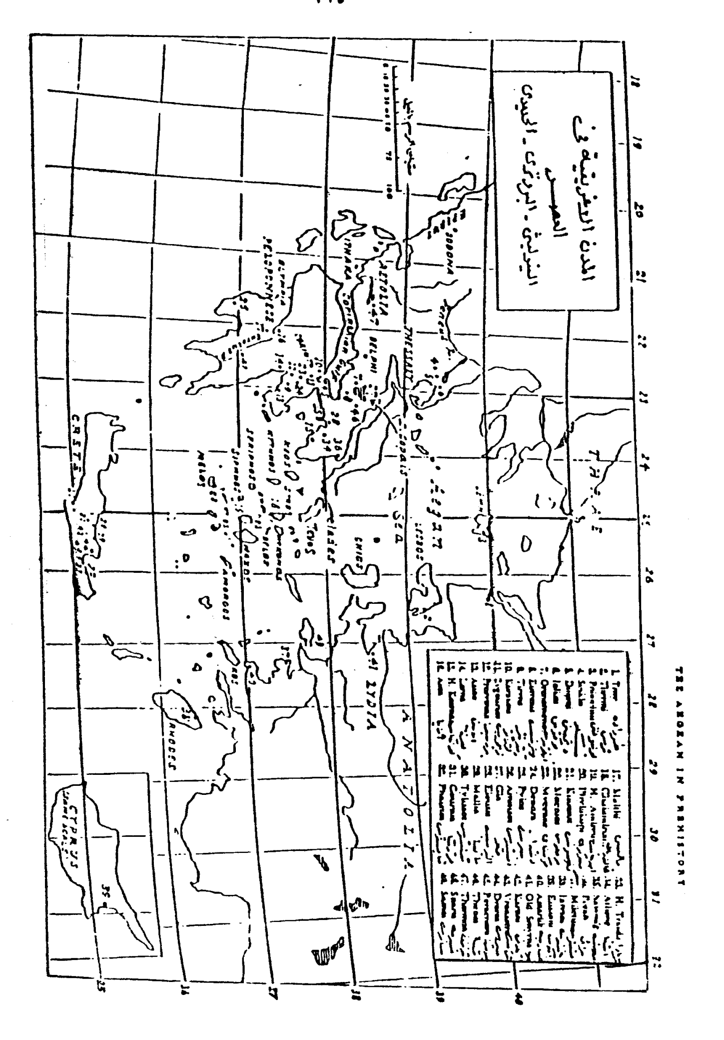
فإذا انتقلنا شمالا وجدنا مجنيزيا على الميآندر تستطيع أن تمد أذرعها من إيثاكا إلى نهر جيحون ، وقد اشتركت فى الدفاع عن دلفى ضد الغاليين ، كما أعطت الحقبة الهللينستيه فى باكتريا أقوى أسرة مالكة تولت عرشها ، وبذلك تمكنت من غزو الهند ، كما ساعدت السلوقيين على إنشاء مدينة أنطاكية المواجهة لتخوم بيسيديا وأنطاكية فى برسيس ، كما أعطتها دون ريب مدناً أخرى لا نعلمها . ولم يكن الناس يكثرون من قتل أولادهم فى مجنيزيا أثناء القرن الثالث . وكان معبدها العظيم المقام لعبادة أرتميس ذات الجبهة البيضاء (Leukophryene) التى خلفت الأم الدنديمية ، لا يقل فى الحجم إلا عن معابد إفيسوس وديديما (الفصل التاسع) ، كما أنه كان فيما يقال أجمل منهما كليهما . أما من حيث القوة

الحقيقية فإن هرقليا البونطشية حوالى ٢٨٠ كانت تفوق فيما يرجع أية مدينة قائمة على أرضا القارة . وكانت تحكم رقعة عظيمة من الأرض تضم مدناً أخرى ، كما أن تفاخرت فى احد الأيام بأنها أقوى من سلوقوس ، ولكنها لم تستطع أن تحافظ على مركزها فيما عقب ذلك من الزمن . ويصدق هذا القول أيضاً على سينوبى . وكانت تشخص ببصرها إلى اللحظة التى بدأ فيها ليسيماخوس يجعل من البحر الأسود بحيرة له خاصة ، بينما تتمنى سينوبى أن تسوده وتتحكم فيه وتحظى بتجارة ضخمة جديدة . بيد أن ليسيماخوس لم يترك من ورائه عقبا ، ومن ثم فإن سينوبى انحدرت وأصبحت عاصمة ملوك بنطش . غير أن كيزيكوس المستقلة بما لها من ميناء مدهش مزدوج وأسطول عظيم الكفاية احتفظت بمكانها وزيادة . وكان لها طريق جيد الرصف يمتد إلى سرديس أعلى وادى الماكستوس ، وعن طريقها كانت تمر التجارة بين مملكة برجامة والبحر الأسود ، ويضعها استرابون فى مرتبة رودس وقرطاجه ومارسيليا . وكانت قد بنت سياستها على الصداقة المستديمة لبرجامة ، بل حتى المحالفة لها فيما يحتمل . وكانت علاقاتهامع تلك المملكة علاقة رودس بمصر ، كما أنها وهبت الأسرة المالكة خير ملكة ظهرت فيها وهى أبوللونيس التى عادت المدينة فالهتها فيما بعد وكان أمراء من بيوت كثيرة يبعثون إلى كيزيكوس ليتلقوا تعليمهم . وقد بلغت من القوة فى ٢٧٧ أن قاتلت تروكمى الغلاطى بمفردها ، ولكنها استطاعت بعد ذلك بقرنين أن تواجه ميثريداتس وكانت تأسره وهو فى عنفوان قوته وكانت رقعة أرضها فى حكم أوغسطس ضخمة مترامية تضم مدناً قديمة مثل زيليا ، كما أنها قامت بعمل جرىء أخطر كثيراً من مقاتلة ميثريداتس : وهو ضرب بعض الرومانيين بالسياط وكان لها فى ذلك كل الحق ، ولكنها كانت سعيدة الحظ حيث لم ينلها من العقوبة إلا دفع ضريبة خمس سنوات .

ويقول استرابون إنه لم يكن هناك لرودس من ضرب بين المدن – فإنها استطاعت أثناء حصار ٣٠٤ التاريخي الجليل أن تقاوم بنجاح قوة ديمتريوس العارمة ، كما أن قوتها ومواردها ظلت تنمو حتى ١٦٦ ، وكان تجارها وأصحاب المصارف فيها يرغبون في السلام ، ولكنها جعلت ديدنها شيئين : توازن القوى وحرية البحر ، ومن أجل هذين الأمرين لم تكن تتوانى في قتال كل معتد ، فساعدت مقدونيا على هدم قوة بطلميوس الثاني البحرية الساحقة وأعانت برجامة على كبح جماح فيليب الخامس ، وساعدت روما على دحر أنطيوخوس الثالث . وكانت حكومتها ذات نظام ديموقراطي مقيدا أوبمعنى أصح أرستقراطي كان السلطان فيه بيد العائلات المتسلطة شأن إنجلترة في القرن الثامن عشر . ولكنهم كانوا يؤدون واجبهم جنباً إلى جنب مع الفقراء . ولذا فإن رودس لم تحدث بها أية اضطرابات داخلية ، على الرغم من اختلاط أنواع عدة من السكان بمينائها العالمي ، وكانت من ثم أيضا تستطيع أن تسلح عبيدها وكانت الجزر المحيطة بها توابع وأحياء (Demes) لها ، كما أنها كانت تدعى إدعاء غريباً هو أن لها الحق في الاعتراض (حق الفيتو) على أي تكريم تمنحه تلك الجزر . وكان لها من موقعها الممتاز ما يضطر التجارة بين مصر والشمال وبين سورية والغرب أن تمر في مينائها . وفي عام (١٧٠) عادت عليها رسوم الصادر والوارد البالغ قيمتها اثنان في المئة بمبلغ مليون دراخمة . ولا شك أن ضخامة ما يوجد في كل أرجاء العالم من عدد مقابض الزلع والجرار المصنوعة في رودس تشهد لتجارتها بالاتساع العظيم . لقد كانت مركزاً لعمليات المصارف والمبادلات الدولية ، فهي مدينة رئيسية تعد مفتاحاً لحركة التجارة الهللينستيه . وعندما ما دمرتها إحدى الزلازل في ٢٢٥ وأوشكت أن تقع في أزمة تجارية ، أظهر العالم الهللينستي تماسكه التجاري القوى بالمساعدة الفياضة التي انهالت عليها نقداً وعيناً من كل ملك ينطق باليونانية ومن مـــدن

كثيرة .

فلما أن اضمحل شأن الأسطول المقدوني حوالى ٢٠٠ حكمت رودس البحر الإيجى وأعادت تكوين حلف الجزر برياستها كأنها أحد الملوك ، كما أنها قضت على القرصنة ، وبعد ١٨٨ أصبحت تحكم معظم كاريا وليقيا ز وعندما حدث فى ٢٢٠ أن فرضت بيزنطة ضريبة على السفن التى تعبر البوسفور ، اتخذت رودس على الفور الإجراءات الكفيلة باعادة الحرية إلى ذلك المضيق والراجح أن أسطولها لم يكن صنفها كان أجود ما فى العالم ، وقد هزمت الأسطولين المصرى والسورى بمفردها ، وكانت تفاخر الناس قاطبة بأن كل رودسى يعادل سفينة حربية ، وعندما التقى الأسطول الرومانى بأسطول أنطيوخوس الثالث بمعركة ميونيسوس (Myonneus) كانت عمارة رودس هى التى أنقذت الرومان ودفعت بهم إلى النصر . ولو أن النتيجة كانت عكس ذلك لكان زمام النصر فى يد رودس مع ذلك ، لأن قائد أسطول أنطيوخوس كان أحد المنفيين من أبناء رودس . وكان الدخول إلى بعض ترساناتها محظوراً على الجمهور ويعاقب عليه بالإعدام . وكانت المدينة مزدانة بالقطع الفنية التى كان منها صور من صنع بروتوجنيس (Protogenes) وباراسيوس (Parrhasius) ، وبها تمثال هائل الكاوسوس (Colossus) (الفصل التاسع) الذائع الصيت وكثير غيره من التماثل الحيارة ، كما أنها أصبحت فى القرن الثانى مركزا للعلوم الإغريقية ومثوى للفلسفة وعلم البيان . وقد ارتفع شأوها إلى الذروة بفضل أسماء أبنائها أمثال بانايتيوس (Pana - tius) ويوسيدونيوس (Poseidonius) ، وقد عاشت جامعها الضخمة مدة طويلة وذاعت شهرة قانونها البحرى ، الذى اقتبس عنه الأنطونينيون . وربما كانت أجزاء منه موجودة فى مجموعة القوانين البيزنطية التى تسمى باسم قانون رودس البحرى ، وعنها انتقل إلى البندقية . فهو إذن القانون الإغريقى الوحيد الذى وصل حياً إلى العالم الحديث .


المدن الاغريقية في
العصر

الفصل الثالث

روما وسياسة توازن القوى شرق البحر المتوسط خلال الفترة من ٢١٦ – ١٨٠ ق٠م(*)

بالنظر فى سياسة روما الخارجية خلال تلك الفترة من تاريخها السايسى ، نلاحظ أنها قد وضعت فى اعتبارها العمل على تامين سلامتها فى أوربا من ناحية ، ووضع يدها ونفوذها على البحر المتوسط من ناحية أخرى بحيث شغلت روما بأخضاع ايطاليا عامة فى وحدتها القومية ، ومحاربة الغال والقرطجنيين ومنعهم من التغلغل والتدخل فى شـئون شرق البحر المتوسط ، بينما استطاعت مقدونيا وبلاد الأغريق فى شد انتباه روما لأهمية موقعها فى تأمين سلامة سواحل ايطاليا الجنوبيـة والتجارة الايطالية مع بلاد الاغريق من دول « الوريا — Illyria » القوية ، التى كانت قائمة على الشواطىء الشرقية للبحر الأدرياتيكى — واستولت على عدد من الدويلات الاغريقية عام ٢٣٠ ق٠م ، وقد اعتبر هذا تهديدا صريحا لشواطىء ايطاليا الجنوبية ، وربما ذلك ما حمـل بسياسة روما الى ادراك هذا الخطر وابرامه فى سياستها الخارجية ، والتى تحققت بإرغام « الوريا » عن النزول عما استولت عليه سابقا واقتطعت منها اقليمها الساحلى الهام المعروف باسم « دلـاتيا » —

(*) حددت هذه الفترة بسنى حكم بطلميوس الخامس « ابيفانس » حيث ظهرت ملامح سياسة روما شرق البحر المتوسط بصورة واضحة .

وكونت من هذا الاقليم ومن جزيرة « فــاروس » المواجهة له امــارة مستقلة ، وكانت روما ترمى من وراء ذلك الى السيطرة عــلى بوغاز « أوترانتو » الذى كان يعتبر الطريق الرئيسى لخطوط المواصلات بين الاغريق وايطاليا[١] .

وقد اعتبرت مقدونيا تصرفات روما هذه انتهاك لحقوقها فى المنطقة وخطر داهم يهدد أمنها ، وأدرك « أنتيجونوس دوسون » وخليفتــه فيليب الخامس كنه الموقف الداهم . ففى عام ٢٢٠ ق٠م فور تولى « فيليب الخامس » العرش بادر باعلان حرب طاحنة على « الوريا » عرفت بحرب الحلفاء ، استطاع بها ارغامهم على صلح « ناوباكتوس Nuapactos » عام ٢١٨ ق٠م وبذلك بدأت مرحلة الصراع بين « فيليب » وروما من أجل السيطرة على « الوريا » . وربما ذلك ما دفع فيليب بعد ذلك الى اقامة تحالف بينه وبين « هانيبال » عــام ٢١٥ ق٠م[٢] ، أملا فى انتصار « هانيبال » وطرد الرومان من شاطىء « الوريا » . وقد كان رد روما على هذا التحالف عقد محالفة هجومية مع الأيتوليين عام ٢١٢ ق٠م[٣] . وقد دامت تلك الحروب التى عرفت بالحرب المقدونية الأولى ست سنوات (٢١٢ — ٢٠٦ ق٠م) أنهكت قوى الأيتوليين الذين عقدوا صلحا مفردا مع فيليب عام ٢٠٦ ق٠م ، وفى العام الثانى تم عقد الصلح بين « روما » و « فيليب »[٤] .

---

(1) Polyb., II, 8 — 12 ; C.A.H., VIII, pp. 831 .

(2) Polyb., VII, 9 ; Rostovtzeff (M). The Social and Economic History of the Hellenistic World, 3 Vols, Oxford 1941, p. 43:
ابراهيم نصحى (تاريخ مصر فى عصر البطالمة) ج ١ — الطبعــة الخامسة — القاهرة ١٩٨١ ص١٥٩ ، ١٦٠ .

(3) Liv.. XXVI, p. 4 .

(4) C.A.H., VIII pp. 122 ff.

ويجب علينا هنا أن ننوه أن سياسة روما شرق البحر الأبيض المتوسط كانت لها تأثيراتها المباشرة على أهم ممالك تلك المنطقة ، ألا وهى الدولة السلوقية بشكل مباشر ومؤثر ، وكذلك الدولة البطلميـــة التى كانت لسياسة روما الدور الفعال فى أحداث مصر الداخلية والخارجية ــ وربما ذلك ما يدفعنا الى عرض تحليلى للعوامـــل التى تأثرت بها سياسة مصر الخارجية فى الشطر الثانى من عصر البطالمة حتى نستطيع أن نتبين ملامح سياسة روما الخارجية على ضوء تلك السياسة :

يلاحظ دارس تلك الفترة مدى التحول الجوهرى فى تاريخ مصر فى عصر البطالمة بين الفترة الأولى لعصر البطالمة الأوائل ومدى ما كانت عليه من قوة وازدهار وتطور ، وبين الفتر الثانيـــة من عصر البطالمـــة الأواخر والتى بدأت تظهر بها ملامح الاضمحـــلال والتدهور وحتى الانهيار التام ونهاية هذه الفتـــرة • حيث يمكننا أن نعـــزى عوامل اضمحلال تلك الفترة الثانية من عصر البطالمة الى عاملين رئيسيين :

١ ــ **العامل الداخلى** : وينحصر أساسا فى ضعف السلطة المركزية فى البلاد واحتلال نظام الحكم ويرجع ذلك الى ثلاثة أسباب هى :

(أ) ظهور الروح القومية للشعب المصرى وتعدد الثورات بعد عام ٢١٦ ق•م ، الى حد اضعفت قوة البطالمة وشلت حـــركاتهم فى الخارج •

(ب) تولى الحكم ملوك ضعفاء بعد حـــكم بطلميوس الثالث ، وأطماع الأوصياء وصراع الوزراء الذين عجـــزوا عن الارتقـــاء الى مستوى الأحداث ومعالجتها ، مما أدى الى تشجيع الطامعين ، الأعداء منهم والأصدقاء ، فى ممتلكات مصر الخارجية ، بل وفى مصر ذاتها •

(جـ) الصراع الأسرى بين أفراد الأسرة البطلمية ، منذ عهـــد

بطلميوس السادس ، ذلك الصراع الذى كانت روما تركيه فى كثير من الحالات بل وتستغله فى التقرب والتغلغل فى شئون البطالمة .

٢ — **العامل الخارجى :** ويتمثل فى ظهور ثلاث قوى على مسرح الأحداث السياسية فى المنطقة وهى روما الفتية ، وفيليب الخامس ، وأنطيوخوس الثالث ، حيث تصارعت كل منها فى استغلال ظروف مصر المتدهورة لتحقيق أطماعها[٥] .

أطماع فيليب وأنطيوخوس فى مصر :

ويبدو أن ظروف مصر الداخلية ابان الفتـرة الأخـيرة من عهد بطلميوس الخامس قد أسهمت فى زيادة أطماع أنطيوخوس وفيليب فى مصر ، وبرغم قلة مصادرنا نحو شروط الاتفاقية السرية التى أبرمت بين أنطيوخوس وفيليب[٦] لهذا الغرض — الا أننا نستبعد ما يذهب اليه بعض المؤرخين من أن الاتفاق كان يشمل مصر ذاتها[٧] — فقـد كان يتعذر اقتسامها . ونميل الى الرأى القائل بأن الاتفاق كان يقتصر فقط على اقتسام ممالك مصر الخارجية[٨] — بحيث يحصل كل منهما على أقرب الممالك الى مملكته ، فيأخذ « أنطيوخوس » منطقة جـوف سوريا وممتلكات مصر فى آسيا الصغرى ، بينما يحصـل « فيليب » على ممتلـكات مصر فى تراقيـا والدردنيـل وجـزر الكيكلاديس وقورينا[٩] .

(٥) راجع ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ج ١ ص١٥٨ وما بعدها .
(6) Polyb., III, 2 ; XV, p. 20 .
(3) Liv., XI, 14 ; Justin., 2, 8 .
(8) Cf., S. Jerome, inDan., XI ; Biuche - Leclercq, Histoire des Lagides, Paris 1903 - 7 pp. 351 - 2 ; C.A.H., VIII, pp. 150 - 1 ; ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ج ١ ص١٦٨ وما بعدها .
(9) Cf., Magie (D), The agreement between Philip V and Antiochus III for the Partition of Egypt Empire. J.R.S., 29, 1939, pp. 32 - 44 .

ويبدو أن أطمـاع كل من « فيليب » و « أنطيوخوس » كانت بعيدة المدى فى امتلاك ممتلكات مصر الى الحد الذى اضطرهما مؤقتا الى الطمع فى ممتلكات مصر الخارجيـة ، وان كلا منها كان يخشى أطماع الآخر — ذلك أن خوف « أنطيوخوس » من « فيليب » قـد منعه من كشف القناع عن أطماعه كلها ، وأضطره الى النزول لـه عن أقاليم تراقية وأسيوية كان يعتبرها من ممتلكات الدولة السلوقية — ويبد أن فيليب كان يدرك ذلك كله ، ويخشى إزدياد اتساع الدولـة السلوقية — هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان يرى أنه من الأوفق أن يظهر أمام مصر فى صورة المدافع عن ممتلكاتها الخارجية لكى تؤول اليه وحده بعد ذلك •

وربما ذلك ما دفع كلا من الطرفين الى عقد معاهدة فى شـتاء عام ٢٠٣ / ٢٠٢ ق•م(١٠) — ظهرت معالمها بغزو أنطيوخوس لجـوف سوريا — أما « فيليب » فانه بمقتضى خطة التظـاهر بالدفـاع عن ممتلكات مصر الخارجية لم يتعرض لهذه الممتلكات وانقض على عـدة مدن فى شبه جزيرة ، تراقيا وعلى ضـفاف الدردنيـل والبسفور ، فأخضـع « لوسيماخيـا » و « سبسـتوس » و « خلقدنيـا » و « قيوس »(١١) واستولى على « موريليا — Myrleia »(١٤) وكذلك « برينثوس »(١٣) و « ثاسوس »(١٤) •

وقد أثار اعتداء فيليب على المدن الآمنة غضب العالم الاغريقى وخاصة الفظائع التى ارتكبها فى « قيوس » و « ثاسوس » ؛ فقـد

(10) Polyb., III, 2, 8 ; XV, 20 ; Liv., XXXI, 2, 8 .
((11) Polyb., V, 21 - 23 .
(12) Rostortzeff, op. cit., p. 606 .
(13) Cf., Polyb., XVIII, 44, 4 .
(14) Polyb., XV, 24 .

استثشاط « أنطيوخوس » غضبا لتعاون « فيليب » مع عدوه « بروسياس » ملك « بيثونيا » ولقيامه بتلك الفتوحات . كذلك نقمت « أيتوليا » و « بيزنطة » على « فيليب » لاستيلائه على مستعمراتها ، كما غضبت « رودس » أمام تصرفات فيليب فى « قيوس — Ceos » ورأت فى استيلائه على المضايق خطرا يهدد تجارتها واعتبرته عدوها وأخذت تستعد لمحاربته (صيف عام ٢٠٢ ق.م)[١٥] .

ويبدو أن « فيليب » لم يعبأ بغضب جيرانه وذلك لسببين رئيسيين : أولهما ما كان يتمتع به من قوة عسكرية بالقياس بما قورنت به قوى جيرانه ، وثانيا ما وصلت اليه الأخبار من أن روما بعد قضائها على « قرطجنة » فى موقعة « زاما » عام ٢٠٢ ق.م لا تميل الى القيام بأى عمل عدائى ضد مقدونيا فى الوقت الحالى[١٦] — وربما كان على علم بسياسة روما شرق البحر المتوسط خلال تلك الفترة وأن تلك السياسة لو كانت مغايرة فى اتجاه معاكس ، لما أقدم « فيليب » على تغيير الخريطة السياسية فى المنطقة على هذا النحو .

وقد أحس « أنطيوخوس » بأنه يجب عليه الاقدام بعمل جليل مستغلا الظروف وخاصة ظروف الاضطرابات الداخلية فى الاسكندرية ربيع عام ٢٠١ ق.م — فتقدم المتابعة فتح جوف سوريا (الحرب السورية الخامسة) حتى غزة فى شتاء ٢٠١ — ٢٠٠ ق.م[١٧] — بيد أن المقاومة التى أبدتها غزة قد مكنت « سقوباس » قائد الجيوش البطلمية من استردادها وطرد « أنطيوخوس » من فلسطين حتى منابع نهر الأردن — غير « أنطيوخوس » لم يلبث أن أوقع الهزيمة بـ « سقوباس » فى موقعة « بانيون Panion »[١٨] وطارده حتى صيدا وأرغمه على

(15) Polyb., XV, 23 .
(16) C.A.H., VIII, pp. 151 - 2 .
(17) Polyb., XVI, 22a .
(18) Polyb., XVI, 18 - 19 .

التسليم ربيع عام ١٩٩ ق.م[١٩] ــ ثم استرد بيت المقــدس وبسط سيطرته على كل فلسطين وصحراء سيناء[٢٠] ــ ولم يوف عام ١٩٨ ق.م الا ومصر قــد فقــدت معظم أجــزاء جــوف ســوريا . وكان « أنطيوخوس » فى مركز يسمح لها بغزو مصر ، بيد أن ظروف تأمين دولته قد حالت وأجلت ذلك المشروع[٢١] خاصة وأن روما كانت عــلى شفى خطوة من التحفز لوضع نقاط الاستقرار بالمنطقــة فى سياســة التوازن والحفاظ على مصالحها المستقبلية .

أما فيليب فقد أعاد استئناف نشاطه العسكرى والتوسعى مستغلا الظروف القهرية لانكماش الدولة البطلمية من ناحية واستكانة أنطيوخوس فى سياسته الترقبية من ناحية أخرى ، واضعا فى اعتباره تجنب روما المرتقب ، فقد استطاع فيليب الاستيلاء عــلى « ميليتوس »[٢٢] بعد هزيمته لأسطول « رودس » عند « لادى Lade » ثم انقض على « قاريا » واستولى على عدة مدن لم تكن لمصر ممتلكات من بينها[٢٣] . وفى شتاء ٢٠١ ــ ٢٠٠ ق.م وأثناء عودته الى مقدونيا ، حــاصرت « رودس » و « برجام » قواته البحرية والبرية فى قاريا ــ بينمــا استنجدتا فى نفس الوقت بروما التى قررت وقف فيليب عند هــذا الحد[٢٤] .

تدخل روما لتوازن القوى فى المنطقة :

ولقد أثارت سياســة « فيليب » و « أنطيوخوس » فى شرق

---

(19) Hieronym., In Dan., XI, 15 - 16 .
(20) Polyb., XVI, 39, 3 - 4 .
(21) Cf., .A.H., VIII, pp. 165, 178
(22) Polyb., XVI, 10 ; 14 ; 15 .
(23) Polyb., XVI, II ; 12 ; 24 .
(24) Cf., C.A.H., VIII, pp. 152 - 61 .

البحر المتوسط القلق لدى روما — خاصة ما تمخضت عنه هذه السياسة من أطماع فى الاستيلاء على ممتلكات مصر الخارجية •

وبرغم أن روما قد خرجت منهوكه القوي من الحرب البونيــه الثانيه ورغم انتصارها فيها ، الا انها وضعت مسأله الشرق موضــع الاهتمام خاصة وانها كانت من الخطورة على أمنها وسياستها ، فيما أن « هانيبال » قــد غــزا ايطاليا ، فلماذا لا يقــدم « أنطيوخوس » و « فيليب » على غزو روما لا مستغلين ضعفها بعد تلك الحرب الطاحنة — وربما كان ذلك الدافع نفسه من أهم سمات سياسة الاسكندر الأكبر سابقا فى ضم الغرب الى امبراطوريتــه التوسعيــة[٢٥] • فكان من الطبيعى أن تسارع روما فى الاشتباك مع « فيليب » قبل أن يتفاهم مع « أنطيوخوس » ضدها — حيث كان يؤيد روما جــانب كبير من العالم الاغريقى وبخاصة « برجام » و « رودس »[٢٦] — واضعة فى اعتبارها الحفاظ على توازن القوى والابقاء على كيان دولة البطالمــة فى مصر •

وفى ربيع عام ٢٠٠ ق•م أرسل السناتو بعثة سياسية تتكون من « ماركــوس أميليوس لبيــدوس M. Aemilius Lepidus »
و « جــايوس كــلاوديوس نــيرون G. claudius Nero »
و « جايوس سمبرونيوس توديتانوس G. Sempronius Tuditanus »[٢٧]
حيث تحددت مهمة هذه البعثة فى التوفيق بين « بطلميوس الخامس » و « انطيوخوس » كما هو ظاهر وبناءا عــلى طلب مصر — بينما كان غرضها الحقيقى هو اثارة الاضطرابات فى بلاد الأغــريق ، والوقوف

(25) Diod., XVIII, 4 ; Liv., IX, 17 - 19 ; Cf., Tarn, J.H.S., 1921, pp. 1 ff., 124 ff; 1939, pp. 124 - 135 .

(26) Rostovtzelf, op. cit., pp. 52, - 3 .

(27) Liv., XXXI, 2 .

على نوايا « أنطيوخوس » وضمان حياده اذا ما قام نزاع بين روما وفيليب .

وقد استطاعت البعثة اثارة عدد كبير من المدن الاغريقية ضد « فيليب » وعلى رأسها « أثينا » التي أعلنت الحرب على فيليب بسبب تخريبه لأتيكا ، هذا الى جانب الانذار الرومانى الذى يلزم « فيليب » بدفع التعويضات اللازمة لبرجام — وعدم محاربة أى شعب اغريقى ، بيد أن « فيليب » لم يعر للانذار الرومانى أى اعتبار ، ورد على اعلان « أثينا » للحرب بقيامه بحملة لتخريب « أتيكا » ، واستولى على ساحل « تراقيا » وكان لا يزال تحت السيطرة المصرية .

وأمام ذلك فان السناتو فى روما عندما علم باستهتار فيليب بالانذار الرومانى وأقدامه على الاعتداء على « أتيكا » و « تراقيا » استصدر فى صيف عام ٢٠٠ ق.م قرارا من جمعية المئينات فحواه اعلان الحرب مباشرة على « فيليب » وقد صيغ هذا القرار فى شكل انذار جديد تضمن المطلبين الأولين وكذلك مطلبين آخرين تضمنا دفع التعويضات اللازمة لرودس وعدم المساس بممتلكات مصر الخارجية ، وقد أسندت البعثة هذه المهمة الى « أيميليوس لابيدوس » الذى رد عليه فيليب باعلان الحرب[٢٨] ، وكان نتيجة لذلك نشوب « الحرب المقدونية الثانية » التى أنتهت بفوز روما وانتصارها على فيليب فى موقعة « كينوسكفالاى Cynoscephalae » عام ١٩٧ ق.م[٢٩] ، وقد نتج عن ذلك ارتفاع مكانة روما الفتية فى شرق البحر المتوسط

(28) Polyb., XVI, 25 - 34 ; C.A.H., VIII, pp. 161 - 5 .

(29) Cf., Polyb., XV, 20 - 25 ; XVI, 1 - 12 ! 24 - 35 ; XVIII, 1 - 12 ; 18 39 ; 42 - 48 ; Liv., XXXI, 1 - 9 ; 14 - 18 ; 22 - 47 ; XXXII, 1 - 25; 28; 32 - 40! XXXIII, 1 - 12; 27 - 35; XXXIV, 22 - 41; 84 - 52; Appian., Maced., IV - IX, 4; Dio Cass., XVIII, 57 - 60 .

واحترام الجميع لها خاصة بعد أن أعلنت عـام ١٩٦ ق٠م حريـة واستقلال بلاد الاغريق[٣٠] ٠

وعلى الجانب الاخر من سياسة روما لتوازن القوى شرق البحر المتوسط كانت الدولة السلوقية — التى حظيت برعاية روما التوفيقية — حيث قابلت البعثة الرومانية « أنطيوخوس » ، وقـد التقوا به بعد بضعة شهور من بدء حصار صيدا ، وكان « سكوباس » قد اعتصم بها بعد هزيمته فى موقعة « بانيون » ٠ وبرغم عدم المـامنا الدقيق بأحداث هذه المقابلة ، الا أنه يمكن استنتاج هدفها من الأحـداث التى أعقبت ذلك — وان كان ظاهرا أن غرضها قد انحصر فى التوفيق بـين « بطلميوس » و « أنطيوخوس » — هذا الى جانب مقاصد البعثـه من البحث فى نوايا « أنطيوخوس » ازاء الصراع بين روما وفيليب ، ومحاولة اقناعه بالوقوف على الحياد حيال هذا الصراع ٠ ويبدو أن « أنطيوخوس » كان على كنة من الذكاء والدهـاء فى معرفـة نوايا البعثة فلم يدخر وسعا فى اظهار صداقته لروما ، وارتياحه لانشـاء علاقات مع الجمهورية الرومانية ورغبته فى ارسال بعثة دبلوماسـية اليها — وذلك دون أن يعد السفراء بشىء فيما يتعلق بموقفه حيـال الحرب بين روما وفيليب ، وذلك لتقديره أن موقفه الغامض كان يثير قلق روما — وان ذلك القلق كان يضمن له حرية العمل فى الشرق كيفما يشاء ٠ وعلى الرغم من دهاء السفراء فانهم لم يدركوا ارتياحه من أن روما بمحاربتها لفيليب كانت تعمل على تخليصه من حليف خطر[٣١] ٠

أما عن موقف البعثـة من البطالمـة فقـد توجهت البعثـة الى الاسكندرية ، حيث كان السكندريون فى تلهف لمعرفة ما وصل اليـه

---

(30) Polyb., XVIII, 1 - 12, 18 - 39, 42 - 46; Plut., Flaminius, 10; Rostovtzeff, op. cit., p. 53; C.A.H., VIII, pp. 166 - 183.

(31) Cf., C.A.H., VIII, pp. 165 - 6 .

السفراء فى لقائهم مع « أنطيوخوس » فى محاولة التوفيق بينه وبين مصر • ويبدو أن روما برد سفرائها غير المقنع نحو فشلهم فى اقناع انطيوخوس بسياسة التوفيق ، قد أرادت وضع مصر بمفـردها أمام مصيرها المحتوم لكى تجد ذريعة للوصاية والحماية عليها ، وربما ذلك ما أقدمت عليه أسرة « لبيـدوس » من اشـاعة أسطورة بقائـه فى الاسكندرية لحماية الملك بأمر من روما[٣٢] ــ خاصة وأن أنطيوخوس قد تابع فتوحاته فى جوف سوريا عام ١٩٨ ق٠م بعد أن أطلقت روما لأطماعه العنان ، ثم استعادته لممتلكاته الوراثيـة فى آسيا الصغرى وفى تراقيا واستيلائه على الممتلكات البطلمية على شواطىء « لوقيا » و « قاريا »[٣٣] عام ١٩٧ ق٠م •

وكان لذلك رد فعل واضح من المدن الاغريقية وخاصة « رودس » التى طلبت منه عدم الزحف الى أبعد من ذلك ــ واتفقا على أن يسترد ممتلكاته بشرط عدم الاعتداء على « هاليكارناسوس » و « مينـدوس Myndos » و « ساموس » وأن يحترم ممتلكات برجام[٣٤] ، و « أفسوس » ، وكل المدن تقريبا فيما بين قاريا والدردنيل[٣٥] •

وقد رأى الرومان أن « أنطيوخوس » باستيلائه هـذا عـلى « تراقيا » يعتبر تهديدا صريحا لطردهم من بلاد الأغريق ــ وهى التى كانوا تعتبرونها خط الدفاع الأول لأمنهم ــ هذا الى جانب تحـالف « أنطيوخوس » مع « الأيتوليين » أبرز العناصر المناهضة لسياسـة

---

(32) Cf. Justin., XXX, 3, 3 - 5; Tacit., Ann. II, 67; Cf., XLY, 44, 13 .

(33) Liv., XXXIII, 19 .

(34) Liv., XXX, 20 .

(35) Liv., XXXIII, 38

روما رغم تحالفهم معها فى الحربين المقدونيتين الأولى والثانية[٣٦] .

وأمام ذلك فقد أعلنت روما حرية بلاد الأغريق عام ١٩٦ ق.م كرد فعل لتحركات « أنطيوخوس » — وذلك خلال الألعاب النيمية — وأبلغت سفراء « أنطيوخوس » بالقرار مع تحذيره بالابتعاد عن المدن الأغريقية المستقلة فى آسيا وأوربا ، وأن يعيد كل ما استولى عليه من ممتلكات مقدونيا (فيليب الخامس) ، وكذلك من ممتلكات مصر (بطلميوس الخامس)[٣٧] . ويبدو أن قرار السناتو فى هذا الشأن كان يحمل فى طياته مدى القلق والخطر من قوة أنطيوخوس على منطقة شرق البحر المتوسط ، والتى وضعت روما خطوط سيطرتها التوازنية وخلال تلك الفترة على الأقل .

ويبدو أن هذا القلق بالخطر قد انتقل بالتالى الى مصر — التى أحست بخطورة الموقف ، وخاصة بعد استيلاء « أنطيوخوس » على جوف سوريا ، فكان تحرك « أريستومنيس » نحو تحسين العلاقات الدبلوماسية مع « أنطيوخوس » ، حيث أخذ يسعى منذ عام ١٩٨ ق.م الى عقد صلح مع « أنطيوخوس » على أساس زواج « بطلميوس الخامس » « ابيفانس » من كليوباترة ابنة « نطيوخوس » وتنازل مصر لأنطيوخوس عن ممتلكاتها الخارجية[٣٨] .

وبرغم انذار روما لأنطيوخوس ، فانه لم يعره أى اهتمام — بل كان هناك رد فعله فى محاولة استيلائه على قبرص مستغلا القلاقل التى

(36) Cf., C.A.H., VIII, pp. 173 - 9; Jouguet (p), L'imperialisme Macedonien et Hellenisation de l'Orient, Paris 1926. Eng. Translation, by Ogden, London 1928, pp. 228 ff

(37) Polyb., XVIII, 47, 1 - 3.

(38) Hieronym., In Dan., XI, 17 .

حدثت فى الاسكندرية فى ذلك الوقت(٣٩) • ورغم فشل هذه المحاولة الا أنها احدثت دويا فى مجلس السناتو فى روما الذى قرر التحرك بكل الطرق للحفاظ على سياسة التوازن شرق البحر المتوسط •

ولقد أحس « أنطيوخوس » بتحرك روما الدبلوماسى والاستعداد للتحرك ، فقرر تقوية نفسه بكسب ود كل جيرانه — لذلك وافق على عقد معاهدة الصلح مع مصر عام ١٩٥ ق•م بنفس الأسس التى طالب بها « أريستومينس » سالفا — وان كان زواج « بطلميوس الخامس » من كليوباترة ابنة « أنطيوخوس » لم يتم الا بعد ذلك • وزوج ابنة أخرى الى « ارياراثيس » ملك « كابادوكيا » ، وعرض على « يومنيس » ملك « برجام » الزواج بابنة ثالثة ، لكن « يومنيس » رفض هذه المصاهرة خوفا من اغضاب روما ، بيد أن ذلك لم يهدىء من قلق « أنطيوخوس » من تحركات روما فأنفذ فى شتاء عام ١٩٤/١٩٣ ق•م بعثة دبلوماسية الى روما للوقوف على حقيقة نواياها نحوه(٤٠) ، خاصة بعد موقفه العدائى من الممتلكات البطلمية ، وهجومه على آسيا الصغرى والمدن الاغريقية •

ويحدثنا « ليفيوس » بأن زواج « بطلميوس » من كيلوباترا قد تم فى شتاء ١٩٤ / ١٩٣ ق•م(٤١) وأن هدية عرس كليوباترة لزوجها كانت « جوف سوريا »(٤٢) ، وان كان من المرجح أن الهدية لم تتعدى أكثر من دخل هذا الاقليم(٤٣) •

ويبدو أن قبول « أنطيوخوس » لشروط الصلح مع مصر كان

---

(39) Liv., XXX, 41; App., Sgr., 4 ;
(40) App., Syr., 5 - 6.
(41) Liv., XXXXV, 13, 4; Cf., C.A.H., VIII, pp. 185 ff.
(42) App., Syr., 5; Joseph., Ant. Jud. XII, 154 .
(43) Cf., C.A.H., VIII, p. 199 .

يرمى من ورائه ليس فقط الى توطيد العلاقات ، بل الى هدف آخر وهو استمالة مصر الى جانبه لتساعده فى حربه ضد روما — بيد أن هذا الهدف قد تلاشى تماما بتوليه « بولوكراتيس » خلفا « لاريستومنيس »[٤٤] ، فعلى نقيض سياسة « اريستومنيس » المؤيدة « لأنطيوخوس » كانت سياسة « بولوكراتيس » فى التقرب الى روما ، وكذلك شعور الملك الشاب بأهميـة روما لتعيد اليه ممتلكات مصر المسلوبـة .

ويبدو أن الأحداث كانت أسرع مما توقع « أنطيوخوس » ، اذ أعلنت روما الحرب ضده واستطاعت أن تلقنه درسا بهزيمته النكراء فى موقعة « ماجينسيا Magnesia » عـام ١٩٨ ق.م — حيث طردت الدولة السلوقية من العالم الاغريقى ، وبسطت روما سيادتها على الأناضول بما فى ذلك « بيثونيا »و « جـلاميا » بينما أصبحت « أرمنينا » و « بونتوس » و « كابادوكيا » مهددة بالخضوع تحت النفوذ الرومانى[٤٥] — هذا الى جانب احترام الاغريق لتصرف روما الفتيـة .

وقد أدى ذلك الى تجميد الموقف شرق البحر المتوسط لصـالح روما فى سياسة توازن القوى — الى أن قام « أنطيوخوس » بغـزو بلاد الاغريق فى خريف ١٩٢ ق.م أملا فى تحقيق أطماعـه مستغلا ظروف روما من الحرب المقدونية الثانية ، ويبدو أن مصر وجدت فى ذلك الفرصـة السـانحة للتقـرب الى رومـا لمساندتها كناية فى « أنطيوخوس » من ناحية ، ولتأمين حدودها أمام أطماعه من ناحيـة أخرى ، فعرضت بعثة بطلمية على « روما » مساعدة مالية كبيرة من

---

(44) Cf., Diod., XXVIII, 14 .

(45) Cf., C.A.H., VIII, pp. 185 ff; Rostovtzeff, op. cit., p. 55 ;

أجل مواصلة الحرب وتهديد « أنطيوخوس »[٤٦] ، لكن روما رفضت هذه المساعدة بطبيعة الحال بمقدار سخط السناتو على مصر لتفاهمها منذ عهد قريب مع « أنطيوخوس » في الوقت الذى كانت روما تناهض سياسة أنطيوخوس العدائية على الممتلكات المصرية •

وبمجرد طرد « أنطيوخوس » من بلاد الأغريق عام ١٩١ ق•م سارعت بعثة بطلمية اخرى الى تقديم آيات التهـانى الى السناتو ، ووضع جميع امكانيات مصر تحت تصرف رومـا لحثها عـلى تعقب « أنطيوخوس » فى آسيا ، لكنها رفضت هذه المساعدة أيضا[٤٧] •

ويمكننا أن نحلل تناسى روما فى عدم تصديها لأنطيوخوس أثناء اعتداءاته فى آسيا الصغرى وبلاد الأغريق الى انشغالها بالحـرب المقدونية الثانية ، أما عن موقف مصر السىء فقد ظهر ذلك فى فشلها الذريع للتقرب الى روما نتيجة لتفاهمها مـع « أنطيوخوس » سالفا وما أعقب ذلك من حرمان روما لمصر ممتلكاتها عند تقسيم أسـلاب الحرب بعد هزيمة « أنطيوخوس » فى موقعة « ماجنيسيا » ، وبيان ذلك أنه بمقتضى معاهدة « أباميا Apamea »[٤٨] فى عام ١٨٨ ق•م حرمت روما أنطيوخوس كل ممتلكاته شمالى وغـربى الطوروس ، وحررت المدن الاغريقية التى كانت خاضعة له ، وقسمت باقى ممتلكاته فى آسيا الصغرى بـين « رودس » و « برجـام » • وقد احتفظ « أنطيوخوس » بولاية « قيلقيا » و « جوف سوريا » اللتين انتزعهما من البطالمة • أما دولة البطالمة فانها لم تجن من وراء سياستها الا ضياع حقوقها ؛ فلم تسترد شيئا — من ممتلكاتها المسـلوبة ، ولم تبق لها سوى « قبرص » و « قورينائية » •

---

(46) Liv., XXXVL, 4 .

(47) Cf., Liv., XXXVII, 3 .

(48) Cf., Diod., XXIX, 10; Liv., XXXVIII, 38; Polyb., XXI, 42, 34! 45; App., Syr., 44; Mithrid. 62 .

وبتحليل سياسة روما فى توازن القوى شرق البحـر المتوسط نلاحظ انها حين اضعفت من الدولة السلوقية فى سوريا ، لم تقـوى من دولة البطالمة — حتى تبقى قوى التوازن قائمة ، بينما عملت على زيادة قوة دولة « برجام » ببسط رقعة ممتلكاتها على حساب حريـة عدد كبير من المدن الاغريقية مع أنها قد أخذت على عاتقها الدفاع عنها ضد « أنطيوخوس » ولا أدل على ذلك من رغبة روما فى أن تجعل من « برجام » عميلة قوية شديدة البأس تقف سدا منيعا يفصل الدولـة السلوقية عن « مقدونيا » ويحول دون توحيد جهودهما للانقضـاض على ايطاليا • ولا شك أن معاهدة « اباميا — Apamea » قد غدت من معالم الشرق الهيلينستى ، وأصبحت رومـا لها اليد العليا شرق البحر المتوسط — خاصة وأن نجاح سياستها التى أتبعتها فى المنطقة قد أنطوت على مبدأ التوازن بين القوى فى التنافس فيما بينها وفى الخضوع لها وتحت سيطرتها ، وأصبحت تتدخـل فى شـئون الشرق باستمرار — بحيث أصبح سفراء روما يسافرون شرقا على الدوام — وأصبح العالم الهيلينستى متغيرا على ما كان عليه خلال القرن الثالث ، فلم يعد وحدة سياسية كما كان — بل ظهر على الخريطة السياسية فى المنطقة مقسما الى ثلاث مجموعات لا توجد بينها علاقات مباشرة — أولا مجموع آسيا الصغرى ، وثانيا مجموعـة الدولتان السلوقيـة والبطلمية ، وثالثا مجموعة مقدونيا وبلاد الأغريق(٤٩) •

أن تلك السياسة التى أتبعتها روما خلال القرن الثانى قبل الميلاد شرق البحر المتوسط وكما أسلفنا قد كانت على النقيض خلال القـرن الأول قبل الميلاد وحتى نهايته والتى تمثلت فى السيطرة وضم هـذه المناطق الى حظيرة الامبراطورية الرومانية •

(49) Cf., C.A.H., VIII, pp. 203 - 34; bevan (B), History of Egypt under the Ptolemic Dynasty, London 1927, pp. 272 - 3; Rostovtzeff, op. cit., pp. 55 - 6 .

الفصل الرابع

السياسة الإقتصادية للدولة السلوقية

مقومات التجارة الخارجية للدولة السيلوقية

من البديهى أن كل من بطلميوس الأول وسيلوقس قد تطابقا فى ماهية بناء كل من دولتيهما على نمط عسكرى – من أجل الهدف الأول وهو بناء دولة كبيرة ذات سيادة على المنطقة . ومن ثم فإن النفقات التى وجهت سيلوقس الأول مؤسس الإمبراطورية السيلوقية وخلفائه من بعده لم تكن بأقل من تلك النفقات التى واجهت الدولة البطلمية ، بل إن النفقات التى واجهت السيلوقيين كانت أكبر بكثير نظرا لترامى بقاع تلك الإمبراطورية وإتساعها مما يستلزم معه جهودا أكبر للحماية ونفقات أضخم لبناء المدن والطرق وتوطين الإغريق ، هذا بالإضافة إلى النفقات الثابتة والتى لابد للسيلوقيين من أن يباروا فيها منافسيهم البطالمة ليثبتوا وجودهم ويدعموا مركزهم فى المجال الدولى ألا وهى منح الهبات . ولقد أدرك السيلوقيون أن مواجهة تلك الفقات لا يتحقق إلا من خلال تجارة خارجية نشطة تفوق فيها الصادرات قيمة الواردات ، وتكون النتيجة تحقيق فائض لمواجهة نواحى الإتفاق المختلفة . ولذا كان على السيلوقيين أن يعملوا على النهوض بكافة مرافق البلاد الإقتصادية وإتخاذ سلسلة من الخطوات التى كان عليها فى النهاية أن تخدم هدفهم الأساسى فى إزدهار تجارتهم الخارجية التى كانت تتطلب بالتالى الحماية والسيادة والمنافسة .

حاجة الإمبراطورية السيلوقية للأموال لبناء صرح دولتهم

الحاجة إلى الأموال لتغطية نفقات الحروب :

لقد إنهمك ملوك العصر الهلينسيتى فى صراع لا ينقطع من اجل السيادة والإستقلال ، وقامت المدن اليونانية بمجهودات كبيرة للحفاظ على إستقلالها فقد كان النجاح لا يعتمد أساسا على قوة الإنسان وعلى التدريب العسكرى للجيوش وعلى القيادة الماهرة ، بل ارتبط أيضا بتحسين الجانب التقنى من الحرب وإتخاذ حيل جديدة فى فن الحرب . فكان إستخدام الفيلة " دبابات العصر القديم " فى الجيوش الهلينستية أحد تلك التغيرات لقد عرف إستخدام الجمل والحصان فى الحروب فى آسيا الغربية لعدة قرون ولكن إستخدام الفيلة كان ظاهرة جديدة فى الجيش السيلوقى وأصبح هذا الحيوان شعارا سيلوقيا كما ترينا قطع النقود . وقد حصل ملوك الأسرة السيلوقية على قدر كبير من الفيلة منذ أيام سيلوقس الأول نيكاتور (٣١٢ - ٢٨٠ ق . م) كانت تلك الأسرة فقط من كل ملوك العصر الهلينسيتى بإمكانهم الحصول على إمداد ات جديدة من الهند . ويقال أن سيلوقس ربى فى أرض أباميا خمسمائة فيل ويبدو أن الهنود كان يقومون بتدريبها فى مركز الفيلة هناك ويقول إسترابون " أباميا . هنا أيضا إحتفظ سيلوقس الأول نيكاتور بخمسمائة فيل ، والجزء الأكبر من جيشه كما فعل أيضا الملوك التاليين " .

ولقد إستخدم سيلوقس الأول فى معركة إبسوس عام ٣٠١ ق . م ٤٨٠ فيلا وكانت سبب

نصره الذى أكسبه مقاطعة آسيا . ومن الثابت أن الفيلة إستخدمت بنجاح فى معارك عدد كبير من ملوك سوريا السيلوقيين منهم سيلوقس الأول ، كما إستخدمها أنطيوخوس الأول ضد الغال حتى أن المعركة الظافرة التى خاضها ضدهم فى ٢٧٥ ق . م قد أطلق عليها موقعة الفيلة ، وإستخدمها أنطيوخوس الثانى ضد البطالمة ، كما إستخدمها أنطيوخوس الثالث ضد الثائر مولون وضد البطالمة وأخيرا ضد الرومان كما إستخدم ديمتريوس الثانى أيضا الفيلة ضد المتمردين اليهود فى فلسطين .

وينهض دليلا على الأهمية التى كان ملوك السيلوقين يعلقونها على الفيلة أنها رسمت على عدد كبير من نقودهم منذ سيلوقس الأول وحتى عهود خلفائه المتأخرين .

وكان الفيل يزين للحرب بعصابات للجبين وريش ، وبجانب تهديدها للفرسان والمشاة وهدم تحصينات العدو نظرا لحجمها الكبير وتدريعها بطبقات من الجلود أو المعدن ، كانت تشارك بحمل أبراج خشبية يمتطيها محاربان أو أربع محاربين من رماة السهام وحملة الرماح ، إضافة إلى سائقها (الماهوت) .

ويبدو أنه كان يقدم للفيل قبل المعركة محاكاة للدم مصنوعة من عصير أحمر من الفاكهة إما لتثيرها أو لتمنعها من الذعر من إراقة الدم الحقيقى . وقد ظهرت عدد من الرتب والألقاب والتقسيمات القيادية فى الجيش السيلوقى تدل على أهمية الفيلة كسلاح ، إن تعبير (قائد الفيلة) يدل على رتبة فى سلاح الفيلة ، ولاشك أن تعبير ελεφανταρχης يدل على مرتبة أعلى بقليل من المرتبة السابقة إذ أن التعبير الأخير يعنى قائد مجموعة من الفيلة يبلغ

تعدادها ستة عشر فيلا .

وقد كانت الفيلة الهندية للسيلوقيين تتفوق على الفيلة الإغريقية التى إستخدمها البطالمة من حيث الحجم والتدريب . وقد ظلت الفيلة تحتل مكانة هامة فى جيش السيلوقيين ، إلى أن أرسل الرومان بعثة فى عام ١٦٢ ق . م للقضاء عليها ، وأثار القضاء على هذه الحيوانات النادرة أحد مواطنى اللاذقية فطعن رئيس البعثة طعنة مميتة .

لم يكن إدخال الفيلة فى الجيش السيلوقى هو التطور الوحيد الذى قام به السيلوقيين ، فقد إستعار السيلوقيون من الفرس إستخدامهم للعربات المدرعة ، إن السيلوقيين أحيوا هذا التقليد وأدمجوا فى سلاح الفرسان السيلوقى " الفرسان المدرعين "

إن هذه الإبتكارات صاحبتها مجهودات لتحسين الأسلحة الهجومية والدفاعية السيلوقية وخاصة ليجعلوا آلات الحصار والمدفعية التى ورثوها من أسلافهم كاملة قدر الإمكان . كل هذا بالطبع أثار صناعة الحرب . وأنفقت النقود بسخاء على التجهيزات العسكرية وعلى البناء ، وتم إستخدام أعداد لا حصر لها من المهندسين العسكرين الذين إنهمكوا فى تصميم وبناء أنماط جديدة من الآلات العسكرية بالإضافة إلى إستخدام صناع عديدين لهذا الغرض .

كذلك إحتاجت الإمبراطورية السيلوقية إلى أسطول ، فلا شك أن الإمبراطورية مترامية الأطراف وممتدة كامبراطورية السيلوقيين كانت فى حاجة إلى أسطول قوى يحميها ،

ورغم ذلك لم تذكر المدونات التاريخية أى دور حاسم قام بـه الأسطول السيلوقى فـى أى معركة ، ويبدو تفسير ذلك كان راجعا إلى أن السيطرة السيلوقية السياسية كانت سيطرة قارية قياسا على ممتلكات النتيجونيين والبطالمة ، ولم تكـن ممتلكـات سيلوقس البحرية تتضمـن الإقسما صغيرا من شواطىء الخليج العربى الذى خلت منه النشاطات البحرية لقادة العصر .

إن هذا السبب لا ينفى إنه كان لـدى السيلوقيين أسطول ، ويبدو أن سيلوقس وخلفائه إحتفظوا بجزء صغير من هـذا الأسطول فـى الخليج العربى الفارسى لتأمين التجارة فى الخليج وإرهاب الجرهائيين .

ومما لا شك فيه إنه كان للأسطول السيلوقى دورا هاما فى الحرب ممـا إستدعى إدخـال مادة فى معاهدة أباميا تحدد عدد وحداته وتعين مجـال نشاطه فـى الميـاه الآسيوية فقط ، وقد تم تكليف نفس البعثة الرومانية التى قضت على فيلـة الحرب بمهمـة إحراق الإسطول السيلوقى الذى كان قد زاد عن العدد المسموح بـه لأنطيوخـوس الثـالث بموجـب معـاهدة الصلح .

بقى أن نذكر العنصر الأساسى والدعامة الرئيسية فى أى جيش وهم الجنود ، وقـد إعتمـد السيلوقيون فى جيوشهم – مثلهم مثل جيـوش الـدول الهيلينستيه الأخرى – علـى العنـاصر الأتية :

- المقدونيون
- الإغريـــق

- الفـــــرس

وبالطبع شكل المقدونيون النواه الأساسية للفرق النظامية فى الجيش ، وبـالطبع تكبدت المملكة فى سبيل إستقدام هـؤلاء المقدونيين وإنشاء مستعمرات عسكرية كمستقرات لهم ومنحهم أراضى تكلفة باهظـة .وكـان العنص الثانى وهـو الإغريـق يحترفون الجندية ويبع خدماتها فى مقابل أجور وبالتالى شكلت تلك الأجور جانبا آخر من النفقات . وأخيرا إعتمد السيلوقيون على الفرس فى جيوشهم ولكن لم يستخدموهم بنفـس الكـثرة التـى إستخدمهم بها الإسكندر .

منح الهبات لكسب صداقة وود الممالك الأخرى :

لم يتقاعس أى ملك من أسرة سيلوقس عـن منح المساعدات والهبـات للمـدن والمعـابد من أجل إحراز السيادة فى المجال الدولى ، وقد أظهر سيلوقس الأول تفوقا كبيرا فى هـذا المجال ، يدل على هذا خطاب على لوحة من الرخام من أوائل القرن الثالث ق .م (عـام ٢٨٨ – ٢٨٧ ق .م) يخاطب فيه الملك سيلوقس الأول مجلس شورى ومجلس شعب مدينـة ميليتوس مرسلالهم تحياته ويخبرهم بأنه قد أرسل لهـم مـع رسـوله بوليـانثيس هبـة إلى معبـد أبو للو فى ديدوما ، وفى الخطاب وصف مفصل للهدايا الذهبية والفضية التى أرسلها الملـك وقد بلغ الوزن الإجمالى للأوانى الذهبيـة مـا قيمتـة ٣٢٤٨ دراخمـة و٣ أوبـولات ، بالإضافة إلى أوان فضية تزن ما قيمته ٩٣٨٠ دراخمة ، هذا بالإضافة إلى حامل مصباح برونزى وهبة من اللبان والبخور وغيرها من المواد العطرية وصفها كما يلى :

١٠ تالنتات من اللبان (البخـــور)

واحــد تالنـت مـــن المـــر
٢ مينا من القرفة الصينية (القاسيا)
٢ مينــــا مــــن الــقــرفــة
`٢ مينا من القسط (نبات عطرى شرقى)

بالإضافة إلى هذا تضمنت الهبة عددا من الحيوانـات كأضحيـات للإلـه مـن الأغنـام والثيران .

هذا بالإضافة إلى المساعدات لمدينة ميليتوس من قبل ولى عهد سيلوقس وأكبر أبنائه أنطيوخوس الأول ، يتضح هذا من خلال ثلاث شذرات من لوحة رخام أبيض من أوائل القرن الثالث ق .م (عام ٢٩٩ ق .م) حيث نجد تكريمات مقدمة من شعب ميليتوس ، وهيئة ال συνδροι (وهى هيئة إختارها مجلس الشعب فى ميليتوس لوضع مسودة قرارات تقدم إليه) ، وديموداماس أبن أرسيتيديس (على الأرجح إنه هو القائد السيلوقى الذى قاد جيشا بين عامى ٢٩٣ – ٢٨١ ق .م عبر نهر سيحون حيث أقام مذابح لأبوللو فى ديدوما) والتكريمات مقدمة إلى أنطيوخوس الذى أظهر حماسه ونية طيبة بإستمرار لشعب ميليتوس ، وأعلن أنه سيتبع سياسة أباه الذى يقدم كل جهد فى تكريم ضريح ديدوما ، ومن أجل ذلك وعد أنطيوخوس أن يبنى رواقا ممدا طوله إستاديون للإله أبوللو فى المدينة ، وأعلن أن الدخل الذى سيستمد كل عام من ذلك الرواق سوف يخصص للإنفاق على الأعمال التى تتم فى المعبد والمبانى التى ستقام بهذه الدخول ستكون تكريساته .

وتقديرا من شعب ميليتوس لأنطيوخوس من أجل تبجيله للإله ونيته الطيبة نحو الإغريق

، قرروا إنهم سيقيمون تمثالا برونزيا لأنطيوخوس على صهوة جواد ، وسيمنحونه حق الإستشارة الأولى فى معبد ديدوما ، بالإضافة إلى العديد من الميزات الأخرى ستمنح له ولأبنائه من بعده كحضور الإحتفالات وجلسات مجلس الشورى .

كما سارع سيلوقس الثانى إلى إمداد جزيرة رودس بالمساعدات عقب الزلزال الذى تعرضت له ، فقد أعفى الروديسيين المبحرين إلى ممتلكاته من الرسوم الجمركية ، بالإضافة إلى إهدائهم عشر سفن خماسية المجاديف مجهزة بالكامل ومئتى ألف ديديمنوس من القمح وعشرة الآف ذراع من الخشب وألف تالنت من الراتنج والشعر .

الإحتفالات وبناء الأضرحة والمعابد :

من وقت لآخر أقام ملوك السيلوقيين إحتفالات مهيبة ضخمة لإظهار قوتهم ، إن أنطيوخوس الرابع إيفانيس عندما سمع عن الإحتفالات التى أقامها إيمليوس باولوس القائد الرومانى فى مقدونيا إحتفالا بالنصر ، رغب أن يفوق باولوس فى العظمة ، فأرسل مبعوثين وسفراء إلى المدن لإعلان الألعاب والإحتفالات التى سيقيمها قرب دافنى " إحدى ضواحى أنطاكية " .

إن ماذكره أثينايوس فى العرض من عربات تجرها الأفيال وأنياب الفيلة والزيوت العطرية التى تم نثرها (الزعفران – القرفة – الناردين – الحلبة – المردقوش – السوسن الفلورنسى) من أباريق ذهبية ، كما دهن بها الأشخاص فى الجمنازيوم أجسامهم يوضح عظم التكلفة التى تكبدها مثل هذا الموكب .

إن الملك أنطيوخوس السابع سيديتيس بعد حملته إلى ميديا ضد أرساكيس ملك بارثيا ، أحيا إحتفالات كل يوم للجموع الغفيرة ، فى تلك الإحتفالات تم إستهلاك كميات ضخمة من الطعام ، بالإضافة إلى أن كل شخص من المحتفين حمل إلى منزله لحم غير مقطع وحيوانات برية وطيور ومخلوقات بحرية تكفى لملاء عربة بالإضافة إلى كميات من كعك العسل وآكاليل المرو اللبان وعصابات للرأس متلبدة من الذهب بطول الرجل .

اما أنطيوخوس الثامن الملقب جريبوس فقد باستقبالات رائعة عندما أحيا الألعاب فى دافنى . ففى البداية قام بتوزيع لحم غير مقطوع ، وبعدئذ أوزحى وأرانب برية وغزلان ، كما تم أيضا توزيع آكاليل ذهبية وكمية كبيرة من الأوانى الفضية والعبيد والجياد والجمال على كل من يتناولون المائدة ، وكان كل شخص يمتطى جمله ويشرب نخبا ثم يأخذ الجمل بما عليه وأيضاً العبد الملازم للجمل .

لم تكن الإحتفالات فقط هى التى تمثل أوجه نفقات ضخمة ، بل أن ملوك السيلوقيين تكبدو تكاليف كبيرة لبناء قبورلهم ولأسلافهم .

ولدينا على سبيل المثال صورة لضريح (موسوليوم) ذو عظمة وجلال وتكلف تكلفة ضخمة قامت ببنائه لاوديكى لزوجها أنطيوخوس الثانى الإله قرب إيفيسوس ، إن كل أجزاء الأثر مرسوم عليها بصورة فخمة .

بالإضافة إلى هذا يذكر التاريخ للسيلوقيين مآثرهم فى مجال إنشاء المعابد أو ترميمها

وذلك دون تمييز بين معابد الآلهة المحلية أوالإغريقية ، ولقد سعى أنطيوخوس الرابع إلى تخليد ذكراه فى بلاد هيلاس الأصلية بأن أستأنف العمل فى تشييد معبد زيوس الأوليمبى العظيم ، الذى كان الطاغية الأثينى بيزستراتوس ، قد شرع فى بنائه والذى قدر للإمبراطورية الرومانى هادريان أن يتمه .
كما أقام أنطيوخوس الأول معبد نيكاتوريون لدفن والده .

إنشاء المدن والمستوطنات إستقدام الإغريق وتوطينهم :

أن السياسة السيلوقية التى تم تنفيذها بثبات وبإنفاق ضخم وطاقة عظمى كان توطين مقدونيين و إغريق – سواء مدنيين أو محاربين – فى الإمبراطورية خاصة أقاليمها الوسطى وهو ما قام به العاهلان الأولان فى أسرة السيلوقيين سيلوقس الأول وأنطيوخوس الأول ، فاليهما يرجع خلق النواة الإغريقية المقدونية التى ضمنت لأسرة السيلوقيين البقاء لقرنين من الزمان .

لقد قام الملوك السيلوقيون وخاصة الأوائل بإنشاء العديد من مراكز الإستيطان للعناصر المهاجرة ، وقد إتخذت منشآتهم فى شكلها العام صورتين مختلفتين ، أحدهما كان المستعمرة العسكرية والأخرى هى المدينة الكاملة ، ولقد كانت المستعمرات العسكرية هى الأساس فى عملية الإستيطان ، وذلك ليستقربها الجنود الإغريق والمقدونيين ، ولكن السيلوقيين إحتاجوا للمدنيين أيضا من مصرفيين وتجار وأصحاب دور تشغيل وصناع وعلماء وبالتالى كانت الإغريقية هى المناخ الذى يستطيع هؤلاء أن يحيوا فى ظلها .

وفضلا عن المستعمرات والمدن الإغريقية التى أنشئت حديثا للمهاجرين ، فإن قلة من الإغريق إستوطنت فى بعض المدن الوطنية القديمة العهد بعد إضفاء بعض السمات الإغريقية على شكلها العام . ولعل أهم حالتين معروفتين لتلك الظاهرة فى الإمبراطورية السيلوقية كانت حالة كل من دمشق وحلب ، ومهما بلغ شكلية هذا الإنشاء فإنه قد إنطوى على تكلفة ضخمة ، إذ ليس من مدينة يونانيه لا تضم قلعة عسكرية (الاكروبوليس) وقصرا ملكياً للحاكم ومنازل للطبقة المميزة من النبلاء ومساكن للسكان العاديين وسوقا عامه (الأجوار) وسورا كبيرا يحمى المدينة من الغزاة بالإضافة إلى الحصون وشوارع ومعابد . ومن أجل أن تتفق تصاميم المدن مع مبادىء التجميل الهيلينى قامت مكاتب ومصالح هندسة عمارة من المرجح أن مهامها كانت مرهقة لأنها حاولت بنجاح التوفيق بين الخطوط الرئيسية للتصاميم الموحدة وبين الظروف الخاصة لكل موقع ، فكان المجهود المبذول عظيما وعظيمة أيضا كانت التكلفة .

ومن أشهر ما أنشأ السيلوقيون من المدن فى قلب سوريا ، سيلوقية على نهر دجلة (العاصمة السيلوقية الأولى) ، وسيلوقية على نهر العاصى (سيلوقية بيريه) ، وعدد من المدن بلغت ستة عشر مدينة باسم أنطاكية من بينها أنطاكية العاصمة السيلوقية الثانية بعد سيلوقية دجلة . وقد أطلق على المدينة إسم أنطاكية على العاصى السيلوقية أو أنطاكية قرب دافنى وذلك تمييزا لها عن باقى المدن التى حملت نفس الإسم ، كما كان هناك لاوديكيا (اللاذقية) والتى أقامها سيلوقس الأول تكريما لوالته لاوديكى ، وثلاث مدن تحمل اسم أباميا دون ألقاب تميز كل مدينة عن الأخرى وكانت إحداهم هى المركز العسكرى حيث يربى سيلوقس خيوله وفيلته ، بالإضافة إلى عديد من المدن الأخرى .

ويعزى إلى سيلوقس الأول وحده تأسيس تسع وخمسون مدينة من بينهم السته عشرمدينة التى تحمل أسم أنطاكية ، وتسع مدن تحمل اسم سيلوقية ، وخمس تحمل إسم لاوديكى ، و٤ مدن على إسم زوجتيه ثلاثة بإسم أباميا وواحدة بإسم استراتونيكايا .

إلى جانب هذه المدن أنشأ السيلوقيون فى شمال سوريا مدن تسمى بيريا وكيريستيكى ويوروبوس وبيرويا وإديسا وكيرهوس وبيرينثوس ومارونيا وأبو للونيا ، وفى فلسطين أنشأوا ديوم وبيلا ، وفى ميزوبوتاميا كان هناك أنثيموسيا وإيخناى وآينوس ، وفى ميديا يوروبوس ، وفى فارس تاناجرا ومايتونا وهيكاتومبيلوس وفى باكتريا أو سوجديانا كان هناك ثيرا – رويتيا وربما أرجوس ، وعلى الساحل العربى من الخليج الفارسى أنشأوا أريثوسا ولاريسا وخالكيس وعلى الجانب الفارسى سيلوقية على البحر الأريترى وأنطيوخ برسيس (بوشير) .

وإذا كانت هذه أمثلة للمدن التى أنشأها السيلوقيون ، فهناك أيضاً عديد من الأمثلة للمستعمرات العسكرية التى أسسوها لسكنى الجنود والمحاربين من ناحية ومن ناحية أخرى لمراقبة القبائل المتمردة وتأمين الحدود وحماية طرق التجارة ، ولعل أشهر تلك المستعمرات العسكرية كان مستعمرة ديورايوروبوس (الصالحية) التى تقع شمال شرق الصحراء السورية على الشاطىء الأيسر لنهر الفرات (فى الفرات الأوسط بين دير الزور وقرية أبو كمال) .

إن المستعمرة كانت إحدى الحصون الهامة التى نشأت بغرض الحماية على الطريق قوافل الفرات . إن كلمة ديورا مشتقة من الكلمة الأشورية Duru والتى تعنى حصن أوبرج .

وأول إشارة إلى ديورا ترجع إلى عام ٢٨٠ ق .م ، عندما قام قائد يدعى نيكانور – وهو أحد قادة سيلوقس الأول – بتأسيس حصن ومستعمرة للجنود المقدونيين وسماه بالإسم المقدونى يوروبوس . ومن المرجح إن تلك المستعمرة كانت واحدة من سلسلة طويلة من المستعمرات والحصون المقدونية التى تم إنشائها من أجل حماية طريق الفرات وأيضا كنقاط من عندها يصبح بالإمكان عبور النهر بأيسر السبل . إن الطريق الذى أقيمت عليه المستعمرة كان طريقا هاما لأقصى حد للسيلوقيين ، الذين كانوا سادة إيران من ناحية وسادة آسيا الصغرى من ناحية أخرى ، لأنه يربط سيلوقية دجلة عاصمتهم البابلية بأنطيوخ عاصمتهم على نهر العاصى Orontes وبدون هذا الطريق يصبح الإتصال بين سوريا الإغريقية وآسيا الصغرى وهما مراكز المملكة السيلوقية وبين ساترابيات الدولة السيلوقية فى الشرق مستحيلا . ومن هنا فإن السيلوقيين إهتموا بجعل هذا الطريق آمنا من غزوات البدو وحاولوا أن يرصعوه بحصون ومستعمرات .

وأخير أود أشير إلى أن الجزء الأكبر من العمل الإستيطانى تم فى عهد الملوك السيلوقيين الثلاثة الأوائل سيلوقس الأول (٣١٢ – ٢٨١ ق . م) وأنطيوخوس الأول (٢٨١ – ٢٦١ ق .م) وأنطيوخوس الثانى (٢٦١ – ٢٤٦ ق . م) وإستأنف العمل أنطيوخوس الرابع (١٧٥ – ١٤٦ ق . م) .

متطلبات التجارة الخارجية

ذكرت فيما سبق اوجه النفقات الضخمة التى واجهت الدولة السيلوقية والتى لا يمكن مواجهتها الإمن خلال تجارة خارجية نشطة تتغلب فيها الصادرات على الواردات فيميل

الميزان التجارى لصالح الدولة ويكون الفرق عمله فضية وذهبية تنفق منها على كافة أنشطتها .

وفيما يلى سوف اناقش الأساليب التى إتبعها السيلوقيون من أجا تحقيق هذا الهدف بادئا بالأساليب المباشرة ثم الأساليب غير مباشرة وذلك على غرار ما إتبعه فى الفصل الخاص بالدولة البطلمية .

الأساليب المباشرة لتنمية التجارة الخارجية

أولاً : الإستكشافات :

إهتم الإسكندر الأكبر باستكشاف الخليج العربى وشبه الجزيرة العربية وقد شكلت الروايات التى كتبها قواده فى الحملات المختلفة التى أرسلها أساس معظم المعرفة الجغرافية الموجودة عن الخليج العربى وشبه الجزيرة العربية خلال العصر السيلوقى .

ويمكن تقسيم حملات الإستكشاف التى بدأها الإسكندر إلى ثلاث طبقات :

- بادىء ذى بدء رحلة نيارخوس التى وصلتنا عنها روايات كتبها نيارخوس وأونيسيكريتوس وأورثاجوراس .
- حملات الخليج العربى التى قام بها أرخياس وأندروسثينيس وهيرون .
- وأخيرا حملة البحر الأحمر الإستكشافية التى قام بها أناكسيكراتيس .

إن مستكشفى الإسكندر وصلوا حتى نهر سيجون * Jarxartes * حيث أسس الإسكندر مدينة الإسكندرية الأخيرة على نهر سيحون وهى مدينة قوشند ، وتعتبر تلك المدينة آخر محطة قاصية للهيلينة ، وفى القرون التى أعقبت وفاة الإكندر إلتقى فى سوقها التاجر اليونانى من الغرب بالقوافل الهندية التى تأتى عبر سلاسل جبالها التى تغطيها الثلوج وهى جبال تيان – شان Tian - Shan جالبة مادة الحرير الجديدة وقصصا عن المدن العظمى للشعب المنتج للحرير والذى يقع فى عالم مابعيد جدا إلى الغرب .

إن الإسكندر حينما أنشأ ميناء لإيواء ألف سفينة فى نهر الفرات ببابل وأرسل أمير البحر نيارخوس يرتاد الشواطىء من نهر السند إلى الخليج الفارسى ، وأنشأ أكثر من سبعين مدينة كانت فى مواقع صالحة لآن تكون تجارية للتصدير والإستيراد ، كان يرمى بذلك إلى تيسير التجارة بين الشرق والغرب ، ومن أجل تحقيق حلمه فى ربط أجزاء العالم ببعضها وربط الأمم والحضارات أراد الوصول إلى أقصى حدود الهند ، ولكن تمرد جنوده حال دون لك ووافته المنية قبل أن يحقق حلمه .

إن البحث عن الثروة وعن طريق جديدة التجارة فى العصر الهيلينستى أعطى دافعا قويا الحركة الإستكشاف خلف الحدود التى وصل إليها الإسكندر ، ويبدو أن سيلوقس الذى إكتسب معلومات وثيقة من وراء مرافقته لحملات الإسكندر قد بنى عليها خططا لإستكشافات جديدة فى الشرق وطبقها بعد وفاة الإسكندر وهو الذى كان من بين مشروعاته البحث عن طريق آخر بين الهند وآسيا الصغرى يكون اكثر يسرا وأقل مشقة من الطرق المضنية عبر الهضبة الإيرانية .

ومن أجل ذلك أرسل مستكشفيه باتروكليس وديموداماس

باتروكليس :

كان وزير سيلوقس الأول وقام باستكشاف بحر قزوين والبحث عن إمكانية إيجاد طريق بحرى شمالى إلى الهند معتمدا على المعلومات التى سبق أن جمعها وكلاء الإسكندر الأكفاء والتى قدمت اليه بواسطة كسينوكليس خازن الإسكندر .

أن باتروكليس قد تولى من قبل دور بارز فى شئون المملكة وحاز القيادة فى الولايات الشرقية . والآن عندما أوكلت إليه مهمة الإستكشاف أحرز خطوات فى ذلك العمل ، ولكن من الواضح أن العمل الذى قام به كان غير تام ومؤقت . إن باتروكليس قام برحلتين من ميناء كيزيل أوزين فى أتروباتينى (أذربيجان) وفى الرحلة الأولى تقدم شمالا حتى مصب نهر قورش (كور الحديث) وفى رحلته لاحظ أقواما هم القادوسيين والألبانيين كما لا حظ على الأرجح مصب نهر كور .وعلم أن بحر قزوين يمتد نحو الشمال ، وعاد مرة أخرى إلى نقطة البدء .

وفى الرحلة الثانية أبحر صاعدا فى الجانب الشرقى من بحر قزوين إلى نقطة ما مستحيل تحديدها بدقة .

لقد جسد باتروكليس نتيجة تلك الرحلات فى كتاب الطواف الذى أصبح منذ ذلك الوقت فصاعدا المصدر الرئيسى لتلك الأقاليم .ويتحدث إسترابون عن باتروكليس باحترام شديد ويذكر أنه جدير بالثقة كما يتحدث عن معرفته للجغرافيا العلمية ويقارن تقريره المتزن بتقارير غيره التى إشتملت على قصص خيالية مثل ميجاسثينيس ودايماخوس .

ومن اللافت للنظر أن تقرير " باتروكليس " كان مسؤلا عن الفكرة الخاطئة لأجيال طويلة والتى تقول بأن بحر قزوين يتصل بالمحيط وأنه من الممكن الإبحار بهذه الطريقة إلى الهند .

أن سيلوقس الأول بتأثير من تقارير باتروكليس خطط لشق قناة من البحر الأسود شمال سلسلة جبال القوقاز إلى بحر قزوين ربما لكى يبحر حول آسيا قريبا من سلسلة جبال الهيمالايا ولكن هذا لم تتم تجربته بسبب موت سيلوقس وبعدها إنقطعت إمبراطورية السيلوقيين عن البحر الأسود .

ديموداماس من ميليتوس :

عهد إليه فى عهد سيلوقس الأول أو أنطيوخوس الأول ببحث مسار نهر سيحون Jaxartes ، والذى ربما كان ممرا مائيا مرتبطا بطريقا بريا من الهند عبر وسط آسيا ولذا فقد كانت المصالح التجارية بلا شك دافعا للمغامرة .

إن ديموداماس أقام بجانب نهر سيحون على حافة الصحراء الإسكوذية مذابح للإله أبو للو فى ديدوما .

إن الهند كانت تقع داخل نطاق نشاط ديموداماس وهذا ماتوحيه حقيقة أن إقتباس واحد صريح من كتاباته يشير إلى مدينة فى الهند .

إن سيلوقس الأول بين عامى ٣١١ و ٣٠٢ ق .م فتح وأعاد بلاشك إستكشاف إمبراطورية

الإسكندر الشرقية إلى الهند سيحون - والذى عبره تم إرسال ديموداماس لبحث الأقاليم فيما وراء ه تجاه بحر قزوين - وإلى نهر السند والذى وراءه ربما قد إخترق سيلوقس إلى جومنا ، ولكن تم إعتراض سبيله وإرغامه على أن يتخلى عن الهند وجزء كبير من أفغانستان إلى خاندرا جوبتا إمبراطور الماوريا الذى أقام حكمه عبر كل شمال الهند .

إن أنطيوخوس الأول سوتير وأنطيوخوس الثانى ثيوس (٢٦١ - ٢٤٦ ق . م) كانوا أيضا نشطين فى إيران ، أن أنطيوخوس الأول على سبيل المثال اعاد تأسيس مدينة ميرف باسم أنطيوخيا مارجيانا واستكشف نهر سيحون مرة ثانية ، وأعاد تأسيس الإسكندرية الأخير ة وهى مدينة قوشند الحديثة إن تلك المدينة هى آخر محطة قاصية للهيلنيستة ، وفى القرون التى أعقبت وفاة الإسكندر إلتقى فى سوقها التاجر اليونانى من الغرب بالقوافل الهندية التى تأتى عبر سلاسل جبالها التى تغطيها الثلوج وهى جبال تيان - شان جالبة مادة الحرير وقصصا عن المدن العظمى للشعب المنتج للحرير .

إن الإستكشاف الجزئى الذى قام به باتروكليس لبحر قزوين وحملة ديموداماس عبر نهر سيحون كانت تمليه بالتاكيد إعتبارات عسكرية وسياسية ولكن هذين المشروعين ربما قد عززتهما إلى حد ما الرغبة فى إقامة وسائل إتصال أقصر وأكثر ملائمة ، جزئيا عن طريق البحر ، وجزئيا عن طريق النهر بين الأجزاء الشمالية الغربية والأجزاء الشمالية الشرقية من الإمبراطورية السيلوقية وبذلك يتم تسهيل الدفاع عن الحد الشمالى الشرقى ضد بدو الشمال ولخدمة أغراضها تجارية .

إن هاتين الحملتين كانوا جزء من نظام متكامل لسياسة هدفها إستكشاف أو فتح طرق تجارية على طول شمال إيران ، ولكن هذا النظام إنهار مع الثورات الباكترية والبارثية ، ولو إستمر الحكم السيلوقى فى تلك الأقاليم لكان من المؤكد إتمام العمل ولكن الإمبراطورية العظمى أنهارت قبل أن تستطيع إنجاز خططها .

وإذا كان زحف سيلوقس نحو الشرق قد تم إيقافه على يد خاندرا جوبتا إمبراطور الماوريا ، وتم توقيع معاهدة سلام فى عام ٣٠٢ ق .م بين الملكين أجبر سيلوقس بمقتضاها أن يتنازل عن المقاطعات الهندية التى حازها ، فإن هذا لم يحل دون إهتمامه بذلك الإقليم الذى يمثل مصدرا هاما من مصادر التجارة الشرقية ، ولذا فقد أرسل مستكشفا وسفيرا إلى بلاط الملك الهندى وكان ذلك هو :

ميجاسثينيس :

تم إرساله فى عام ٣٠٢ ق . م ليقطن فى بلاط الملك الهندى خاندرا جوبتا فى عاصمته باتاليبوترا بالقرب من مدينة باتنا على نهر الجانج وهناك جمع ميجاسثينيس ونقل للأجيال اللاحقة تفاصيل جديدة كثيرة عن شمال الهند . لقد سافر ونظم عملية معاينة " للطريق الملكى " المورى من الحد الجغرافى للإسكندر على نهر بياس إلى نهر الجانج ، وكان أول من أحاط الغرب علما بذلك النهر ووضع ملاحظة عن روافد النهر ولكنه لم يستكشفه بنفسه ، كما سمع بصورة غامضة عن قبائل بدو من سيكيم وموراناج وعرف نبذة عن تجارتهم فى الحرير الصينى مع الهند وعن عمال تعدين الذهب فى هضبتى التبت والهيمالايا .

كما علم الكثير عن تنظيم وإدارة إمبراطورية خاندرا جوبتا وعلم عن كثير من المدن والشعوب الهندية مدركا بصورة غامضة شكل ونتوءات السواحل . كما انه سمع عن سيلان واللؤلؤ بهاوالشحن والتجارة صعودا على الساحل الشرقى للهند وربما سمع عن شبه جزيرة الملايو وسمع عن طائفة التاميل بسيلان وربما سمع عن تاميل كولا وبانديا وخيرا القاطنين حول الطرف الجنوبى للهند . وفى عهد خليفة خاندرا جوبتا الملك فيندوسارا تم إرسال دايماخوس كسفير سيلوقى .

مع سقوط إمبراطورية الماوريا فى عام ١٨٤ ق .م وصل الإغريق مرة أخرى إلى الهند من باكتريا ولكن المعرفة عن شبه القارة الهندية لم تصبح واسعة الإنتشار أكثر ، بما أن الفتوحات البارثية قللت هذا الإتصال لأنها دقت إسفينا بين إغريق الشرق الأقصى والإمبراطورية السيلوقية .

إن حملتى باتروكليس وديموداماس وما أعقبهما من إرسال مستكشفين وسفراء إلى الهند يدل على إهتمام السيلوقيين بتنفيذ أحد جوانب مخططات الإسكندر ، أما الجانب الآخر فى مخطط الإسكندر والذى يتعلق بمشروع الجزيرة العربية فيبدو أن السلوقيين قد عزفوا عن القيام به وربما كان ذلك راجعا إلى إعتقادهم بأن منافسيهم البطالمة سيجنيها السيلوقيون أنفسهم .

ومع هذا فإن المنطقة كانت تشكل جانبا هاما من إهتمامات السيلوقيين ، إن هذا الإهتمام هو الذى دفع انطيوخوس الثالث فى عام ٢٠٥ - ٢٠٤ ق .م لمهاجمة مـــدينة

جرهاء فى محاولة للسيطرة على تلك المدينة التجارية الهامة وتحويل جزء كبير من التجارة التى كان الجرهائيون يتحكمون فيها إلى إمبراطوريته بدلا من البطالمة .

ومن ناحية أخرى نجد أن أنطيوخوس الرابع إيفانيس قام حوالى ١٦٥ ق .م قد أثارته مضايقات الوسطاء سواء الفرس أو الأعراب ببحث ودراسة الشاطىء الجنوبى للخليج الفارسى بالتفصيل . ولقد كان هو على الأرجح الذى أرسل نومينيوس بأسطول إلى رأس مسندم ، إن بلينى يصف تفاصيل تلك الحملة جهة الساحل العمانى فيذكر أن نومينيوس حاكم ميسينى الذى عينه الملك أنطيوخوس كسب معركتين ضد الفرس وفى تلك البقعة مرة بواسطة الأسطول ومرة بواسطة الفرسان .

هذا وقد سبق أن ذكرت أن نيارخوس قائدا أسطول الإسكندر فى رحلته قد إكتشف جزيرة وسماها إيكاروس وتعرف هذه الجزيرة اليوم باسم فايلاكا وقد أشار أريانوس إلى معرفة الإسكندر بتلك الجزيرة ، كما ذكر إسترابون أن بالجزيرة معبدا لأبو للو ومذبح لأرتميس صائدة الثيران .

إن تلك الجزيرة تم إعادة إستكشافها اومسحها فى عهد الملك السيلوقى أنطيوخوس الرابع إيفانيس لتأكيد السيطرة .بعد موت أنطيوخوس الرابع إيفانيس بدأ السيلوقيون يفقدون إمبراطوريتهم ، وأصبح البارثيون أقوياء وتحكموا تدريجيا فى الخليج الفارسى عبر الأمراء التابعين لهم فى فارس ومقاطعات دجلة والفرات .

إن غزوة أنطيوخوس الثالث وحملة أنطيوخوس الرابع الإستكشافية جعلت المنطقة على اتصال بالعالم الإغريقي أو السيلوقي ولكنها ظللت خارج حدود الإمبراطورية السيـــــلوقية .

- ثانياً : إنشاء الموانيء :

إهتم السيلوقيون بالشرايين التى تمر من خلالها التجارة وعملـوا علـى الإحتفاظ بتواجد نشط فى المناطق التى تمر بهـا ، وكـان الخليـج العربـى الفارسـى هـو أحـد الشـرايين الهامة للتجارة الشرقية ولذا عمل السيلوقيون على الإحتفاظ بوجود نشط فى هذا الخليج ربما منذ زمن سيلوقس الأول ، وهكذا يصلون إلى التجارة الهندية عبر الخليج وإلى تجـارة التوابل من جنوب شبه الجزيرة العربية .

وفى الخريطة تظهر مدن وموانيء عديـدة علـى الخليـج الفارسـى تم إنشاؤها فـى عهـود مختلفـة مـن عصـر الإمبراطوريـة السـيلوقية وهـذه تشـمل ، سيلوقية علـى البحـر الإريـترى ، أريثوسا ، خالكيس ، لاريسا ، أنطيوخيا فى برسيس (بوشير) وهـذه المنشآت تم إنشائها فـى عهود كل من سيلوقس الأول وأنطيوخوس الأول .

كمـا وجـه أنطيوخـوس الرابـع إهتمامه إلى مدينـة خـاراكس ، تلـك المدينـة التـى كـان الإسكندر قد أنشاءها على الخليج عند مصب نهر دجلة باسم الإسكندر ، ولقد كان فى ذهن الإسكندر عدة أغراض من بناء تلك المدينة حيث سعى إلى إقامة مخفر أمـامى ضد غـازات البدو الأقوياء ، كما أراد ميناء جديدا يخدم كقاعدة دفاعية لبحرية كبيرة والتى كـان يتـم

بنائها فى بابل ، وأخيرا ربما أراد أيضا مدينة تخدم كمركز تجارى جديد على رأس الخليج وميناء دخول للسفن التى تحمل سلع الترف من الشرق . ويشير بلينى إلى أن تلك المدينة قد تعرضت لتدمير شديد بسبب الفيضان وأعيد تأسيسها على يد أنطيوخوس الرابع عام ١٦٦ او ١٦٥ ق .م باسم أنطيوخيا خاراكس ، ثم دمرت مرة أخرى وأعاد تأسيسها سباؤسينيس بن ساجدوناكوس ملك العرب المجاورين (باسم خاراكس سباؤسينيس)

إن تجديد تلك المدينة فى عهد السيلوقيين يعكس على الأرجح رغبة إغريقية فى إقامة مركز بحرى على رأس الخليج والذى سيخدم كل من عاصمة الإمبراطورية والسفن التجارية طويلة المدى والتى ستؤدى وظيفتها كقاعدة للأسطول السيلوقى .

هناك أيضا عدة مراكز أنشأها السيلوقيين فى حنوب ميزوبوتاميا وفى كلدان وعلى رأس الخليج الفارسى لتتلقى البضائع القادمة منالهند وإيران وبلاد العرب وترسلهم إلى سوريا والبحر المتوسط ، كانت سيلوقيةدجلة أحد هذه المراكز وهى تقع شمال شرق مدينة بابل ، وتم إعتبارهم العاصمة التجارية لكل غرب آسيا . إن المدينة لا تقع على ذات نهر دجلة ولكن على بحيرة طبيعية كونها النهر القديم ، وبحكم عمق مياه هذه البحيرة تهيأت للمدينة الجديدة موانىء تستطيع إستقبال السفن الصاعدة والهابطة لنهر دجلة مما أكسب المدينة أهمية تجارية وإستراتيجية ممتازة .

إن تأسيس المدينة على يد سيلوقس الأول الذى قام بتحصينها وهجر إليها تجار مدينة بابل ، وتقدمها السريع بفضل سياسة السيلوقيين قضى على بابل عاصمة كلدان القديمة .

وهناك مركزا آخر فى إقليم مصبى نهرى دجلة والفرات ، هذا المركز أقيم على ضفاف بحيرة ضخمة يهبط فيها نهر خواسبيس من جبال سوسيانا وتختلط مياهه بمياه دجلة ، وكان الغرض من إقامة هذا المركز التجارى هو نقل التجارة برا حتى البحيرة وذلك بالنسبة للسلع غير القادرة على الصعود من البحر أو الهبوط إليه بواسطة الأنهار بسبب الشلالات الصناعية إن استرابون ذكر هذا المركز ولكنه لم يذكر إسمه .

وهناك مركزا تجاريا آخر قرب نهر الفرات ذكره إسترابون ولم يذكر إسمه أيضا، فهناك خدمت قرية كبيرة كمركز تجارى للبضائع القادمة من بلاد العرب بحرا أو عن طريق إهتم السيلوقيين أيضا بالمناطق حيث تتجمع الطرق البحرية إلى الهند والطرق البرية الرئيسية من الهند ومن وسط آسيا ، إن تلك الطرق كانت منذ زمن سحيق تتجمع فى نقطة واحدة فى إقليم بابل قرب مصب نهرى دجلة والفرات ، وهنا أنشأ سيلوقس الأول العاصمة الثانية لمملكة " سيلوقية دجلة " فى موقع أكثر ملائمة عن موقع مدينة بابل لتتركز فيها التجارة الآسيوية ، ولكن سيلوقية دجلة كانت تقع على مبعدة من بلاد اليونان والبحر المتوسط ، لهذا أنشأ سيلوقس الأول أنطيوخ على نهر العاصى وميناءها سيلوقية بيريه ولاوديكيا وجعلها العاصمة الرئيسية لكل الإمبراطورية .

ثالثاً الإهتمام بالطرق وصيانتها :

أوضحت فى الجزء السابق مباشرة أن السلوقيين إهتموا بالشرايين للتجارة ورصعوها بسلسلة من المدن والمواتىء بغرض الإحتفاظ بوجود نشط فى تلك الأماكن والتحكم فى

الأجزاء التى تصل عبرها التجارة .

وفى هذا الجزء سوف أناقش كيف إهتم السيلوقيون بربط تلك المدن وخاصة عواصمهم الشرقية والغربية بطرق ملائمة وآمنة وأن يجعلوا هذه الطرق أكثر أمنا وأرخص من الطرق الصحراوية إلى موانىء فلسطين وفينيقيا .

إن السيلوقيين أنشأوا طريقين رئيسيين يربطان عاصمتهم أنطيوخ على نهر العاص وميناءها سيلوقية بيريه مع الطرق العظمى فى إقليم ميزوبوتاميا ، تلك الطريق التى ترجع إلى عصر ملوك الفرس .

إن أحد هذين الطريقين يمضى من أنطيوخ على نهر العاص إلى زيوجمها على نهر الفرات (سيلوقية على نهر الفرات) ومن هناك عبر جسر إلى الرها ونصيبين لينضم إلى الطريق الفارسى الذى يؤدى إلى الولايات الإيرانية .

أما الطريق الآخر فهو يمضى أيضا عبر زيوجما ولكن عبر سهل ميزوبوتاميا خلال أنثيموسياس وإيخناى إلى نيقيفوريوم وكذلك عبر الطريق الفارسى العظيم إلى مدينة بابل وسيلوقية دجلة .

أن إهتمام السيلوقيين بتلك الطريق يوضح أن سيلوقية بيريه لم تنجح أبدا فى جذب تجارة ضخمة ، وظللت الموانىء العظمى لآسيا الصغرى هى المراكز الرئيسية للتجـــارة

الشرقية ، هذا بالإضافة إلى أن الطريق عبر آسيا الصغرى ظل الطريق الرئيسى من الإمبراطورية السيلوقية إلى العالم اليونانى وبحر إيجه لأن الطريق البحرى من موانىء شمال سوريا كان بالإمكان دائما سده من قبل البطالمة . ولهذا أولى السيلوقيون الأوائل غالبية إهتمامهم إلى طرق التجارة الفارسية عبر آسيا الصغرى والتى حسنوا فيها وطوروا شبكة الطرق بأثين الأمن فى المحطات الرئيسية ونقاط التقاطع مع المستعمرات المقدونية .

إن تلك الطرق تم تأمينها بسلسلة من المدن الإغريقية المقدونية المحصنة المبثوثة على طول الطرق الرئيسية حيث وصلت من سواحل بحر إيجه عبر آسيا الصغرى وسوريا وميزوبوتاميا وبابل على طول الطريق إلى باكتريا وسوجديانا ، وقد إنقسمت تلك المدن إلى ثلاث مجموعات :

الأولى : المجموعة الليدية والفريجية والكارية فى آسيا الصغرى بمراكزها العسكرية والإدارية فى ساردیس وكيليناى (أباميا كيبوتوس) .

الثانية : تمتد من النهاية الشمالية للساحل السورى على طول المسار الكلى لنهر العاصى وتوابعه ، وعلى طول المسار الأوسط للفرات ، وعلى طول نهر الخابور وتوابعه . هذه كانت سوريا قلب ونواة الإمبراطورية بعواصمها الأربعة ، العاصمة السياسية أنطيوخ على نهر العاصى والعسكرية أباميا والتجارية سيلوقيةبيرية ولاوديكيا .

الثالثة : مجموعة مدن إقليم بابل وسوسيانا فى النصف الغربى من الإمبراطورية ، وتعد الباب للقسم الشرقى ومركزه الإدارى والعسكرى ، إن العاصمة السياسية

والإقتصادية لهذه المجموعة والعاصمة الثانية للإمبراطورية كانت سيلوقية دجلة

إن معلوماتنا عن صيانة الطرق وجعلها آمنة معروفة بصورة ضئيلة ، ولكن يبدو أن الطرق كانت أى حال فى آسيا الصغرى جزئيا طرق الملك العامة وجزئيا مسئولية المدن . ومن المرجح أن التقليد الذى إتخذته مملكة برجام فى جعل صيانة الطرق واجب على مالكى الأرض التى تمر الطرق عبرها قد تم أخذه من السيلوقيين الذين أخذوه من الفرس .

رابعاً : إحلال التبادل النقدى محل المقايضة .

إن إستخدام النقود أصبح عامل ذو أهمية عظمى فى العصر الهيلينستى ، لقد كان قائما فى دويلات المدن الإغريقية فى القرن الرابع ق .م وكان سمة بارزة للإمبراطورية الفارسية ، وفى العصر الهيلينستى ثبت جذوره فى الشرق وحل إلى حد كبير محل المقايضة فى الحياة الإقتصادية .

لقد ورثت مملكة باكتريا الإغريقية والبارثيين إستخدام النقود من السيلوقيين ، وأصبح سائداً بتأثير هيلينستى فى الهند وبنفس الطريقة ورثه العرب خاصة الأنباط وعدة دول قومية صغرى إنفصلت من الإمبراطورية السيلوقية مثل فلسطين وأرمينيا .

وترفض سوزان شروين وايت وإيميلى كوهرت الفكرة القائلة بأن الفتح المقدونى أدخل العملة إلى الشرق القديم ، فقد كانت هناك من قبل العملة الأخمينية والعملة الليدية

بالإضافة إلى إستخدام مناطق رئيسية للنقود حيث خدمت مضاعفات وكسور الشيكيلات البابلية كعملة ، كما سادت فى الهند القديمة عملات تم تعليمها عن طريق التخريم وسبقت تلك العملات العملات الهيلينستيه لأسرة الماوريا بقرنين من الزمان .

ومع هذا لا ينكر الكاتبان دور الإسكندر الأكبر والسيلوقيين فى إقامة دورسك تنتج عملات صغيرة وكبيرة بالإضافة إلى تأسيس دورسك محلية مما زاد فى بعض المناطق من إستخدام النقود المسكوكة . بالإضافة إلى أن قرب الإمبراطورية السيلوقية أحدث تغيرا فى طرق التبادل والعلاقات التجارية – وإن كان هذا التغير أحياناً وقتيا – مثل سلسلة العملة الفضية ذات اللغتين الإغريقية والآرامية والتى تحاكى العملة السيلوقية والتى اصدرها حاكم الساحل الغربى للخليج العربى الفارسى لفترة خلال السيادة السيلوقية فى الخليج ، مما يرجح معه أن ذلك كان راجعا لتأثير وقتى للسيلوقيين على التجارة مما أوجب إستخدام الطرق الغالبة للتبادل والتى تنزع إلى إستخدام النقود المسكوكة .

إن السيلوقيين أولوا إهتماما عظيما لعملتهم التى خلفت عملة الإسكندر ، واستمروا على نحو صارم على نفس المعيار الذى إتخذه وهو المعيار الآتيكى ، كما إتبعوا خطواته فى توحيد العملة عبر كل الإمبراطورية لتكون دافعا لنهضة تجارية قوية وربط أجزاء الإمبراطورية إقتصاديا ، ولهذا حاولوا جعل عملتهم وفيرة ومستقرة وذات نوعية جيدة ، ولم يتم توزيعها فقط على نطاق واسع عبر إمبراطوريتهم فى أناتوليا وسوريا وميزوبوتاميا وإيران بل تم توزيعها أيضا عبر باقى العالم الهيلينستى .

إن ملوك الأسرة السيلوقية سكوا عملتهم من ثلاث معادن الذهب والفضة والنحاس . إن العملة الذهبية كان يتم سكها بانتظام حتى النصف الثانى من القرن الثالث ق .م ،ثم توقف السك وتم إستئنافه من وقت لآخر على يد الملوك السيلوقيين الأواخر فى مناسبات خاصة ، إن ذلك سيبيريا وآسيا الصغرى ، وبما أن ذهب سيبريا يصل باكتريا أولا ، كان طبيعيا أن العملة المتداولة يجب أن تصدر بكميات كبيرة خاصة فى ولاية باكتريا السيلوقية ، وبمجرد إستقلال باكتريا وتم فصلها هى ذاتها عن سيبريا ، وبينما وقف البارثيون أنفسهم حائلا بين السيلوقيين والشمال الآسيوى ، لذلك أصبح الذهب نادرا جدا فى المملكة السيلوقية وتخلى خلفاء سيلوقس الثانى عن سك عملتهم بهذا المعدن .

أما العملة الفضية فقد كانت العملة المتداولة الرئيسية فى المملكة السيلوقية طالما كانت آسيا الصغرى بمناجم الفضة الوفيرة فى أيدى السيلوقيين ، إن الموقف تغير بعد فقد آسيا الصغرى فى عهد أنطيوخوس الثالث مما سبب نقصا فى الفضة فأجاز السيلوقيون تداول نقود أجنبية من المعيار الآتيكى الخاص بهم وفتحوا أبواب إمبراطوريتهم على مصراعيها الترادراخمات الفضية من دور السك الآناتولية المختلفة بما فيهم دورسك ملوك برجام على الأرجح نتيجة لتفاهم مع الآتاليين ، ومن بين هذه العملات ذات السك الأجنبى كان موجودا عملات الإسكندر ولوسيماخوس بعد وفاتهم . إن هذا التنازل بالتأكيد كان من أجل إحتياجات التجارة الدولية .

أما العمله النحاسية فإن سياسة السيلوقيين نحوها كانت أكثر تحررا ، لقد تم منح غالبية المدن الإغريقية فى آسيا الصغرى حق سك النحاس وآحيانا العملة الفضية الصغيرة وذلك للتداول المحلى والإقليمى .

فى حياة الإسكندر كانت أهم دور السك فى أمفيبوليس فى مقدونيا ومدينة بابل وطارسوس فى كيليكيا والإسكندرية المتاخمة لمصر ، وفى الدولة السيلوقية كانت كل من الولايات الشرقية تخدمها دارسك واحدة : سيلوقية دجلة تخدم ولاية بابل ، ودارسك سوسا تخدم إقليم سوسيانا ، دارسك برسيبوليس تخدم إقليم فارس ، ودارسك إكباتانا تخدم إقليم ميديا ، ودارسك باكترا تخدم إقليم باكتريانا ، وكان هناك على الأرجح دارسك أخرى إما فى هيكا تومبيلوس أو أرتاكانا فى بارثيا ، أما الأجزار الغربية من الإمبراطورية السيلوقية فقد كان بها دورسك فى ميزوبوتاميا وسوريا وفينيقيا وكيليكيا .

وفى النهاية أود أن أوضح أن سياسة النقدية للسيلوقيين كانت على العكس تماما عن السياسة النقدية للبطالمة ، فقد سبق أن أوضحة فى الجزء الخاص بالبطالمة أنهم إتخذوا قاعدة النقد الفينيقى وإتبعوا نظاما نقديا مغلقا باستبعاد تداول العملات الأجنبية من أى معيار داخل إمبراطوريتهم .

إن السيلوقيين فى هذه النقطة كانوا مختلفين تماما عن البطالمة ، فالسيلوقيين لم يفرضوا نظام نقدى مغلق فى إمبراطوريتهم ولم يفرضوا حظرا على تداول الفضة والذهب من الممالك الأخرى . لقد استمر السيلوقيون فى إستخدام المعيار الآتيكى الذى كان الإسكندر يستخدمه . وسمحوا للعملات الأخرى من هذا المعيار ومعايير أخرى أن يتم تداولها بحرية فى الإمبراطورية السيلوقية .

إن تلك الحقيقة تتضح من خلال خزائن العملة التى تبين أن العملات الفضية والبرونزية

للمدن والممالك الأخرى تم تداولها بصورة واسعة عبر المملكة ، إن الإستثناء الوحيد هو عملة البطالمة التى لم توجد فى أى من خزائن العملة السيلوقية مما يوضح أن العملة المتداولة البطلمية قد تم إبعادها بعناية .

إن إتجاه السيلوقيين للإحتفاظ بوحدة العملة يتضح من خلال السياسة المالية التى إتبعها السيلوقيون ، إن معظم نقود سيلوقس الأول فى سنواته المبكرة تتألف من الذهب والفضة التى تكرر عملة الإسكندر وفيليب الثالث مع إختلاف وحيد وهو أن أسماء الإسكندر وفيليب قد حل محلها تدريجيا - رغم أنه ليس تماما - أسماء سيلوقس وفى السنوات العشر الأواخر لحكم سيلوقس نجد أن أنماط عملته أصبحت أكثر تنوعا وذات سمة شخصية أكثر وكرد فعل ضد هذا قام أنطيوخوس الأول وأنطيوخوس الثانى مرة ثانية بإصدار كميات كبيرة من عملات سيلوقس - الإسكندر ، بل إنهم أعادوا سك بعض العملات المتأخرة لسيلوقس كعملات من نوع الإسكندر سيلوقس وبهذا أكدوا على الشخصية الدولية لسياستهم الإقتصادية .

ويحلل كلا من سوزان شروين وايت وإيميلى كوهرت الأسباب التى جعلت السيلوقيين لا يتبعون قاعدة النظام النقدى المغلق ، وهما يرفضان رأى موركهولم القائل بأن ذلك كان راجعا إلى أن مملكتهم كانت دولة أقل مركزية وبالتالى فإن التحكم البيروقراطى فى الحياة الإقتصادية لم يكن موجودا ليجعل تطبيق مثل ذلك النظام ممكنا . ويعلل الكاتبان رفضهما لرأى موركهولم بقولهم أن الآلهة الإدارية فى الإمبراطورية السيلوقية مثل مراكز الرسوم الجمركية كانت موجودة ، وفى رأيهما أن إستخدام السيلوقيون للنظام النقدى

المفتوح كان راجعا لثلاثة أسباب :

(١) أنه كان هناك مصادر سبائك كافية فى الإمبراطورية السيلوقية .

(٢) أن العملة الملكية كانت متجهة أن يكون لها وضع تفضيلى وأن الوثائق البابلية تلمح إلى إستخدام العملة السيلوقية الملكية إلى جانب الشيكيلات البابلية المحلية جنبا إلى جنب فى عمليات الدفع .

(٣) أن إستخدام العملات الأجنبية يجعل ميزان التجارة أكثر مواءمة وهو ما يؤكده ماتم إكتشافه من عملات أجنبية عديدة وافرة فى سوريا وبابل .

مما سبق يتضح أن عملة السيلوقيين عملت على نعزيز إستخدام النقود فى إمبراطوريتهم ، وخدمت كأداة قوية لتطوير تجارتهم الخارجية .

البنوك فى المملكة السيلوقية :

ليس لدينا معلومات كافية تتيح لنا معرفة أعمال البنوك فى الدولة السيلوقية وما هى جهودهم فى تطويرهم وما هى العمليات التى كانت تمارسها تلك البنوك وما هو دورها فى خدمة التجارة . ولكننا نعلم أن هناك أنماطا مختلفة من البنوك فى دويلات المدن اليونانية كانت تشارك فى رعاية وإستثمار النقود : بنوك معابد مدن ، بنوك خاصة .

إن عمليات تلك البنوك تمثلت فى إستبدال النقد الأجنبى بمحلى والعكس والعناية بالودائع مختلفة الأنواع والقيام بأنماط مختلفة من عمليات التحويل والتسليف .

ومن المرجح إلى حد كبير أنه كانت توجد بنوك خاصة وبنوك دولة في المستوطنات الإغريقية في الشرق ، على الأقل في المراكز الإغريقية والمقدونية الكبيرة للإمبراطورية السيلوقية . ومن المرجح أن البنوك الخاصة جيدة التنظيم في الفترة قبل الهيلينسيته وجدت في بابل وسوريا وفينيقيا وفلسطين ولكننا لا نعرف شيئا عن العمل المالى والتجارى لتلك البنوك وبنوك المعابد الشرقية الكبرى في العصر الهيلينستى .

ولكن من المؤكد أن بنوك المعابد تحت حكم السيلوقيين تمتعت باستقلال سياسى واقتصادى ومارست عملياتها في تلقى الودائع من الأفراد ، حتى أرغمت الصعوبات المالية المؤقته انطيوخوس الثالث وسيلوقس الرابع وأنطيوخوس الرابع أن يرغموا المعابد على تسليم جزء كبير من ثروتهم .

الأساليب غير المباشرة لتنمية التجارة الخارجية

أولاً : تطوير موارد البلاد الإقتصادية :

إن السيلوقيين ، شأنهم البطالمة ، كانوا في حاجة ماسة إلى الأموال للإنفاق على العديد من المناحى وذلك لبناء قوتهم وتوكيد مكانتهم الدولية والإنفاق على الجيوش وإنشاء المدن والمستعمرات ، ومن أجل توفير الأموال اللازمة كان عليهم النهوض بنواحى الحياة الإقتصادية من زراعة وصناعة وذلك لتحقيق هدفين في أن واحد ، أولهما : تحقيق زيادة في الإنتاج الزراعى والصناعى وإدخال منتجات جديدة لمواجهة الطلبات المتزايدة للأعداد الغفيرة من المقدونيين والإغريق الذين تم إستقدامهم إلى البلاد ، أما الهدف

الثانى فهو تحقيق وفرة فى المنتجات مما يجعل هناك فائضا للتصدير وبالتالى يميل الميزان التجارى لصالحهم .

وعلى هذا سنتناول الجهود التى بذلها السيلوقيون من أجل ذلك والتطورات التى أدخلوها فى فروع الإقتصادية المختلفة :

أ - الزراعة :

إن أهم مصدر للثروة فى العالم القديم فى كل عصور تاريخة كان الزراعة ، ولم يكن العصر الهيلينستى إستثناء . إن عمليات الإستصلاح أديرت على نطاق كبير وبصورة تنظيمية فى الممالك الهيلينستيه الشرقية ، ويبدو أن الملوك السيلوقيين قد أولوا عنايتهم للنمو الإقتصادى فى إمبراطوريتهم من خلال إستزراع مناطق جديدة بإستخدام نظام الإقطاعات العسكرية فى مناطق معينة على سبيل المثال فى فايلاكا وأيخانوم وباستخدام العقود الصادرة بالتزامات الزراعة كما فى حالة المستوطنين اليهود فى ليديا .

كما أنهم عملوا على تجديد نظام قنوات الرى الموجودة فى إقليم بابل ، إن تلك القنوات كانت موجودة منذ الأزمنه الأخمينية ، ولقد عانى الإسكندر ليضمن العمل لهذه القنوات ، إن هذه القنوات تم إستخدامها أساسا للرى ، ويصف إسترابون عمل هذه القنوات حيث يقول أن الرى يؤذيه الجفاف الشديد وأيضا المياه والعلاج الوحيد فى أى من الحالتين هو القدرة على فتح أو إغلاق مصبات القنوات بسرعة من أجل المحافظة على الماء دائما فى مستوى متوسط وعدم السماح له أن يكون عاليا جدا أو منخفضا جدا . إن

إحدى هذه القنوات تربط الفرات مع دجله وتلتقى فى سيلوقية دجلة .

ويذكر استرابون أن نهر خريسورواس يصب فى قنوات الرى التى عليها أن تروى منطقة شاسعة الإمتداد . وإلى جانب إستخدام هذه القنوات فى الرى تم الإستفادة منها لخدمة الشحن أيضا حيث كانت قوارب الشحن تمخر عباب تلك القنوات .

إن السيلوقيين لم يظلوا قانعين بإستخدام نظام المياه كما هو ، بل ربما حسنه اليلوقيون الأوائل وبلا شك أكملوه أيضا .

إن صيانة هذه القنوات وبواباتها وإقامة السدود عليها تم ضمانه من خلال العماله الإجباريه لمن يقطنون على ضفاف الأنهار فى بابل .

لقد ذكر بوليبيوس أن هذه النظم للرى قد تم تدميرها على يد البارثيين أثناء الحرب بين أنطيوخوس الثالث والملك البارثى أرساكيس ، إن هذا يلمح إلى أن تلك النظم كان السيلوقيون مستمرين فى المحافظة عليها حتى ذلك الوقت كما يلمح أيضا إلى الإستعمال النشط لها وأهميتها الإقتصادية .

إهتم أنطيوخوس الأول أيضا بأعمال الرى والسدود ، وقد تم إكتشاف نظام كبير للسدود وأعمال الرى - ترجع على الأرجح إلى عصور قديمة - حول مدينة أنطيوخ فى مارجيانا والتى بناها أولا الإسكندر ، ثم دمرت بعد ذلك بفترة قصيرة على يد البرابرة الإســـكوذيين

وأعاد بناءها أولا الإسكندر ، ثم دمرت بعد ذلك بفترة قصيرة على يد البرابرة الإسكوذيين وأعاد بناءها وتكبيرها أنطيوخوس الأول سوتير . وبلاشك تدين تلك المدينة لمحطات المياه فيها ، باسم أنطيوخ المروية الذى تعرف به أحيانا.

كما تم إبتكار سلسلة مستمرة من الدلاء يبدو أنها إبتكرت لرى الحدائق المعلقة فى بابل إن هذا الإبتكار ظهر لأول مرة حوالى ٢٠٠ ق.م ، وهو عبارة عن ساقية تقودها الثيران والتى إستخدمت فيها التروس لربط العمود الراسى بالعجلة الأفقية . إن الآله يمكنها رى نصف آكر * يوميا .

إهتم السيلوقيون كذلك إهتماما كبيرا بإستيراد عينات جديدة من المزروعات ومحاولة إيتنباتها فى سوريا وميزوبوتاميا وعلى الأرجح فى الولايات الإيرانية أيضا .

يتحدث بلينى عن محاولات قام بها على الأرجح سيلوقس الأول فى مملكته لأقلمة حب الهال والناردين (سنبل الطيب) Nardum والتى جلبت من الهند بحرا .

ويتحدث بلينى أيضا عن القرفة فيقول " أن شجيرة القرفة لم تحز القوة أن تصل فى جوار سوريا " .

وكذلك يذكر بلينى أن ملوك آسيا (السيلوقين) Asiae reges زراعوا شجرة البخور فى مملكتهم .

إن النصوص السابقة توضح أن السيلوقين قاموا بعدة محاولات فى مملكتهم لإنتاج بعض البضائع العربية والهندية التى يتلهف رعاياهم والدول الأجنبية على شرائها .

بالإضافة إلى ما سبق قام السيلوقيون بتكثيف زراعة محاصيل ونباتات كانت تزرع من قبل أو تحسين نوعيتها أو إدخالها فى مناطق لم تكن تزرع فيها من قبل ، وعلى سبيل المثال يذكر استرابون أن الإغريق هم أول من أدخلوا زراعة الكروم فى إقليم سوسيانا . أما فى إقليم بابل فأنهم أدخلوا طرقا جديدة فى زراعته حيث يغرسون فى الأرض أوتادا ذات حواف كالحديد ثم يبد لونها بالكرمات . ويذكر كذلك أنه تمت زراعته فى المقاطعات التى تحد الخليج الفارسى حيث ينمو فى مستنقعات على سياج من الأغصان الصغيرة المدنة المغطاة بطبقة من التراب كثيفة بما فيه الكفاية لتسمح للنباتات بأن تتأصل جذورها .

أما بالنسبة للحبوب وأهمها القمح والشعير ، فقد تم زيادة إنتاجهم فى الفترة السيلوقية زيادة كبيرة ، حيث يقول إسترابون " أنه ليس هناك بلد على الأرض تنتج شعيرا كثيرا مثل (إقليم بابل) فعائده أكبر بثلثمائة مرة كما يقولون "

كما يقول أيضا "أن (سوسيانا) يغرز بها إنتاج الحبوب حتى أن الشعير والقمح يغلان بانتظام مائة ضعف وأحيانا مئتى ضعف " .

وتشتهر ميديا وفارس بإنتاج أجود أنواع القمح ، والدليل على ذلك أن البطالمة عملوا على إستنبات أنواع من القمح السورى والميدى فى مصر لتحسين نوعية القمح المصرى .

أما عن الأشجار ، فإن الشجرة الوحيدة التى تم إكتشافها فى إقليم بابل هى شجرة البلح.

ورغم صمت المصادر عن ذكر أى نوع آخر من الأشجار ، إلا إنه لا يمكن تصور أن إمبراطورية كبيرة كالامبراطورية السيلوقية بها مناطق جبلية متعددة وغابات فى كل من آسيا الصغرى وشمال سوريا ومنطقة ما بين النهرين لا تحتوى على ثروة من الأخشاب الثمينة

مما سبق يتضح أن جهود السيلوقيين فى تطوير الزراعة وإدخال مزروعات جديدة قد أثمرت ، ففى سوريا وفينيقيا ويهودية وعلى طول نهرى الفرات ودجلة وفى إقليم بابل وحتى إقليم سوسيانا كان ينمو نتاج الشعير والقمح والكروم والزيتون والفاكهة والحدائق بوفرة تحدث عنها الكتاب القدماء وتشهد عليها البقايا الأثرية حول أنطاكية وسيلوقية بيريه وعلى طول وادى نهر العاصى وفى جوف سوريا وحول بحيرة طبرية وفى سهول ساماريا ويهودية حيث كانت التربة شديدة الخصوبة وكان عمل حشود غفيرة من المزارعين جعل الأرض تنتج حصادا ضخما .

كما تم زراعة النباتات العطرية فى أجزاء مختلفة من المملكة السيلوقية ، حيث تم زراعة حب الهال فى جورديني وفى وادى دجلة الأعلى .

كما تم زراعة الأسل العطرى وقصب الطيب فى مياد بحيرة جينيساريتيس (طبرية)

كما تنمو شجرة البلسم فى وادى الأردن الأعلى وفى سهل أريحا .

ب – الصناعة :

إن إهتمام السيلوقيين بالصناعة لم يكن من أقل من إهتمامهم بالزراعة خاصة وإن لإستقرار عدد كبير من المقدونيين والإغريق تطلب نمطا مختلفا من المنتجات لإرضاء أذواق هؤلاء المستوطنين ، وقد ساعد على تطور الصناعة إزهار الزراعة خاصة الزراعات المتصلة بالصناعة ، وكذلك ظهور الحرفيين والصناع المهرة ضمن المستوطنين الجدد مما أحدث هلينة معينة للبضائع المصنعة وتم تصديرها فى الأساس إلى بلدان يسودها الذوق والعادات الإغريقية .

لقد تم إستخدام نخيل إقليم بابل فى عدد من الصناعات ، كما أن النباتات العطرية و الأشجار مثل شجرة البلسم ونبات الميعة (الإصطرك – العبهر) Storax فى سوريا غدوا صناعة العطور كما أن البترول كان من بين المنتجات المعروفة عند الإغريق فى أشور وبابل . وكان التران المخلوط بالقطران والمستخدم فى وقاية الكروم من الحشرات يصدر من سيلوقية بيرية .

وإشتهرت صناعة المنسوجات فى العديد من المراكز ، حيث إشتهر إقليم بابل وفارس بالمنسوجات الصوفية والكتانية .

كما إشتهرت فينيقيا خاصة صور وصيدا بانتاج المنسوجات المصبوغة بالصبغ الأرجوانى الذى كان يستخرج من صدف الموركس والذى يصف بلينى طريقة إستخراجه من أصداف الحيوان .

كما إشتهرت لآوديكيا وبيبلوس وبيرون وصور وسكيثوبوليس فى وادى الأردن بكونهم مراكز لصناعة الكتان .

كما أنتجت المدن الفينيقية أوانى من الزجاج المقولب للإستخدام المحلى والتصدير ، ويبدو أن أوانى الزهور الزجاجية الجميلة المطعمة بالأحجار الكريمة والتى وجدت فى إقليم كوبان فى جنوب روسيا كانت على الأرجح إبتكار ا سوريا وتم إستيرادهم إلى وادى كوبان من سوريا مباشرة أو فى الأوقات التالية عبر بارثيا .

إن فينيقيا ومصر كانت المراكز الرئيسية لصناعة الزجاج . ومن الصعب القول فى أى من البلدين كانت الصناعة أقدم وما إذا كان قد تم إستعارتها بواسطة واحدة من الأخرى أم تم إختراعها وتطويرها بصورة مستقلة فى كلا البلدين ، ولكن من المرجح أن الآنية الزجاجية المصرية كانت فنية أكثر من الفينيقية .

ويذكر إسترابون أن المادة الخام الرئيسية لصناعة الزجاج وهى الرمل فى كلا البلدين كان يجب أن يتم إمتلاكها فى نفس مكان الإنتاج . وقد إستطاعت إنطاكية منشأة سيلوقس الأول الجديدة أن تخطف بريق الشهرة من مدن فينيقيا (صيدا وصور) فى صناعة الزجاج حيث آلت إليها الصدارة فى صناعة الزجاج وخاصة المطعم منه بالذهب .

وفى القرن الأول ق.م تم الإختراع الخطير المنفوخ ، ومهما يكن المكان الذى تم فيه الإختراع ، فمن المؤكد أن صيدا كانت أحد المراكز الرئيسية لإنتاجه وتصديره وكانت منافسا قويا لمصر .

كانت هناك أيضا مراكز هامة فى الإمبراطورية السيلوقية فى فن النقش البارز على المعادن كبابل وأشور وفينيقيا وأرمينيا وإيران ، إن سوريا السيلوقية كانت منافسا كبيرا للبطالمة فى هذا المجال ، وقد عرض أنطيوخوس الرابع فى موكب دافنى عددا وافرا من الأطباق الذهبية والفضية معظمها بلا شك مصنوع فى إمبراطوريته . لقد ظهر فى الموكب ألف عبد لديونيسيوس السكرتير (حاجب الملك) وصديقه يحملون أوان فضية فى أسهم الملك فى الموكب بستمائة عبد ملكى يحملون أوان من الذهب ومئتى إمرأة ينثرون زيتا عطريا من أباريق ذهبية .

إن أنطيوخوس الرابع كان عاشقا لهذه الصناعة حيث يصف " بوليبيوس " كيف كان الملك أحيانا ينسل خارجا من القصر بدون علم حاشيته ويظهر متجولا فى حى مامن المدينة بصحبة واحد أو أثنين من رفاقه ، وعادة كان يتم إكتشافه قرب ورش صائغى الفضية وصائغى يتحدث بلسان فصيح معربا عن آرائه فى الفن أمام العمال المنهمكين فى صنع النقوش البارزة (على الذهب والفضة) وأمام الصناع الآخرين .

قامت فى المملكة السيلوقية أيضا صناعة أخرى عامة وهى صناعة الرق ، كانت إحدى المحاولات الرئيسية للسيلوقيين أن يحرروا امبراطوريتهم من الإعتماد على الأسواق الأجنبية بخاصة البضائع ذات الضرورة الرئيسية وعلى وجه الخصوص تلك التى يتم إستيرادها من مدن خاضعة للبطالمة ومن الإسكندرية . ولهذا حاولوا التخلص من إحتكار الإسكندرية لورق البردى ، وصنعوا لفات بردى فى بابل من نبات محلى ربما فى وقت مبكر من عصر السيلوقيين الأوائل . ونظرا لأن ذلك لم يكن تحقيقه فى مدن أخرى من

الإمبراطورية حيث يظهر البردى لأول مرة فى ديورايوروبوس تحت حكم الرومان ، لهذا فقد إعتمدت الإمبراطورية إعتمادا أساسيا على إستخدام الرق حيث يتم إعداد جلود الحيوانات للكتابة ، وذلك لتقليل الإستيراد من مصر . ولكن الرق كان غالى الثمن إلى حد كبير ولم ينتشر مثل البردى ويبدو إنه تم إدخاره للكتب القيمة .

وقد تبع إنتشار غرس الكروم فى الإمبراطورية السيلوقية قيام مراكز جديدة لصنع النبيذ كان أهمها فى شمال سوريا حيث إشتهرت لاوديكيا بانتاج أجود أنواع النبيذ وبابل حيث ذكر خايرياس الآثينى * نوعا لذيذا من الخمر البابلى يسميه نيكتار .وكانت الإسكندرية تصر على إحتساء النبيذ السورى مهما تكن المكو س المقررة عليه .

وفيما يخص صناعة الفخار ، إعتمدت الإمبراطورية السيلوقية فى البداية على الفخار الآتيكى المبكر ذى اللمعة السوداء وهو ما يعرف بالأوانى الميجارية وعلى آنية جناثيا المستوردة من جنوب إيطاليا ، وقد تم إكتشاف كميات كبيرة منهم فى أطلال المدن الفلسطينية والسورية والميزوبوتامية ، ولكن سرعان ماحل فخار محلى من نفس الأنواع وأنواع أخرى محل الفخار المستورد . فأنتجت المدن فخارا محليا ذى لمعة سوداء وأكملته بكميات كبيرة ومتزايدة باستمرار من الفخار ذى النقش البارز .

ونظرا لأنه لم تتم دراسة دقيقة للأمثلة السورية من النماذج المبكرة للفخار ذى اللمعة السوداء المعروف بالأوانى الميجارية ، لذا يصعب التمييز بين الأوانى المستوردة والأوانى المحلية ، ولكن روستوفتزف يميل إلى الإعتقاد أن الأوانى الميجارية والشذرات المكتشفة

منهم فى سوريا كلها ذات صناعة محلية ، ومن المحتمل أن بعضها ينتمى إلى القرن الثالث ق . م وأن الإنتاج المحلى للأوانى الميجارية فى سوريا بدأ حالما بدأ فى الإسكندرية أو بعد

ثانياً : الرسوم الجمركية :

إن الضرائب فى الإمبراطورية السيلوقية موضوع غامض ، ومن المرجح أن الضرائب لم تكن متماثلة فى كل ساترابية من الإمبراطورية .

ولكن مما لا شك فيه أن الرسوم الجمركية من التجارة الداخلية والخارجية كانت تمثل إحدى مصادر الدخل الذى تجمعه الدولة للملك فى شكل رسوم جمركية . رسوم موانىء ومدفوعات متعلقة بالأسواق الموسمية للمزارعين والرسوم التى تتم جبايتها عند حدود الولايات . ومن الجدير بالذكر أن كل منطقة فى الإمبراطورية السيلوقية كانت تعتبر منطقة جمركية مستقلة يجبى فى رحابها رجال الملك رسوما على البضائع المستوردة والمصدرة .

ونظرا لصعوبة الإلمام بالضرائب المفروضة عبر الأقاليم المختلفة للإمبراطورية السيلوقية ونظرا لقلة المعلومات المتاحة ، لهذا سأحاول أن أوضح الضرائب المفروضة فى إقليم واحد فقط من أقاليم الإمبراطورية وهو إقليم بابل حيث تمتع هذا الإقليم بمكانة تجارية كبيرة نظرا للطلب الكبير على السلع التى ينتجها الإقليم خاصة المنسوجات المطرزة والأثواب البابلية الجميلة ، بالإضافة إلى أن هذا الإقليم يعد القلب الذى تتلاقى فيه كل شرايين

التجارة ، فقد صنع نهر الفرات طريقا عظيما عبر الصحراء من خلالة اتصلت الأراضى إلى الشمال والغرب مع سوريا وآسيا الصغرى ومصر ، وفى الشرق تمضى الطرق من بابل عبر أشور وخلال عيلام صعودا إلى الهضبة الإيرانية . ومن خلال تلك الطرق صدرت بابل منتجاتها بالإضافة إلى منتجات البلاد الأخرى التى التقت فى سوقها .

إن التعريفات الجمركية فى إقليم بابل كانت تجبى على الأرجح على كل الواردات إلى المنطقة . ومن المرجح أن تلك الرسوم شملت عدد من الضرائب منها ، ضريبة تجبى على الجمال فى القافلة ، وضريبة تجبى على المرافقة خلال الصحراء ، ورسوم ميناء تجمع فى سيلوقية دجله " رسم الباب " وضريبة تفرض على إستخدام نهر الفرات كممر مائى المذكورة فى إحدى ألواح الورقاء الطينية ، وضريبة أساسية تعادل ١٠ ٪ من القيمة على البضائع المستوردة .

إن تجارة التصدير أيضا لعبت بلا شك دورا هاما جدا فى إقتصاد الإمبراطورية السيلوقية ، وأعطت عائدا ماليا كبيرا للملوك وربح وفير إلى عديد من السكان الإغريق .

ومن الجدير بالذكر أن السيلوقيين عملوا على زيادة المبالغ التى يحصلون عليها من تلك الضرائب ، ولهذا عملوا على تسهيل كل أشكال التجارة الخارجية ، وجعلوا مدنهم كإقليم بابل سوقا ونقطة تتلاقى فيها التجارة العابرة (تجارة الترانزيت) ليعاد تصديرها ، وإستفاد السيلوقيون من الموقف بأفضل الطرق من خلال جباية ضرائب على المصدرين ، ولهذا كان من مصلحتهم بالتأكيد الا يتحكموا فى التجارة ولكن بالأخرى أن يضمنوا أنها

تتقدم ولا يعوقها إضطرابات خارجية وأن أى تهديد لذلك النظام يعتبر تهديدا لـذات وجـود المملكة السيلوقية .

وهناك دليل على تعزيز ملوك السيلوقيين للتجارة والتبادل التجارى ، مثل منح الإعفاءات من الضرائب التى منحها سيلوقس الثانى إلى تجار رودس الذيـن أفرغـوا شحنات بضائعهم فى سوريا .

الفصل الخامس

الحياه الإجتماعية فى العصر السلوقى

(أ) - الأسرة

من المعروف أن الأسرة هى اللبنة الأساسية فى تكوين المجتمع ، ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع ، ولكن ليس معنى ذلك أن المجتمع ذاته أسرة كبيرة لوجود فروق شاسعة تميز الأسرة عن المجتمع (١) . والأسرة فى اللغة هى أهل الرجل وعشيرته والجماعة يربطها أمر مشترك (٢)

ويعرف د. مصطفى الخشاب الأسرة بأنها " إتحاد تلقائى تؤدى إليه القدرات والإستعدادات الكامنة فى الطبيعة البشرية النازعة إلى الإجتماع وهى بأوضاعها ومراسيمها عبارة عن مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة والطبيعة التلقائية للنظم والأوضاع الإجتماعية . وهى ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشرى ودوام الوجود الإجتماعى . فقد أودعت الطبيعة فى الإنسان هذه الضرورة بصفة فطرية ، ويتحقق ذلك بفضل اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما الرجل والمرأة " (٣) .

وهناك تعريف آخر للأسرة وهو تعريف " أوجبرن ونيمكوف " " أن الأسرة رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالهما - أو بدون أطفال - أومن زوج بمفرده مع أطفال ، أو زوجة بمفردها مع أطفالها " (٤) .

أما آخر تعريفات الأسرة فهو تعريف " أ . و . بيرجس ، هـ . جـ . لوك " فى كتابها بعنوان الأسرة " . " بأنها مجموعة من الأشخاص ارتبطوا بروابط الزواج ، الدم ، الاصطفاء أو التبنى

---

١ - زيدان عبد الباقى : الأسرة والطفولة ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٩ - ١٩٨٠ ، ص ١ .

٢ - المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية ، جا ، ط ٣ ، ص ١٣

٣ - مصطفى الخشاب : دراسات فى الإجتماع العائلى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١١ .

4 - Ogburn (W .) and Nimcoff (M .) , A H and book of sociology , London 1974 , P . 459 .

Adoption مكونين حياة معيشية مستقلة ، ومتفاعلة ويتقاسمون الحياة الإجتماعية كل مع الآخر ، ولكل من أفرادها : الزوج والزوجة ، الأم والأب والإبن والبنت دورا اجتماعياً خاصا به ، ولهم ثقافتهم المشتركة " (١) .

من خلال التعريفات السابقة يتضح أن الأسرة تتكون من الأب (الزوج) والأم (الزوجة) والأولاد ، وقد تشتمل الأسرة على أخوة الأب وأخواته ووالديه ، كما قد تضم الأسرة الاماء والعبيد الذين يعيشون فى البيت نفسه ، ويعد من الأسرة بعض الأقرباء الذين يتولى الأب اعالتهم واعاشتهم (٢) .

وحسب التقاليد الإغريقية كان رب الأسرة Pater Familias هو الأب لأن الإغريق مثلهم مثل أى شعب كونوا أسرا أبوية الشكل كانت عبارة عن حكومات أو دويلات مصغرة (٣) . وخضعت فيها الأسرة لقانون صارم طبقة ربها الذى هو عادة أكبر أفرادها من الذكور بمقتضى سلطة Potestas تثبت له على زوجته بإعتباره زوجا على أولاده بإعتباره أبا وعلى عبيده بإعتباره سيدا ، فهو رئيس العائلة حتى إذا تزوج دون سن الأبوة ، وكان من حق رب الأسرة وعائلها عدم الخضوع لسلطة شخص آخر (٤) . إذ أنه الأول فى عائلته Princeps Familius وسيد البيت Οικοδεσποτης وتبقى سلطته ما دام حيا . (٥) . وليس هناك حدود لنفوذه إلا بمقتضى العرف

---

1 - Burgess (E . W . .) and Locke (H . J .) : The Family , N . g 1953 .

* - نقلا عن زيدان عبد الباقى : الأسرة والطفولة ، ص ٧ .

٢ - عامر سليمان : العراق فى التاريخ ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ١٨٨ .

3 - Cary (M .) and Hoarhoff (T .) , Life and Thought in the Greek and Roman world , 5 the ed ., London 1951 , P . 142 .

4 - Berger (A .) , Encylopedic dictionary of Roman Law ist ed ., New york 1953 , P - 260 .

5 - Crook (J .) , Patria Potestas . CO 17 ,1967 , P . 113 .

والتقاليد الإجتماعية حيث شبهها البعض بسلطة الـ imperium (١) .

وكان الأب هو المسؤل عن الأسرة ، وهو المعبود الداخلى والراعى الذى عليه تعتمد الأسرة ، وهو الضامن لبقائها حيث أن السلالة تنحدر منه (٢) .كان الإغريقى مجرد وصى على أولاده حتى يبلغوا أهليتهم ، (٣) . ورقيب على الأملاك . حيث أن السلالة تنحدر منه (٤) .

حيث قيد القانون حق الأب الإغريقى الجنسية فى التصرف فى هذه الأملاك إذ أنه لم يجزله إلا إدارتها فحسب ، ولكن ريثما يبلغ أولاده من سن الرشد يسقط أى حق له عليهم ius Vitae . et necis

وكان الوصى فى لغة البردى اليونانى يسمى Kupios أو Επιτροπος أو φροντιστης مع ملاحظة أن الإصطلاح الأخير نادر الإستعمال بالنسبة لسابقيه وقد حدد الفقيه Rufas وهو الذى نقل عنه جستنيان فى تعننة مفهوم الوصاية ومضمونها وحدودها بأنها (٥) : -
الولاية على شخص حر قاصر وفقا للقانون الأهلى والزود عنه وحراسة أملاكهوأمواله ومراقبة سلوكه وأخلاقه . وكان الوصى الطبيعى دون منازع هو رب الأسرة Pa ter Familias الذى له السلطة الأبوية Patria Potestas على جميع أفراد هما من زوجة وأبناء وعبيد وأملاك .

وحسب التقاليد الشرقية كان المسئول الأول عن الأسرة هو الأب وكان يتمتع بجميع الصلاحيات والسلطات الخاصة بشئون البيت ، وكان مسئولاً عن إعالة أفراد الأسرة وتوفير

---

1 - Cary (M .) and Haarhoff (T .) , op - cit ., P Loc cit .
2 - F . de Coulanges , La Cite Aneique , Paris 1942 , P . 93 .
3 - Crook (J .) , op - cit ., loc . cit .
4 - Jbid .
5 - Berger (A .) , op . cit . P . 747 .

المأكل والمشرب والملبس . (١) . ويأتى فى المرتبة الثانية بعد الأب (الزوجة) وهى مسئولة من إدارة شئون البيت وتنظيمه وتنسيقه ورعاية الأولاد ، وكان لها تأثير كبير فى تربية الأولاد على الإناث أكثر من الذكور (٢) .

أولاً : مراحل تكوين الأسرة

لكى يقيم الرجل أسرة له فكان ينبغى أن يتزوج بإمرأة لتنجب له أطفال ، وكان هناك عادات وتقاليد للزواج ، وكان أساس الزواج فى المجتمع هو احادية الزوجة Monogamy (٣) ، فليس للرجل أن يتزوج بإمرأة ثانية إلا فى حالة معينة مثل مرض الزوجة ، مرضاً غير مأمول شفائها منه أو عدم انجابها الأطفال أو إنكارها أو إنقاصها من قيمته وعدم إطاعة أوامر زوجها (٤) .

ويعرف الزواج بأنه " اعلان عن اقرار للإرتباط بين رجل وامرأة شرط أن يتحملا معا مسئولية هذا الإرتباط وما يترتب عليهما من واجبات تبعا للتقاليد والقوانين ، وكان الزواج خطوة لازمة وحتمية تسبق تكوين الأسرة " (٥) والزواج عكس العزوبة ، وكانت العزوبة محرمة عرفا فى اليونان ، وكثيرا ماحرمت بقانون خاص ، حيث أنها كانت تعد فسوقا وبعدا عن التقوى (٦) .

ولم يكن الدافع على الزواج عند الإغريق هو إشباع عاطفة الحب أو الغريزة الجنسية ، وانما

---

١ - عامر سليمان : المرجع السابق ، ص ١٨٩ ..

٢ - عامر سليمان : نفس المرجع ، نفس الصفحة .

٣ - ثلما ستيان عقبراوى : المرأة دورها ومكانتها فى حضارة وادى الرافدين ، رسالة ماجستير كلية الآداب . جامعة بغداد ١٩٧٥ ، ص ٥٣ .

٤ - عامر سليمان : المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

٥ - ثلما ستيان عقراوى : مرجع سابق ، ص ٥٥ .

٦ - ألفرد زيمرن : الحياة

هو الضرورة المحتومة للحفاظ على السلالة بإيجاز الذرية الشرعية (١) . ذلك أن الإنسان بوصفه عضوا فى جماعة متعاقبة تخضع لسن الحياة والفناء كان عليه أن يحرص على إستمرار هذه الجماعة والعمل على ألا تنتهى عنده . ومن هذا المنطلق كان من واجب الإغريق الحرص على عدم فناء أسرته ومن ثم فإن الزواج كان أول نظام إجتماعى انبثق عن الديانة الأسرية أى المنزلية (٢) . ولم يكن الزواج يتم فى معبد وإنما فى المنزل (٣) . ، اعتقاداً منهم أنه كان يرعاه ويباركه معبود الأسرة - عبادة السلف - وليس أرباب الأوليمب (٤) . ولكن الخطوات التى كانت تتبع فى الزواج عند سكان الدولة السلوقية ؟

كانت هذه الخطوات تتضمن : -

١ - الخطوبة .

٢ - عقد القران .

٣ - احتفالية الزفاف .

٤ - بيت الزوجية .

٥ - هدايا الزواج .

٦ - تعدد الزوجات .

٧ - زواج الأخ من أخته .

---

1 - Durant (W .) , The Life of the Greece , ist ed ., New gork 1939 , P . 303 .
2 - Cou langes (F .) , op . cit ., PP . 41 - 49 .
3 - Jbid ., P - 43 .
٤ - زينب محمد توفيق : الزواج عند اغريق مصر فى عصر الرومان ، دراسة وثائقية ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٢ . ص ٥٨ .

١ - الخطوبة :

وسيتم تناولها من خلال العادات والتقاليد الإغريقية وكذلك من خلال عادات وتقاليد المجتمع الشرقى خاصة مواطن الدولة السلوقية من أهل البلد الوطنيين . وحسب العادات والتقاليد الإغريقية .

وكان إتمام الزواج فى أثينا يقتضى منذ القرن الخامس ق .م على الأقل اتخاذ إجرائين (١) كانا معروفين من قبل ، فقد شاع أحدهما εγγιησις فى إيونيا (٢) . حيث كان يتم فى دار والد العروس ، وعرف الآخر εκδοσι فى ليديا (٣) حيث كان يتم فى بيت العريس .

ويعرف أحد الإجرائين الأتيكيين بإصطلاح εγγιησις ، ويختلف المحدثون فى تفسيره . ذلك أن بعضهم يعتبره احتفالا عند " موقد أسرة الزوجة " (٤) . وهو عند البعض الآخر عقد ابتدائى بمقتضاه يرهن العريس نفسه لصالح عروسه ضمانا لشرعية الزواج (٥) ورد البائنة .ويرجح ثالث أن هذا الإجراء كان عقدا يخرج منه الزواج اى أنه كان اجراء يرتب زواجا كاملا وتاما (٦) ، بمعنى انه لم يكن مجرد اتفاق شكلى بل الضمان الذى يؤكد " تسليم العروس " - وهو الإجراء الآخر - إلى زوجالمستقبل . ويرى اغريق رابع أنه من العسير الجزم بما إذا كان

---

1 - Coulanges (F .) , op . cit ., loc . cit ., Durant (W .) . op . cit ., P . 304 .
2 - Tou benschlang (R .) the Ancient Greek - City Laws in Pto lemaic Egypt , Actes du ve Congress internat -ional de popyrologie , Bruxlles 1938 , P - 479 .
3 - Jbid .
4 - Coulanges (F .) , op . cit ., PP . 43 - 4 .
5 - Bozza (F .) , JI matrimonio nel diritto attico , Roma 1934, PP . 15 , 21 .
6 - Wolff , Written and unwritten Mariage in Aellenistic and post classical Roman Law . Amer . Philol . Ass . 1939 , PP . 77 - 9 .

هذا الإجراء " خطبة " أم عقد الزواج نهائى (١) . ويعتقد خامس أن هذا الإجراء كان بمثابة تمهيد للزواج أى خطبة (٢) . ويؤكد باحث سادس ذلك الرأى مشيرا إلى أن المرأة التى كان يتم زواجها إبتدأ بطريق هذا الإجراء تعرف بأنها " γονη εγγοητη " (٣) .

وتميل زينب محمد توفيق (٤) . إلى إعتبار الإجراء السابق وهو " εγγυησις " بمثابة خطبة . وقد كان هذا الإجراء أو الخطبة تتم فى بيت والد الفتاة حيث يقوم هو أو الوصى عليها بتقديم الدوطة (٥) . للعريس فى حضور الشهور (٦) ، ومن الغريب أن تواجد العروس نفسها أو قبولها لم يكن أمرا ذا بال (٧) . وكثيرا ما كانت الخطبة تتم قبل أن يبلغ العريسان سن الرشد ، بالنسبة للفتى وهو عند بلوغه ١٨ عاما ، وبالنسبة للفتاة عند ١٥ عاما (٨) .

ولم يكن الزواج ليصبح شرعيا صحيحا حسب مواد القانون الأثينى (٩) . دون ان يتم ابتداء اتخاذ مثل ذلك الإجراء (١٠) . إذ يبدو وأنه وفقا لأعراف الزواج الأتيكى كان هذا الإجراء

---

1 - Oxford classical dictionary , Ist ed ., London 1949 , P . 539 .
2 - Durant (W .) , op . cit ., P . 304 .
3 - Gould (J . P .) , Law , custom and myth : Aspects of the Social position of women in classical Athens , J . H . S . 100 , 1980 , P . 41 .

٤ - زينب محمد توفيق : مرجع سابق ٢ ص ٦٠ .

5 - Oxford classical dictionary , P . 136 ; wolff , op . cit ., P . 79 .
6 - Durant (W .) , op .cit ., loc . cit .
7 - Oxford classical dictionary , P . 539 .
8 - Rachet (M .) , Dictionnairede la civiliz ation Grecque , le ed ., paris 1968 , PP - 159 - 60
9 - Wolff , op . cit ., PP - 31 , 46 .
10 - Durant (W .) , op . cit ., loc . cit .

خطوة أولية أساسية (١) . وأما الإجراء الأتيكى الآخر - وهو الذى كان لا بد أن يعقب الإجراء الأول - فإنه يعرف بإصطلاح εκδοσις (٢) .

أما الخطبة حسب التقاليد الشرقية : كان مهمة اختيار الفتاة المناسبة للإبن مهمة الوالدين وكانا مسئولين عن مهمة إكمال مراسيم الخطوبة والزواج ، وكانت موافقة والدى العروس وكذلك والدى العريس شرطاً أساسياً فى إتمام الزواج (٣) .

وكان والد الخطيب يؤدى يمينا أمام عدد من الشهود ويخاطب والد العروس قائلا ما مضمونه : " عسى ان يتزوج ابنى ووريثى الشرعى (اسم الخطيب) من (اسم الخطيبة) ابنة (فلان) " (٤) .

وعندما يتم الإتفاق بين والدى العريسين ، يحضر العريس الهدايا إلى بيت العروس ، ثم يلتقى العريس مع عروسه وتخاطبه بكلمات معينة يُفهم منها موافقتها على قبوله زوجاً لها ، ويؤدى الزوج القسم ، ويرفع قلنسوة عروسته ويضعها على رأسه كإثبات على إحترامه لها (٥) .

وكانت الهدايا التى يقدمها الخطيب إلى خطيبته بعد الخطوبة مباشرة عبارة عن فاكولات ومشروبات وملابس وحلى (٦) .

---

1 - Preawx , Les Fonctions de droit dans la comedie nouvelle , aprapos du Dyscolos de Menamdre , Chron . Eg - 35 , 1960 , P - 224 .

٢ - سيتم الحديث عنه فى الزفاف ص .

٣ - عامر سليمان وآخرون : العراق فى التاريخ ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ١٩٠ .

٤ - ثلما ستيان عقراوى : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

٥ - ثلماستيان عقراوى : مرجع سابق ، ص ٧٨ .

٦ - عامر سليمان وآخرون : مرجع سابق ، ص ١٩١ .

٢ - عقد القران : -

كان عقد القران يتميز عن المعاشرة - حسب التقاليد الإغريقية - بوجود عقد زواج مدو
(١) ، فقد ذكر بوليبيوس وجود مثل هذه الوثيقة فى اعقاب زواج بطلميوس الخامس وكليوبا
إبنة انطيوخس الثالث (٢) .

وكان الزواج ينظم فى وقت مسبق من الزفاف (٣) وكانت شروط الزواج تختلف من ح
لأخرى ، كما كان عقد الزواج يتضمن نوعين من البنود : -

أ - بنود عامة ب - بنود خاصة .

أ - بنود عامة :

وكان أبرز هذه البنود بند المهر (٤) . أو (البائنة = الدوطة) وتذكر المصادر أن برنية
حملت معها من مصر مهراً كبيراً جدا تراوح بين دخل جوف سورية وملكية جوف سو
نفسها (٥) . لدرجة أن البعض حرفوا اسم الملكة إلى Phernephoros أى حاملة البائنة أو جال
المهر (٦) .

وكان يوجد لدى الإغريق نوعين من العقود : أولها عقود الإتفاق Syngraphai homologias
وكانت تقابل الخطبة وتقديم الصداق (٧) . وكانت هذه العقود خاصة ببيان الصداق وإقرار

Bikermann (E .) , Institutions des seleucides , paris 1938 , P . 25 .
Polybius , XXV III, 20 , J .
Biker mann (E .) , op . cit .. P - 28 .
Biker mann (E .) , op . cit .. P . 25 .

٥ - غاده محمد على : مصاهرات ملوك البطالمة ، رسالة ماجستير غير منشورة آداب المنيا ١٩٩٥ ، ص ٣٣ .

١١ - ١٠ والمكابيين الأول مفيد رائف العابد : سورية فى ; Biker mann (E .) , op . cit ., PP - 25 - 6
عصر السلوقيين ، دمشق ١٩٩٣ ، ص ١٧٤ .

٧ - زينب محمد توفيق ، مرجع سابق ، نفس الصفحة .

الزوج بإستلامه والظروف التى يتعين عليه رده فيها . وثانيهما : عقود المعاشرة Syngraphai Synoikisiou وهى وثائق تشهد بقيام الحياة الزوجية وتنظم العلاقات المادية (١) ، وكانت أهم اركانه النص على أن والدى العروس بأنهما قد زوجاها للعريس (٢) .

كما يتضح من العقود الإغريقية أن المهر كان يتألف عادة من مبلغ من المال ، أو من ملابس وحلى ، أو فى بعض الأحيان منهم جميعا ، أى من ملابس وحلى ومبلغ من المال . ويتضح أيضا أن ملابس وحلى الزوجة كانت تتكون من نوعين : النوع الأول : كان يعتبر جانبا من أملاك أسرتها بسبب قيمته الكبيرة . ويمثل المهر أو جزءٌ منه ، وإذا مسه أى سوء أو نقص أو تلف كان الزوج مسئولاً عنه ، أما النوع الثانى : Parapherna كانت تستخدمه الزوجة فى حياتها اليومية ، ويعتبر أقل قيمة ويعتبر ملكاً خاصاً بها ، كما أنه لم يعتبر جزءاً من المهر وكان الزوج لايحاسب عليه (٣) .

ب - البنود الخاصة

وهى عبارة عن كتابة عقد خطى يتضمن إضافة إلى البنود العامة فى عقود الزواج بنوداً خاصة ، ففى عقد زواج انطيوخس الثانى وبرنيقى ابنة بطلميوس الثانى ، اشترط ان يكون اولاد برنيقى من هذا الزواج ورثة العرش الملكى (٤) .

وكان بعض الملوك يتعمدون غموض البنود الخاصة بالبائنة الواجب تقديمها عند الزواج ، مثل تضمن بائنة قطعة كبيرة من الأرض أو اقليما بكامله (٥) ، وتذكر المصادر حدثين جـــرى

---

1 - Oxford classical dictionary . P. 539 .
2 - Wolff , op . cit ., PP . 15 FF .
٣ - ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، جـ ٤ ، ص ١٧ .
4 - Cary (M.) and Ttaarho FF (T.) , op . cit ., 25 .
٥ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ١٧٦ .

فيهما التنازل عن أراض كجزء من مهر العروس : الحادث الأول هو الخلاف الذى نشب بين " ميثريداتس العظيم ملك البونتوس " فى آسيا الصغرى ، حينما ادعى أن " سلوقس الثانى " أعطى " ميثريداتس الثانى " (١) . والحادث الثانى هو الخلاف الذى نشب بين " أنطيوخس الرابع " والبلاط البطلمى عما إذا كان والده " انطيوخس الثالث " قد أعطى إقليم جوف سورية مهر إبنته بمناسبة زواجها من بطلميوس الخامس (٢) .

وكان الزوج يعطى إيصال بإستلام المهر لوالدى الزوجة أو للزوجة نفسها ، وكان يعتبر المهر ملكا خاصا للزوجة وأسرتها يرد إليها إذا طلقت ويؤول بعد وفاتها إلى ورثتها (٣) . كما أن القاعدة العامة تنص على أنه يحق لكل من الزوجين ان يرث الآخر . وكان القانون يعطى الزوجة وأهلها حق الرجوع على أملاك الزوج وشخصه فى حالة عجزه عن رد الصداق وفى بعض الأحيان ، كانت الوجة تملك قبل الزواج أملاكا أخرى كالعبيد أو العقار ، أو منذ الزواج ويكون ذلك بسبب تقديم أحد أقاربها لها هدية (٤) .

٣ - احتفالية الزفاف :

وأما الإجراء الأتيكى الثانى - وهو الذى لابد أن يعقب الإجراء الأول - فإنه يعرف بإصطلاح εκδοσις ، ولا خلاف فى انه كان عبارة عن توصيل العروس إلى دار الزوجية (٥) ، أو بعبارة أدق " تسليمها للزوج " (٦) . وقد كان تسليم εκδοσις العروس لعريسها عادة هيلينيـــة

---

1 - Bikerman (E .) , op . cit ., P - 29 .

٢ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، نفس الصفحة .

٣ - ابراهيم نصحى ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

٤ - المرجع السابق ، ص ١٨ .

5 - Coulanges , op . cit ., P [illegible] .

6 - Oxford classical dictionary . P . 5[illegible] .

نشأت من الأفكار التى واكبت أقدم أساليب الزواج عند الإغريق حيث كان العريس يتباع عروسه من أبيها أو الوصى عليها بما يقدمه من هدايا شينة (١) . وكان على الأب أو الوصى أن يضع الفتاة عند الزوج حيث يمارس سلطته عليها (٢) .

وفى القرن الخامس عندما استبدل بهذا التقليد تقليد آخر (٣) ، أصبحت العروس بمقتضاه هى التى تقدم للعريس بائنة fspiy - على الأخص فتيات الأسر الفنية (٤) ثم يقوم أبوها أو من له السلطة potestas عليها بتسليمها εκδοσις للزوج دون ان يتكبد الأخير أية هدايا عرس εδνα (٥) .

ومنذ عهد صولون على الأقل كان الأبناء ثمرة زواج يتم بطريق الخطبة والتسليم على التوالى ، يعترف بهم أبناء شرعيين (٦) . ومن هذا المنطق يمكن اعتبار الإجرائين وجهين لعملة واحدة حصيلتهما معا " زواج صحيح قانونى " (٧) ، ومعنى ذلك أن إتمام الزواج فى أتيكا كان يقتضى على الأقل منذ القرن الخامس ق .م اتخاذ الإجرائين اللذين سبق ذكرهما . ومما له دلالته فى أسبرطة ، كان يتبع أيضا إجراءات لإتمام الزواج مع تحريم البائنة بنص القانون (٨) . ولكننا لا نعرف بالضبط الإصطلاحين اللذين كان يعرف بهما هذان الإجراءان هناك .

---

1 - Snodgress (A .) , An Hisyorical Homeric Society . J . H . S . 94 , 1974, P . 115 ; Durant (W .) , op . cit ., P . 50 ; Oxford classical dictionary , P - 539 .
2 - Wolff , PP - 81 - 2 .
3 - oxford classical dictionary , coc . cit .
4 - Carg and Ttaarhoff, op . cit ., P - 144 .
5 - Snodgress (A .) , op - cit ., loc . cit . .
6 - Wolff , op . cit ., P . 31 .
7 - Wolff , op .cit ., PP . 27 - 8, 79 .
8 - Seyffertlo .) , Adictionary of classical antiquities 4 the ed ., New york 1958 , P . 377 .

وإذا كان الـ εγγσηὶσις شائعا فى ايونيا ، والـ εκδοσις فى ليديا ، فهل بالرغم من الصلة الوثيقة بين أثينا وأيونيا وصلة الجوار بين ايونيا وليديا كان أحدُ هذين الإجراءين هو الإجراء الوحيد لإتمام الزواج ؟ ولما كان هناك تشابه وتماثل فى نظام الزواج من حيث اتخاذ إجرائين فى كل من اثينا واسبرطه – برغم ماكان بينهما من فوارقَ حضارية عميقة – أليس من الجائز ان الجماعات الإغريقية على أختلاف نحلها سواء أكانت أيونية أم دورية أم أيوليه أم سلوقية – طبقا انظرية التأثير والتأثر فى تكوين قوانين كل من مدينة اغريقية (١). كانت فى الغالب تتبع إجرائين لإتمام الزواج الإغريقى مع اختلاف الأهمية التى تعلقها كل جماعة على هذا الإجراء أو ذاك .

وفى يوم الزفاف ، كانت العروس تغتسل وتعطر جسدها وتتزين بإرتداء أجمل الملابس لكى تكون على آهبة الإستعداد لإستقبال عريسها الذى كان يقوم بطقوس سكب الزيت على رأس العروس أمام عدد من الشهود ، وبعد ذلك يقوم أهل العروس بإعداد وليمة وتقدم للحضور ، وكانت هذه الوليمة تحتوى على معظم المأكولات والمشروبات التى أحضرها العريس ، وكان يدعى للحفل عدد من الأقارب والأصدقاء والجيران (٢) وتذهب العروس إلى بيت زوجها المقبل فى احتفال مهيب (٣) . ولا تعطينا المصادر وصف لهذا الحفل ، ولكن كان والد العروسة يرافق إبنته (العروسة) إلى عريسها بعد اتفاق الطرفين (٤) على عقد المعاشرة وهو الإجراء الثانى الأتيكى المعروف بإصطلاح " توصيل العروس إلى دار الزوجية " εκδοσις (٥) .

---

1 – Taubenschlang (R .) , op .cit ., P - 377 .

٢ – ثلماستيان عقراوى : مرجع سابق ، ص ٧٨ .

3 - Bikerman (E .) , op - cit ., P - 26 .

٤ – مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

5 - Coulanges , op cit ., P 64 .

أما بالنسبة لزوجات الملوك فإن العروس لا تصبح ملكة إلا بموجب وثيقة خاصة صادرة عن الملك ولا علاقة له بإحتفالات الزواج (١). فتذكر إحدى الوثائق اسم (آباما) وتعريفها بأنها زوج الملك سلوقس، ثم تذكرها بعد ذلك الوثائق بإسم الملكة أباما (٢). ومعنى ذلك أنه بعد زفاف زوجة الملك تحصل على لقب ملكة بموجب مرسوم يصدر عن الملك الزوج. والدليل الآخر الذى يؤكد إعلان زوجة الملك بعد زواجها ملكة هو زواج انطيوخس الثالث من لاوديقى ، فقد تزوجها فى مدينة سلوقيه على نهر الفرات وأعلنها ملكة فى انطاكية (٣).

٤ - بيت الزوجية :

وكانت مراسيم الزفاف تتضمن خروج العروس من بيت أبيها إلى بيت الزوجية ، وبعد حفل زواجها تحمل إضافة إلى اللقب الملكى لقبا فخريا هو " أخت " (٤) ، ويسمح لها بإرتداء الذى الملكى ، وكان يوضع تحت تصرفها " بيت الملكة " وحراس وطبيب خاص وخصيان وخدم (٥) ، وتختار لنفسها من أزواج وبنات رجال الحاشية وصيفات ، وكانت مهمتهم مسامرة الملكة (٦).

أما المتبع عند السكان الوطنين فى الدولة السلوقية وخاصة عند معظم سكان الرافدين أن تنتقل الزوجة إلى بيت حميها. وفى حالة خروج الزوج فى عمل تجارى أو حربى ، أو فى حالة وفاته ، فكان ينبغى على الزوجة أن تظل فى بيت والد زوجها ، وخاصة عندما يكون لها أطفال

---

1 - Bikerman (E .) , op .cit ., Loc - cit .
2 - Holleau (M . H .) , Etudesd' Histoire Hellenistique , la clause territoriale du traite d' Apame R , E . G . XLV , Paris 1932 , P . 6 .
3 - Polybius , V , 43 , 4 .
4 - Holleau (M .) , B . C . H , 1930 , P - 261 .
5 - Livy , XXXV , 15 , 4 .
6 - Bikerman (E .) , op .cit ., P . 26 .

، وفى هذه الحالة يعتبره والد زوجها مسئولا عن توفير الطعام والشراب والملبس لها ولأولادها (١) . وفى حالة إذا ماكان الزوج استقل فى حياته عن والده واخوته ، فكان يوفر لزوجته مسكن خاص وتصبح هى المسئولة عن تدبير اموره حتى لا يضطرها إلى الخروج من البيت (٢) .

٥ - هدايا الزواج :

وكانت هدايا الزواج فى المجتمع السلوقى تتمثل فى منح الملك هدايا للملكة على شكل قطع من الأرض تتصرف بريعها وفى بعض الآحايين بالأرض نفسها . منها هو أنطيوخس الرابع أهدى ملكية مدينتين إلى إحدى خليلاته ،(٣) كما منح الملك انطيوخس الثانى أملاكا إلى زوجه الأولى لاوديقى (٤) ، ويظهر أن الملكة كانت تصدر أمر تكليف لأحد أفراد حاشيتها بإدارة أملاكها لحسابها (٥) .

أما بالنسبة للمواطنين فكانت هدايا الزواج عبارة عن أموال منقولة وأموال غير منقولة ، وتمثل نصيب الفتاة فى ميراث أبويها ، وللزوجة أن تحتفظ بهذه الهدايا فى جميع الظروف ، وفى حالة إذا ما توفيت عادت إلى ابنائها من بعدها ، أو والديها إن لم تكن انجبت (٦) .

كما كان يوجد هناك هدايا أخرى يقدمها الزوج لزوجته غير المهر بعد انتقالها إلى بيت الزوجية مباشرة وتبقى هذه الهدية أيضا من حق الزوجة . كما أن من حق الزوج أن يوصى بجزء من أملاكه إلى زوجته (٧) .

---

١ - ثلماستيان عقراوى . مرجع سابق ، صص ٥٨ - ٥٩ .

٢ - المرجع السابق ، ص ٥٩ .

٣ - المكابيين الثانى : ٤ ، ٣٠ .

4 - Welles (B .) , Royal Carrespondes in the Hel - enistic period , prague 1934 , 18 .

٥ - مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقيين ، ص ٢٩ .

٦ - عامر سليمان وأخرون ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

٧ - المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

٦ - تعدد الزوجات : -

كان القانون الإغريقى لا يبيح تعدد الزوجات طبقا لما أورده هيرودوت فى منتصف القرن الخامس ق . م (١) . وإذا كنا نجد على مستوى الآلهة أن زيوس رب أرباب الأوليمب كان يوصف بأنه مزواج (٢) . فإنه على مستوى البشر كان الهلينيون يعتقدون أن إتخاذ زوجة واحدة يميزهم عن غيرهم من الشعوب البربرية (٣) ، مثل الطرواديين (٤) حيث كان لدى برياموس زوجتان شرعيتان هما " هاكوبا " - الأم الثكلى كما صورها هومير - ثم " لاوثوى " (٥) . لذلك كانت القاعدة الأساسية عند الهلينيين هى الإكتفاء بزوجة واحدة ، ويؤكد هذه القاعدة " منلاوس " أحد أبطال الإليادة لهوميروس الذى فضل إنجاب ولد يرثه من جارية يملكها خيراً من اتخاذ زوجة ثانية بجانب " هيلينى " التى بدا واضحا أنها لن تنجب أو ليس بإستطاعتها ذلك بعد هريون (٦) .

غير أنه بعد كارثة صقيلة ٤١٥ - ٤١٣ ق.م وهى التى خسر فيها الاثينيون بخسائر فادحة من الرجال والعتاد ، سمح القانون الاثينى للمواطن بالجمع بين زوجتين (٧) . ويعتقد أحد المؤرخين (٨) ان ذلك لم يكن سوى بمثابة السماح قانونا بإتخاذ الخطيات إذ أن تشريع

---

1 - Herodot , 11 , 92 .

٢ - عبد اللطيف احمد على : التاريخ اليونانى ، جـ١ ، ص ٢٢٩ .

3 - Oxford classical dictionarg , P . 539 .
4 - Snodgrass (A .) , Op . cit ,. P . 120 .
5 - Rachet , op . cit ., P . 158 .
6 - Snodgrass (A .) , op. cit ., P - 119 .
7 - Durant , op cit ., P - 304 .
8 - Jbid.

دراكون عام ٦٢٠ ق.م كان قد سمح بذلك ، ويضيف صاحب الرأى قائلا أن الزوجة الأولى كانت تقبل بوجود أخرى لعلها أن الوقت لن يطول ولن يستمر الوضع على ذلك قبل أن تتحول غريمتها إلى جارية بالبيت .

حسب العادات والتقاليد الإغريقية (١) ، كان الملوك السلوقيون لا يتخذون أكثر من زوجة واحدة (٢) ، وحينما تزوج سلوقس استراتونيقى استبعد أباما من الصورة الملكية طبقا للعرف المقدونى من حيث عدم اتخاذ أكثر من زوجة فى وقت واحد (٣) .وان كان معظمهم يتزوجون أكثر من مرة (٤) ، منها هو ديمتريوس بعد هزيمته على يد الفرثيين وأسره تزوج امرأة فرثية وبقيت كليوباترا زوجته الأولى معتصمة بسلوقية (٥) .

وكان بعض الملوك السلوقيين فى حالة عدم زواجهم أكثر من مره يتخذون مخطيات لمتعتهم مثل مخطية انطيوخس ابيفانس (٦) . التى مُنحت سلطة ملكية على طرسوس ومدينة أخرى فى قيليقيا مما أدى إلى نقمة سكانها (٧) .

ومن المعروف أن نظام المخطيات concubinatus كان مسموحا به أيضا فى البلاد الأم وفقا لقانون دراكون ، وكان يطلق على هذه الخطيه Concubina لقب صديقة amica . وقد قال

---

1 - E[illegible]gerton , notes on Eg . marriage chieflyin the ptol period , P . 23 .
2 - Bevan (E .) , the house of seleucus , vol . 2 . P . 279 .
٣ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٤٤ - ٤٥ .
٤ - المرجع السابق ، ص ١٧٣ .
٥ - هارفى بورتر : موسوعة مختصر التاريخ القديم ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٢٣١
6 - Bevan . op - cit ., loc cit
٧ - المكابيين الثانى ٤ : ٣ .

الشعراء " أن الزوجات لإنجاب الذرية والخطيات لصحة أبداننا " (١) . وكان هذا النظام له مقومات الزواج سوى عدم وجود الشرعية ، وكان أهم ما يميز هذا النظام أو تلك العلاقة هو عدم تعدد الخطيات بالنسبة للرجل ، وعدم تعدد العشاق بالنسبة للخطية وبالرغم من أن أباطرة العصر الباكر لم يحرموا تلك العلاقة إلا أن قسطنطين - القرن الرابع الميلادى - اعتبره ثمرة العلاقة أطفالا شرعيين ، ثم بعد ذلك تحولت العلاقة نفسها إلى زواج شرعى بفضل الإمبراطور جستنيان (القرن السادس) اذا تعلق الأمر بامرأة من الحرائر ليتسنى لها أن تعيش حياة كريمة ، وبشرط أن يعلن الطرفان خلال وثيقة مكتوبة وأمام عدد من الشهود أنهما يعيشان من هذه الحياة concubinatas برغبتهما المشتركة (٢) .

٧ - زواج الأخوة والأشقاء : -

من المسلم به أن زواج الأخوة والأشقاء كان غير مباح بين الإغريق ، (٣) ويرجع هذا إلى العادات الإغريقية التى كانت تعد زواج الأخ من اخته الشقيقة فسقا فى نظر الإغريق ، بالرغم من ان الإله زيوس والإلهة هيرا (Hera) لم يتقيدا بهذا القانون البشرى (٤) . كما أن المشرع صولون قد أباح منذ القرن السادس ق . م زواج الأخوة غير الأشقاء وحظر زواج الأخوة الأشقاء (٥) .

---

1 - Berger , op . cit ., PP . 402 , 415 .
2 - Jbid ., PP - 479 , 616 ; Durant , op . cit ., P . 304 ; Oxford classical dictionary , P . 540 .
٣ - زينب محمد توفيق : مرجع سابق ، ص ٧٨ .
٤ - ابراهيم نصحى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٠٣ .
5 - Budge (W .) , AHistory of the Egyptian people , 2 nd ed ., London 1923 , P . 204 .

وكانت عادة الزواج بالشقيقات فى المجتمع السلوقى نادرة الحدوث (١)، وكان الإستثناء الوحيد فى هذا الموضوع هو لاوديقى إبنة انطيوخس الثالث التى تزوجت اثنين أو ثلاثة من أشقائها (٢). ويرجع بيفن ذلك إلى أن لاوديقى قد تكون أخت من أحد الوالدين فقط (٣)، وفى هذه الحالة يتفق رأى بيفن مع تشريع صولون الذى أباح زواج الأخوة غير الأشقاء

ولكن حدث تطور عندما تزوج الملوك السلوقين من أميرات بطلميات، إذا قامت هؤلاء الأميرات البطلميات بإدخال بعض الاعراف الاخلاقية الخاصة ببلاط الإسكندرية إلى العائلة السلوقية، وعلى رأس هذه العادات والتقاليد عادة الزواج بالأشقاء أو الأخوة (٤).

وعلى هذا تزوجت كيلوباترا ثيا أخويها ديمتريوس الثانى وانطيوخس السابع يورجيتيس الملقب بسيديتيس Sidetes (٥). كما تزوجت كليوباترا سيلينى من اخويها انطيوخس الثامن وآخيه لأمه، وبعد ذلك تزوجت انطيوخس التاسع وأخيرا انطيوخس العاشر (٦).

ويرى " و. تارن " (٧) ان عادة زواج الأخ من أخته الشقيقة ترجع إلى نظام اجتماعى يسبق العهد الآرى قوامه نظام الأمومة، وهو فى الأصل عبادة ربة الخصب العظيمة بآسيا والرب الذى كان فى نفس الوقت إبنا لها وزوجا، ويؤكد رأيه بعدد كبير من الآسر المالكة بغربى آسيا

---

1 - Bikerman (E .) , op .cit ., P - 24 ; Bevan , op . cit ., loc . cit .
2 - Bikerman (E .) , op . cit ., P . 25 ; Thomson (G .) . studies in Ancient Greek society , P . 162 .
3 - Bevan (E .) , op .cit ., Loc . cit .
4 - Bikerman (E .) , op . cit ., P . 25 ; فيليب حتى : سوريه ولبنان وفلسطين، ص ٢٩٠ .
5 - Bevan (E .) , syria and the Jews , C .A . H vlll . P . 429 .
6 - Bikerman (E .) op . cit ., loc . cit .
7 - Tarn (W .) , op . cit ., P . B 8 .

- ومن أشهر الأمثلة على ذلك أسرة ماوسوللس moussollus بكاريا - التى لعلها هى السبب فى أن ملكات السلوقيين ومن بعرهم النبط (١) كن يلقبن رسميا بلقب الأخت .

ثانياً : أنواع الزواج

كان يوجد نوعان من الزواج ، أحدهما زواج كامل برضى الطرفين وآخرها الزواج السياسى .

١ - الزواج الكامل برضى الطرفين : -

وكان هذا النوع من الزواج هو المنتشر فى معظم العصور ، ويتم هذا النوع من الزواج بطريقتين (٢) :

أ - بعقد عرفى : أى بعقد رضائى مثبت بقسم رسمى ، أمام عدد من الشهود وكان هذا النوع من الزواج هو الشائع فى المجتمع .

ب - بعقد كتابى : أى بعقد يحرر على رقيم يصاغ فيه إرادة الطرفين كتابيا . وهذه العقود المكتوبة لم تكن شائعة ولكنها فى أكثر الأحوال تحرر عند وجود الأسباب التى تدعو إلى ذلك .

٢ - الزواج السياسى :-

لقد لعب الزواج السياسى (٣) دوراً كبيراً فى الدوله السلوقية حيث أنه كان يعتبر من أهم الأساليب الدبلوماسية فى العصر الهلنستى (٤) .

والدليل على ذلك ما تحدثنا به المصادر القديمة عن زواج سلوقس كل من : -

---

1 - Jbid .

٢ - ثلماستيان عقراوى : مرجع سابق ، ص ٨١ .

3 - Bikerman (E .) , op .cit ., P . 28 .

٤ - مفيد رائف العابد : عصر سلوقس الأول من ٣١٢ إلى ٢٨٠ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب عين شمس ١٩٧٥ ، ص ٤٢ .

١ - أباما Apama الفارسية .

٢ - والأميرة المقدونية استراتونيكى stratonike إبنة ديمتريوس .

أما عن ظروف زواج سلوقس من أباما ، فلقد تزوجها فى حفل زواج سوسا الكبير سنة ٣٢٤ ق.م عندما تزوج الإسكندر بارسنيى ، وزوج كل واحد من قواده زوجا فارسيته (١) . وكان زواج سلوقس من أباما أطول زيجاته أمدا وأكثرها ثباتا . كما أن أباما تنفرد بأبهـا من بين كل السيدات جميعا كانت الوحيدة التى أصبحت جده لسلالة من الملوك الهلنستيه (٢) .

ويذكر أريانوس أن أباما كانت ابنة الباكترى استبيافس spitamenes (٣) فى حين أن استرابون يعترف بحيرته عن أصلها ونسبها وحتى مكان ميلادها . وكل ما أورده هو أن أباها كان يدعى أرتابازوس Artabazos (٤) . وعندما يتحدث ليفيوس Livias عن أباما عرضا يقول بأن المدينة التى أطلق عليها اسم أباما كانت نسبة لأباما أخت الملك سلوقس (٥) . ولا شك أن هذا التصوير عند ليفيوس لا يصور الواقع بقدر ما يصور الإستعمال السلوقى الشائع لكلمة أخت لقبا لزوجة الملك (٦) .

ومن المرجح أن احتفاظ سلوقس بزوجته أباما بعد موت الإسكندر - من بين كافة القادة الذين تزوجوا فى سوسا - يرجع إلى رغبته فى دعم شرعية سلطانه على المقاطعات الفارسية

---

1 - Arrian . Anabaisis , vll , 4 , 2 - 7 ; Bevan (E.) , op . cit ., P - 31 ; Macurdy (G . H .) , Hellenistic queens ,oxforol 1932 PP - 77 .

٢ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

3 - Arrian . Anabisis , VII , 4 . 2 , 7 .

4 - Strabo . 758 .

5 - Livy .. XXX vlll , 13 .

6 - O . G . I . S . 219 , 224 ; Cf . Tarn , Op . cit ., P . 138 .

التى كان يتطلع إلى الحصول عليها (١) .

وبالرغم من هذا الدافع للزواج من أباما وهو الدافع السياسى ، إلا أنه كان هناك دافع أخر لزواج سلوقس من أباما وهو أن سلوقس كان يكن لزوجته قدراً كبيراً من المحبة والإحترام ، والدليل على ذلك تكريم أباما بإطلاق اسمها على ثلاث من المدن التى أنشأها سلوقس ،(٢) والسماح لبعض المدن بتكريمها حتى بعد زواجه الثانى من استراتونيكى إبنة ديمتريوس (إذ كرمها أهل ملطية (ميليتوس) فى نفس السنة التى تزوج فيها سلوقس من استراتونيكى ، وأقاما لها تمثالا من الذهب (٣) .

ولقد كان من شار زواج سلوقس من أباما إنجاب ولى العهد أنطيوخس الذى تولى الحكم بعد أبيه ، أفضى إلى أن الدماء الفارسية سارت فى عروق الأسره السلوقية حتى آخر ملوكها وكذلك فى عروق البطالمة الأواخر جميعا ابتداء من بطلميوس السادس وذلك نتيجة لزواج ابيه بطلميوس الخامس من كليوباترا الأولى إبنة انطيوخس الثالث (٤) .

وكان من شار هذا الزواج أيضا أنه عندما عين انطيوخس نائبا لأبيه فى المقاطعات الشرقية بعد معركة ابسوس (٥) جنى من كونه نصف فارس فى حكمه لهذه المقاطعات

---

1 - Plut . Demeter . 31 - 2 ; Bevan , op . cit ., PP 35 - 6 ;

* مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٤٤ .

2 - ppian , syr , 57 ; strabo ., 749 - 50 .
3 - Nolleaux (M .) , Etudes d'erigra phie d' Hist - oire Grecques , tome III , Lagides et seleucides, Paris 1924 , PP . 99 - 110 .
4 - Polybius , X VIII , 51 , 51, 10 ; Bevan (E .) , History of Egypt under the ptolemaic Dynasty london 1927 , P . 52 ; Macurdy , op .cit ., P - 78 .
5 - ppian , syrianwars , 59 .

(١) فائدة تماثل تلك التى جناها أبوه حين كسب تأييد العناصر الوطنية من سكان بابل عند عودته إليها من مصر (٢) .

أما الزواج الثانى لسلوقس ، فقد كان من استراتونيكى ابنة ديمتريوس وهو زواج سياسى هدف سلوقس من ورائه كسب مودة حليف قوى له شأن كبير فى مدن اغريقية كثيرة ، ويسيطر على أسطول كبير لا يقل كثيرا عن أسطول بطلميوس (٣) .

وعندما تنازل سلوقس عن زوجته استراتونيكى لإبنه انطيوخس حينما هام بحبها وعشقها غراما أضناه إلى حد تهدد حياته (٤) . لم يكن هذا التنازل مبعثه إنقاذ حياة إبنه ، ولكن كان مبعثه رغبة سلوقس فى استعادة ثقة الفرس بعودته إلى أباما وتخليه عن استراتونيكى (٥) .

وإذا كان الزواج السياسى يدعم المكانة العسكرية للسلوقيين ويوطد أركان الدوله السلوقية ، فكان للزواج السياسى دور فى تدعيم الروابط الثقافية والسياسية وتقويتها بين انطاكية ومصر من خلال تنمية انطيوخس الثانى عنه زوجته الأولى لاوديكى وتزوج من برنيقى إبنة بطلميوس فيلادلفوس ملك مصر ، وكان من التفاهم عليه أن أولاد برنيقى سوف يرثون عرش السلوقيين (٦) . وكان هذا الزواج أحد شروط الصلح الذى تم بين بطلميوس وانطيوخس الثانى سنة ٢٥٢

---

1 - Tarn , Bacttia , P . 140 ; Welles , lexander , P . 87 ; Macurdy , op . cit ., P - 78 .
2 - Diod ., XIX , 91 , 3 .

٣ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٤٦ .

4 - Appian , sgrianwars , 59 - 60 ; Lucian , the Goddesse of syria,

* - هارفى بورتر : مرجع سابق ، ص ٣٢٤ ، ولديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران ، جـ٣ من المجلد الثانى ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٦ .

٥ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٤٦ .

6 - Cary (M.) , History of the Greek world From 323 - 146 B . C , London 1951 , P . 86 .

ق.م . لذا حينما مات بطلميوس فيلادلفوس اطلق انطيوخس الثانى برينقى واسترد لاوديقى (١) .

ومن أجل تقوية العلاقة بين مصر والسلوقيين قام انطيوخس فى شتاء ١٩٤ - ١٩٣ ق.م بزواج بطلميوس الخامس من الأميرة كليوباترا (٢) .

ويذكر أبيانوس بأن هدية العرس لزوجها (٣) هى إعطاء انطيوخس مهر كيلوباترا دخل سورية المجوفة coelesgria وكل هذا من أجل أن تضع ابنته مصر تحت التأثير السلوقى (٤) .

وإذا كان انطيوخس اتجه صوب مصر لتقوية العلاقة بينه وبين مصر ، فإن انطيوخس الثالث اتجه صوب برجامه وزوج إبنته إلى يومنيس ملك برجامه وكان يهدف من وراء ذلك ضم قوى البرجاميين له فى حربه القادمة ضد روما (٥) .

كما أن هناك زواج انطيوخس من ثيسالى Thessaly عندما تزوج إبنة مواطن عادى تسمى يوبيا Euboea وهذا الزواج ربما يكون لهدف سياسى حيث أن انطيوخس فضل السياسة الزيجية التى كان لها دور فى زيادة شعبيته (٦) .

وإبتداء من الاسكندر الأول بالاس ، شرع السلوقيون يتزوجون من أميرات البطالمة فقط ، ويتضح هنا تبعية سوريا للإسكندرية فيما بخص مسألة الزواج (٧) .

---

١ - هارفغى بورتر : مرجع سابق ، ص ٣٢٦ .

2 - Livy , XXXXV , 13 , 4 ; C . A . H . VIII , PP - 185ff.
3 - Appian ., syr ., 5 .
4 - Holleaux (M .) , Rome and Antiochus , C . . H . vIII , P . 199 .
5 - Appian ., syr ., 5 ; Bikerman (E .) , op . cit ., P - 28 .
6 - Holleaux (M .) , op . cit ., PP - 212 - 213 .
7 - S . E . G . vI , 809 ; Bikerman (E .) , op . cit ., P . 25 .

ثالثاً : تنظيم النسل

كانت الأسره ذات الطفل الواحد أكثر الأسر شيوعا . غير أنه كان لدى الأهالى رغبة معينة فى إنجاب ولدين (وذلك رغبة فى التعويض عن أحدهما إذا مات فى ميدان القتال) ، وكانت الأسر المكونة من أربعة أفراد أو خمسة نادرة جداً (١) ، ولكن يكاد يكون محققا أن القوم لم يكونوا يسمحون مطلقاً بإنجاب أكثر من بنت واحدة ، وهو مصداق لما يقرره بوسيديبوس حيث يقول ، " إن الرجل الغنى نفسه ينبذ دائما إحدى بناته طعمه للموت والجوع " (٢) .

ومن خلال تتبع النقوش الباقية إلى هذه الأيام يظهر خصوبة تسع وسبعين أسره من سكان ميليطس فى عام – ٢٠ ق.م (٣) . وكان اقارب إبيكتتيا (حوالى ٢٠٠) خمسة وعشرون ذكرا إلى سبعة إناث ، وكان لإثنين وثلاثين من العائلات المليتية طفل واحد فقط ولإحدى وثلاثين منها طفلان (٤) .ويستشف من محاولة هذه الأسر الحصول على ابنين اثنين ونسبة من لديهم ابنان شائعة بدرجة لا بأس بها مع قلة متناثرة أطفالها ثلاثة (٥) .

كما أن سجلات تيلوس تفاخر بوجود عائلة من سبعة أفراد ، وربما تكون هى الأسرة الهلنيستية الوحيدة التى يتجاوز عدد أفرادها خمسة (٦) . وذلك بإستثناء أطفال كيلوباترا ثيا الثمانية الذين أنجبتهم من ثلاث أزواج (٧) . ويقول بوليبيوس فى ذلك " إن الإغريق كانوا

---

1 - Tarn (W .) . op . cit ., P . 102 .
2 - Jbid , P - 101 .

٣ – ول ديورانت : مرجع سابق ، ص ٢٧ .
٤ – المرجع السابق ، نفس الصفحة .

5 - Tarn (W .) . op . cit ., P - 101
6 - I . G . XII . 3 . 40 .
7 - Tarn (W .) . op .cit ., P . 103

يرفضون فى منتصف القرن الثانى أن يكون لهم أكثر من طفل واحد أوعلى الأكثر طفلين " (١).

وفى سبيلهم إلى تنظيم الأسرة اتبعوا طريقتين الأولى هى وسائل منع صناعية ويؤكدها تارن بقوله " ولكن لا شك أنه كانت هناك وسائل منع صناعية ، وأكبر دليل على ذلك كثرة العائلات المكونة من أربعة أفراد وخمسة بأثينا فى خلال فترة ازدهارها الأخير فى أخريات القرن الثانى " (٢).

والطريقة الثانية هى وأد الأطفال ولا سيما البنات وتؤكد نصوص الأدب اليونانى انتشار قتل الأطفال ووأدهم (٣) ،كما أن منها ما ينفى تلك التهمته بكل قوة (٤) . كما أنه لم يكن يعاقب على الإجهاض مثلا إلا إذا لجأت إليه المرأة على غير إرادة زوجها ، أو بتحريض من أغواها ، وكان الطفل فى كثير من الأحيان يعرض للجو القاسى (٥) .

رابعاً الطلاق

كان الطلاق معروفاً فى المجتمع السلوقى ، إذكان بمقتضى العادات الإغريقية كان يحق للزوج الإنفصال عن زوجته متى شاء (٦) ، دون إبداء الأسباب بشرط عدم تدنى مكانتها الإجتماعية والمادية (٧) .

---

1 - Poly . XXX VI , 17 , 7 .
2 - Tarn (W .) , op .cit ., P . 102 .
3 - Glotz (G .) , Inhonticidium and Exposito in Dar . Sagal . 252 - 4 .
4 - Gomme (A . W .) , The Population of Athens 1933 , P . 79 .

٥ - ول ديورانت : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

6 - Biker man (E .) , op .cit ., P - 27 .

٧ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

وتذكر المصادر حالتين على الأقل لهذه العادة أحدهما : عندما تخلى سلوقس الأول عن زوجته أباما الفارسية قبل زواجه من استراتونيكى (١) ، والثانية عندما انفصل انطيوخس الثانى من زوجته لاوديقى قبل زواجه من برنيقى ابنة بطلميوس الثانى (٢) .

ويرى ألفرد زيمرن أن الذى أوجد الطلاق هو الشعور الذى ينتاب الإنسان بعدم وجود ذرية شرعية (٣) .

وكان يشترط فى مشروعية الطلاق ونفاذه أن يكون محررا (٤) على نمط الخطابات وصورتين بيد كل من الطرفين صورة (٥) . وكان لا يحرر فيه سبب الطلاق ، بل كان يكتفى بذكر عدم وجود حقوق لأحد الطرفين قبل الطرف الآخر ، مع كتابة تعهد بألا يقاضى أحدهما الأخر ، والاعتراف بحرية الطرفين فى أن يعقد زواجا جديدا ، وذكر حقوق الأطفال نتاج الزواج (٦) .

ولكن من يحق له الطلاق ؟ الرجل أم المرأة ؟ فى الواقع أنه كان يحق للرجل تطليق زوجته مع دفع مبلغا معينا من المال لإعالتها ، كما كان مسموحا للرجل بتطليق زوجته دون تحمل اية اعباء مالية أو مادية فى حالة وقوع الخيانة الزوجية (٧) . كما كان من حق الزوجة أن تطالب زوجها بالإنفصال عنه متى شاءت ، كما تطالبه إذا اتخلى عنها وطلقها بالمهر المثبت فى عقد الزواج (٨) .

---

١ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

2 - Biker man (E .) , op.cit ., loc . cit .

٣ - ألفرد زيمرن : الحياة العامة اليونانية ، مترجم إلى العربية ، القاهرة ١٩٥٨ص ٦٠ .

٤ - عامر سليمان وآخرون : مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

٥ - ابراهيم نصحى ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص ١٧ .

٦ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٧ - عامر سليمان وأخرون : المرجع السابق ، نفس الصفحة

8 - Bevan (E .) , The House of Seu lucus , P . 158 .

ويذكر عامر سليان (١) الحالات التى تطالب فيها الزوجة بالطلاق من زوجها وهى :

أ - غيبة الزوج

ب - عدم ترك الزوج ما يكفيها من مأكل وشرب وملبس

جـ - تقليل الزوج من مكانتها

د - خروج الزوج من البيت

هـ - رغبة الزوج فى الزواج من أمرأة سيئة السمعة .

---

١ - مرجع سابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

خامساً : التبنى Adoption

***

عندما يتزوج رجل من إمرأة يكون غرضه تكوين أسرة ، ولكن إذا ما أصاب العقم أحد الزوجين ، فكان هذا المرض اللعين من أخطر الأسباب التى تؤدى إلى انهيار الأسرة فى المجتمع الإغريقى والشرقى ، فيقول الفرد زيمرن عن العقم : " هذا أخوف ما كان الرجل اليونانى يخافه فى حياته كلها ، فلا أحد يرعاه فى شيخوخته أو يغمض عينيه عند وفاته ، ثم يقوم بمراسم الدفن ، أو يزوج بناته فى حدود العرف والشرف ، ويحفظ ذكرى الميت ويصون النظم التى كانت عزيزة عليه فى حياته " (١) . لذلك كان الملاذ من العقم هو التبنى . ولكن ماهو مفهوم التبنى ؟

مفهوم التبنى : -

" ربما كان مفهوم كلمة التبنى شيوعا ، هو تبنى الشخص لطفل أيا كان ذكراً أو أنثى ، وأن ذلك النظام كان متبعاً فى كثير من شعوب العالم القديم " (٢) . والتبنى هو أيضاً : " نظام قانونى يراد به تقليد الطبيعة بعمل الأبوة اصطناعياً من أجل ترتيب أثار مماثلة (بين المتبنى والمتبنىَ) للعلاقة التى تنشأ نتيجة الولادة بين الأب وذريته " (٣) . أى أن التبنى يعنى إيجاد علاقة البنوة بين رجل وإمرأة أو أحدهما مع ولد أو بنت ، ويتم ذلك من خلال صياغة عقد قانونى ينص على اتفاق الطرفين على العلاقة الجديدة التى تربطهما ببعض وتشتمل العلاقة

---

١ - ألفرد زيمرن : مرجع سابق ، ص ٧٦ ز

٢ - عاصم أحمد حسين المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٩١ [illegible] .

٣ - حكمت بشر الأسود : مبدأ التبنى فى العراق القديم ، سومر جا ، ٢ ، مجلد ٤٤ ، بغداد ١٩٨٥ - ١٩٨٦ ، ص ٦٩ .

الجديدة حقوقا وواجبات للطرفين كما ينص عليها عقد التبنى (١). ولقد أعطت المصادر الإغريقية القديمة مفهوم كلمة "التبنى" فى صيغة الكلمة Adoption أى التبنى، ومنها قد اشتق الفعل "يتبنى" (٢).

نظام التبنى : -

توضح نصوص جورتينا " Gortun " مصادر التبنى فى اليونان، حيث أن الأب المتبنى لطفل يجب أن لا يكون هو نفسه "ابن متبنى" " أى يجب أن يكون حرا لكى يحق له التبنى سواء كان لديه أطفالا أم لا، كما يلاحظ أن الابن المتبنى له الحقوق كالميراث، ولكنها ليست كحقوق الابن الحقيقى (٣).

وفى قانون " اتيكا " - Attica كان الغرض الرئيسى لنظام "التبنى" أن المواطن الذى لا يملك ابنا. أن يختار وريثا له عادة إذا لم يكن لديه أقارب فى عائلته (٤).

وفى عصر Jsaeus (٥) قد عرفنا ثلاثة أنظمة من التبنى وهم : -

١ - intervivos : التبنى خلال فترة حياة الشخص المتبنى للمتبنى.

٢ - Testamentary : التبنى بوصية محددة، حيث لا يرث المتبنى.

٣ - Posthumous : وفى هذه الحالة يستطيع الرجل الذى ليس له ابن، وليس له ابن متبنى، أن يحدد ابن بالتبنى يتحمل مسئولية عائلته بعد وفاته (٦).

---

١ - صبيح مسكونى : تاريخ القانون العراقى القديم، بغداد ١٩٧١، ص ٢٢٧.

٢ - عاصم أحمد حسين : مرجع سابق، نفس الصفحة.

٣ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

٤ - المرجع السابق، ص ٢٩٣.

5 - Oxford classical Dictionary .P - 552 .

٦ - عاصم أحمد حسين : المرجع السابق، ص ٢٩٣.

ويستشف وجود التبنى فى الأسرة السلوقية من خلال حديث جوستين عندما يقول ان اتباع اسكندر زابيناس كانوا يؤكدون على تبنى انطيوخس السابع زابيناس فى فترة من حياته (١) .

وقد كان التبنى شائعا فى رودس ، فلقد تم العثور على قائمة فيها أربعون موظفا عاما حوالى (١٠٠ ق.م) منهم سبعة من المتبنين (٢) ، كما أن حى تيلوس بها كان به قائمة فيها ثلاثة متبنون من أربعة على حين أن تبنى الأطفال حتى البنات منهم كان من الأمور الشائعة بمناطق أخرى كثيرة (٣) .

وكان الهدف من التبنى هو توفير الأولاد للأسر المحرومة من الإنجاب ، فكان يحق لأى شخص أن يتبنى واحدا أو أكثر من الأطفال سواء من الذكور أو الإناث أو من البالغين ، وفى هذه الحالة يكتسب المتبنى عندها جميع الحقوق والإمتيازات التى يتمتع بها الإبن الشرعى ، كما كان مُلزما بجميع الواجبات والإلتزامات المفروضة على الإبن الشرعى (٤) ، وكان للاسرة على الدوام حق تبنى أولاداً أخرين ويتمتعون بحق الإرث مثل بقية الأولاد الذكور الأخرين بشرط أن لا يؤدى هذا إلى حرمان الأولاد الشرعيين من حقوقهم الشرعية (٥) .

دوافع التبنى : -

بالبحث فى دوافع التبنى تبين أنهما عاملان أو دافعان أساسيان هما العامل الإجتماعى والعامل الإقتصادى .

---

١ - مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقيين ،دمشق ١٩٩٣ ، ص ١٧٠

عاصم أحمد حسين : المرجع السابق ، ص ٢٩٥

2 - I . G . XII , 1 , 49 ;

3 - Tarn (W .) , op . cit ., P 101 ; B . C . H . VI , 256 ; Tx , 331 ; J . H . S . 1890 , 120 .

٤ - فاضل عبد الواحد وعامر سليان : عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، بغداد ١٩٧٩ ، ص ٧٤.

5 - Oxford classical dictionary , P . 9 ;

* جورج كونتنوالحياة اليومية فى بلاد بابل وأشور . ترجمة وتعليق سليم طه التكريتى ، بغداد ١٩٧٩ ، ص ٣٨.

أ - التبنى لدوافع اجتماعية :-

لا شك فى أن هدف أى أسرة هو إنجاب الأطفال لتظل ذكرى مدى الأجيال ، حيث كان يحق لكل أسرة أن يكون لها ولد ، ويرجع ذلك إلى عدة أمور منها الطبيعة العاطفية نحو الأولاد (١) والإنجاب ، وكذلك الحاجة الإقتصادية إلى الولد بإعتباره مصدر قوة اقتصادية للأسرة ، كما أن يعطى الإطمئنان إلى النفس البشرية سواء الأب أو الأم بأن اسمهم سيظل مخلدا بإستمرار حتى بعد مماتهم (٢) .

وكان الإغريق يهتمون بالإبن الذكر عن الأنثى ، وذلك لأهمية الإبن الذكر فى المجتمع واعتباره قوة اقتصادية لتحسين وضع الأسرة فى المجتمع ، ويلعب فى إطار ذلك العادات والتقاليد التى كان لها دور فى اهتمام حتى الأغنياء بإنجاب الذكور عن الإناث . ومن العادات والتقاليد أيضا تباهى الفرد بما أنجب من ذكور لأن الذكور تمثل قيمة كبيرة فى المجتمع الإغريقى . وهذا العامل أدى إلى سعى الأسرة نحو البحث عن انجاب ابن ذكر أو إيجاده بصورة أخرى ، ومن المحتمل أن يكون هذا الدافع هو الذى أدى إلى ظهور ظاهرة التبنى (٣) .

ولذلك إذا كانت المرأة تعانى من العقم فى المجتمع الإغريقى فكان العلاج هو التبنى إذ أنه كان الطريق لحلها بطريقة مقبولة (٤) . أما إذا كانت المرأة فى المجتمع الشرقى وخاصة فى سورية والعراق تعانى من العقم فكانت تقوم بمهمة تقديم أمة لزوجها لتنجب له الأطفال ، (٥) ، وكان هؤلاء الأطفال يعتبرون أولادها الأصليين بحيث يحق لهم أن يرثوا منها عند مماتها .

---

١ - عاصم أحمد حسين : مرجع سابق ، ص ٢٩٦ .

٢ - حكمت بشير الأسود : مرجع سابق ، ص ١٠ .

٣ - عاصم أحمد حسين : مرجع سابق ، ص ٢٩٦ .

٤ - المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

٥ - ثلماستيان عقراوى : مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

وكانت الزوجة التى تعانى من العقم تستطيع هى وزوجها شراء طفل من والديه وتبنيه ويعتبر الوريث الشرعى لهما (١) . وفى هذه الحالة كان الزوج يحتفظ بزوجته (٢) .

وبالإضافة إلى عامل العقم ، كان هناك عامل آخر ساعد على التبنى وهو فقد كثير من الآباء لأبنائهم وخاصة فى الحرب (٣) .

ب - التبنى لدوافع اقتصادية : -

أما النوع الثانى من التبنى فكان التبنى لدوافع اقتصادية حيث كان المجتمع الإغريقى مقسما إلى طبقات وفقا لتوزيع ثرواته ، وأن الأغنياء كانوا أشد الناس حاجة وحرصا على انجاب الأولاد ، وإن حالات العقم أو وفاة الأبناء جعلت هؤلاء الأغنياء يلجأون إلى التبنى لأحد الأطفال من أجل الحفاظ على الثروة طبقا لنظام الإرث والتى كانت تنحصر فى ملكية الأراضى (٤) . وينوه د. عاصم أحمد حسين على أهمية العامل الإقتصادى فى الحفاظ على الثروة بقوله : " ويجب هنا أن ننوه أن العامل الإقتصادى فى الحفاظ على الثروة كان يطبق فقط على طبقة الأغنياء والحريصة على هذا الهدف ، ومع ذلك فإننا لا نغفل العامل الإقتصادى بالنسبة للطبقات الأخرى وخاصة الفقيرة التى كانت تعتبر الإبن ثروة من أجل تحقيق العيش " (٥) .

وكان التبنى فى الطبقات الفقيرة لسبب العامل الإقتصادى يتمثل فى قيام بعض الناس وخاصة الحرفيين بتبنى الأولاد بغرض تعليمهم الحرفة ،وكان الهدف من ذلك هو سد العجز فى

---

١ - ثلماستيان عقراوى : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٢ - حكمت بشير الأسود : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

٣ - ألفرد زمرن : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، عاصم أحمد حسين : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

٤ - عاصم أحمد حسين : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

٥ - عاصم احد حسين : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

الأيدى والعمالة والحصول على الإيدى العاملة وضمان استمرارية الحرفة وعدم انقراض هذه المهنة من الوجود (١).

وكان صاحب الحرفة يتبنى الطفل دون إلزام عليه بدفع نقود لوالديه ، وكان الآجر الذى يحصل عليه والدى الطفل فى هذه الحالة هو تعليم المهنة للطفل التى توفر لـه سبل المعيشة والحياة والكريمة (٢).

كما يتمثل الجانب الإقتصادى فى التبنى فى دافع آخر عرف باصطلاح " التبنى لغاية البيع " Sale Adoption (٣) ، ويهدف فى هذا النوع من التبنى إلى بيع الأراضى والأملاك التى كانت ملكاً للدولة ويمنع ملكيتها . وكان المشترى الذى يريد شراء قطعة من الأرض يتفاوض مع صاحب الأرض ويحددان السعر ، ولكن طريقة البيع كانت تتم على شكل تبنى أى أن البائع يقوم بتبنى المشترى (٤).

---

١ - ثلماستيان عقراوى : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

٢ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٣ - المرجع السابق ، ص١٣٦ .

٤ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

سادساً : تربية وتعليم الأبناء

***

لقد حدث تطور فى التربية والتعليم خلال هذه الفترة (١) ، فأدركت بعض المدن أهمية التعليم مثل ميلوس ، وأن التربية يجب لها أن تسند للدولة ، كما أرتأى أفلاطون من قبل (٢) . ولكى تقوم المدن بهذه المهمة كانت تعتمد على الهبات من الملوك والأغنياء وذلك فى إقامة المبانى ودفع الأجور . وحتى رودس قبلت من يومينيس الثانى هبة من أجل هذا الغرض (٣) .

ولقد شيد سلوقس نيكاتور مدرسة عسكرية للفرسان فى افامية (٤) . وقد رأى الإمبراطور يوليانوس أن فخر انطاكية إنما يرجع لشيئين : مدرسة البلاغة وهيكل أبولون فى ضاحية دفنة الجميلة بانطاكية (٥) ، وهذا يؤكد اهتمام الملوك ببناء المدارس والإهتمام بالتعليم .

وفى المدن الأكثر تقدما أصبحت المدارس الأولية أرسخ قدما ، ففى أيونيا ضمت هذه المدارس الصبيان والبنات معا ، كما أن الجنسين كانا يتعلمان معاً فى تيوس (Toos) وخيوس (chios) (٦) .

---

1 - Martou (H . I .) , Histoire de L' Eduction dans l'antiquite 1949 . (II me . Partie , L' Eduction Hellenistique) P . 217 .

2 - Dittenlerger (W .) , Sylloge Inscriptionum Grae - corum , ed . 3 , 577 .

3 - Polyb . XXXI , 31 (25) .

٤ - أحمد وصفى زكريا : مدينة افامية الأثرية وصلتها بسهل الغاب ، مجلة الحوليات الأثرية السورية ، المجلد السابع ، دمشق ١٩٥٧ ، ص ١٠٥ .

5 - George Hadad . The Population of Antioch in Helenistic Roman Period . AAs , Tome I , Damas 1951 , P - 21 .

6 - Ditt 578 .

وكان الأطفال يلتحقون بهذه المدارس فى سن السابعة ولكنهم لا يتعلمون بها سوى مبادئ القراءة والكتابة ، أما مبادىء الحساب كان يتم تعليمها بصفة عامة (١) . ويبدو أن المدرسين لم يكن يشترط فيهم المؤهل . كما يبدو أن تعليم البنات لم يكن يتجاوز هذا الحد (٢) . أما الصبيان فكانوا يواصلون تعليمهم على يد مدرس مدرسة ثانوية (Grammatikos) إذا ما دفع أبائهم المصروفات الدراسية ، بهدف الحصول على تدريب أدبى أولى تمهيد الدراسة علم البيات (٣) . ثم يذهبون بعد ذلك إلى مدارس الشباب (ephebate) (٤) .

وأصبح نظام معاهد الشبيبة شائعاً بين جميع المدن الإغريقية تقريبا وكان مركزه الجمنازيوم الذى لعب دورا يقابل الدور الذى لعبته المدارس العامة بإنجلترا . وهؤلاء الذين يتخرجون من الجمنازيوم يشكلون نوعا من الارستقراطية غير الرسمية (٥) .

وكان الجمنازيوم فى المدن الجديدة بأسيا مميزا للحياة الإغريقية فإقامة الجمنازيوم فى أى مكان تعتبر إلى حد ما خطوة أولى لبلوغه مرتبة المدن (٦) .

أما بالنسبة للدراسات العليا فكان يحق لأى إنسان لديه المقدرة للتعليم أن يذهب للعمل بنفسه تحت إشراف معلم ذا مكانة كبيرة . وأما الرجل العادى من أوساط الناس فلم يكن لديه

---

1 - Marrou (H . I .) , op . cit ., P . 218 .
2 - Ditt 578 .
3 - Cary (M.) , Life and thought in the Greek and Roman world , London , 1940 , P - 274 ; Marrou (H . I .) op .cit ., 223 ; Barns (J .) , classical Quarterly , xlv , 1951 - 8 5qq.
4 - Brenot (A .) , Recherches sur l'ephe bie attique, 1920 : Lofberg , classical philology , 1925 , 330 .
5 - Tarn (W .) , op .cit ., P . 96 .
6 - Jbid , cit .

القدرة على الإفادة من الدراسات العليا المتقدمة ،فى أى من علمى البيان والفلسفة ولا فى أحد العلوم (١) .

وكان التجر فى العلم مغامرة فكرية لكل إنسان يناسبه التجر من الأفراد ومن تستطيع مواردهم المالية الإنفاق فى سبيله . وربما انطبق نفس الكلام على تعلم الطب والتدريب عليه وهو المهنة المقترنة بالعلم فى ذلك العصر (٢) .

والواقع أن الطلاب جميعا كانوا يضيعون كثيرا من الزمن فى المشى فى المواكب لحضور القرابين ، فى كل مهرجانات المدينة المعتادة ولمناسبات الخاصة مثل زيادات الملوك أو الإحتفال بأعياد ميلادهم . ويوجد دليل على ذلك وهو تقويم كوسن Coan (٣) يذكر فى شهر واحد ثمانية أيام مخصصة للأعياد وأربعة للإمتحانات .

1 - Jbid ., P - 97 .
2 - Marrou (H . I) op . cit ., 2 64 .
3 - Ditt ., op . cit ., 1028 .

سابعاً : مكانة المرأة

بداية يجب أن نتعرف على مكانة المرأة الإغريقية ، حيث أن المرأة فى أى مجتمع من المجتمعات هى العمود الفقرى للمجتمع . ولكن الرأى السائد بين أغلب الباحثين - فيما عدا قلة منهم - وهو أن المرأة الإغريقية - ولا سيما الأثنيه كانتا تعيش أغلب مراحل حياتها سجينة بيتها (١) لا تخرج منه إلا نادراً (٢) . وتخضع على الدوام لوصى يمثلها أمام القانون فى كل ما تباشره من تصرفات تتردد سيرتهن فى المجتمع بلاعتبارهن " النساء العاجزات أو غير القادرات " (٣) .

ولقد مرت المرأة افغريقية بثلاث أطوال مختلفة (٤) هى : الأول فى غضون العصر الباكر أو عصر البطولة . والثانى ابان العصر الكلاسيكى أو الذهبى ، والأخير خلال العصرين الهلنيستى والرومانى . ففى خلال عصر البطولة تألقت المرأة الإغريقية (٥) .ويتبين ذلك من ملحمتى هوميروس " الإلياذة والأودية " حيث أفسح الشاعر العظيم المجال لإبراز دور المرأة فى ملحميته وبخاصة فى الأوديا التى قيل إنها لم تكتب إلا لتمجيدها (٦) .

---

1 - Cary (M.) and Haarhoff (T .) , op . cit ., ., P - 154 ; Oxford classical dictionary , isted ., London 1949 , P - 260 ; Durant (W .) , op . cit ., PP - 305 - 6 .

٢ - إ ز إيماوج . أو بوايه : تاريخ الحضارات القديمة ، المجلد الأول ، الشرق واليونان القديمة ، ترجمة : ف . داغر ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٣٥٧ .

3 - Gould (J . P.) , op .cit ., P - 43 .

٤ - زينب محمد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣ .

5 - Durant (W .) , op . cit ., P . 50 .

٦ - عبد اللطيف احمد على : التاريخ اليونانى ، ط ١ ، جـ١ بيروت ١٩٧٤ ، ص ٥٢

وأن النساء الإغريقيات فى الطور الثانى - العصر الكلاسيكى أوالذهبى - قد اختفين تقريبا من تاريخ بلادهن حيث تأثر وضع المرأة بما ساد مجتمعاتها من آراء يصعب الاعتقاد انها كانت وليدة ذلك العصر، ولم تكن فى أغلب الظن تراث تقاليد قديمة العهد . وقوام هذه الآراء أساسا هو أن الطبيعة الفيسولوجية للمرأة فرضت عليها وظيفة أساسية تتركز فى التناسل والرضاع ، (١) بل أنها كانت فى بعض الأحيان تمنعها من تربية أولادها الذين أنجبتهم (٢) ، وتتمثل هذه الآراء فى أن الشرائع لم ترفع من قدر المرأة إلى المستوى الذى منحته للرجل (٣) ، فقد اعتبرت المرأة قاصرا على الدوام وحتمت ان يكون لها وصى يتولى عنها مباشرة أى تصرف إلى حد أن تشريع صولون نص على أن اى اجراء تباشره المرأة بنفسها لا يكون نافذ المفعول (٤) .

وكانت النتيجة المنطقية لذلك أن ظلت المرأة معزولة فى البيت ، غير مسموح لها حتى بأن تطل من الشرفات ، وكتب عليها ان تقضى معظم أوقاتها بجناح الحريم kwvitos γυναι الموجود فى مؤخرة المنزل حرصاً على ألا تختلط بالجنس الآخر من زوار أبيها أو زوجها (٥) فى مقرهم أو جناحهم الخاص auspwvitls .

وإذا كان وضع المرأة الإغريقية فى المرحلتين السابقتين على طرفى نقيض فإن المرحلة الثالثة - العصر الهلينيستى - تتوسطهما فى هذا الشأن حيث بدأ وضع المرأة الإغريقية أدنى

---

١ - أحمد أمين وزكى نجيب محمود : قصة الفلسفة اليونانية ، ط٧ ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٢٤ .

2 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 100 .

3 - Coulanges , op . cit ., P . 94 .

4 - Durant , op . cit ., P - 306 .

5 - Cary and Ttaar Hoff , op . cit ., P . 306 .

من مستوى وضعها فى المرحلة الأولى وأفضل منه فى المرحلة الثانية (١) ذلك أنه فى العصر الهلينستى نُبذت إلى حد كبير الآراء السائدة التى اعتبرت كل الأجناس ما عدا الإغريق متبربرة والمرأة مخلوقا أدنى من الرجل. ولعل مرد ذلك كان إلى أن بعض الأميرات المقدونيات قد أظهرن كفاية لا تقل عن كفاية الرجال فكن صنوات لهم (٢) حيث لعبن أدواراً فى مختلف المجالات سياسية كانت أم دينية أم عسكرية، وذلك فى الفترة التالية لوفاة الإسكندر (٣) ومن القصور المقدونية امتدت الحرية النسبية إلى النساء العاديات فحصل البعض منهن على قسط من التعليم، وظهرت بينهن الفيلسوفة والشاعرة والفنانه وغيرهن (٤).

ولقد احتلت المرأة فى الدولة السلوقية مكانة لا بأس بها، فلم تكن مكانة الأميرات أقل من مكانة الرجال العظام من حيث القيام بأدوار هامة فى الشئون العامة، فقد كن يبنين المعابد ويؤسسن المدن ويستأجرن الجنود المرتزقة ويقدن الجيوش ويستقبلن البعثات السياسية ويحصلن من أزواجهن على ما تحتاج إليه تلك البعوث من حقوق وامتيازات، ويدافعن عن الحصون والقلاع ويضطلعن بالوصاية على الملك أو يشتركن معه (٥).

كما أن المرأة خطيت بأهمية كبيرة فى الدولة السلوقية، فلقد تمتعت بمكانة ثقافية والمكانة السياسية والمكانة الإقتصادية على النحو التالى.

أولاً مكانة المرأة الثقافية : -

كانت لدى ملكات الدولة السلوقية نفس الرغبة التى كانت عند أزواجهم إلى الثقافة، ومن

---

١ - زينب محمد توفيق، مرجع سابق، ص ٦.

2 - Oxford classical dictionary , P . 690 ; Tarn , op . cit ., P . 98 .
3 - Cary and Haar hoff , op . cit ., P - 145 ; Durant , op . cit ., P - 593 .

٤ - ابراهيم نصحى : نفس المرجع، ج١، ص ٤٣.

5 - Tarn (W .) . Hellenistic Civilization , Calmbridge 1966 , P . 98 ;

* ابراهيم نصحى ك المرجع السابق، ج١، ص ٤٢.

أمثلة ذلك التى توضع مكانة المرأة الثقافية نجد أن أراتوس Aratus يوجه الأشعار إلى فيلا Phila على حين كتب بوسيديبوس Poseidippus من أجل بيلا Pella المقطعات الشعرية إلى أرسينوى Arsinoe ، ووجه كاليماخوس Challimachus قصائده إلى بيرنيقى زوجة بطلميوس الثالث (١) .

وكانت أرسينوى تتراسل مع عالم الفيزيقا استراتون (٢) Strato على حين زادت ستراتونيقى Stratonice ، زوجة انطيوخس الأول من عدد الذخائر الفنية بديلوس (٣) .

ومن القصور المقدونية أخذت الحرية النسبية تمتد إلى النساء العاديات واستطاعت النساء الراغبات فى التحرر أن تتحرر إلى حد كبير من التقاليد القديمة ، فكان فى الإمكان أن تحصل النساء على نصيبهم من التعليم (٤) . ويرجع هذا إلى المذهب الرواقى الذى يرجع إليه الفضل فيما بعد فى إيحاء التعريف الكريم للزواج للمشرع الرومانى والذى ساعد بنصيب كبير فى رفع مستوى حال المرأة وأتاح لها فرصة الحصول على أكبر قدر من التعليم (٥) .

ويتضح من لقب " المشرفين على شئون النساء " Gynaeconomi وهم موظفين عموميين يظهرون ببعض المدن كانت وظيفتهم الوحيدة التى ثبت أنهم قاموا بها هى تعليم البنات (٦)

وصار كثير من الفلاسفة يعدون النساء من بين مستمعيهم مثل ليونتيون Leontion تلميذة أبيقوز Epicurus ، وهى التى تزوجت صديقه مترودورس Metrodorus (٧) . واشتركت المرأة

---

1 - Tarn , op . cit ., P . 98 .
2 - Diogenes Laertus . V , 60 .
3 - Tarn , op . cit , Loc . cit .
4 - Jbid , P . 98 ; إبراهيم نصحى المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٣
5 - Jbid , P . 99 .
6 - Tarn (W .) , op .cit .. loc . cit .
7 - Diogenes Laertus , VI , 23 ; Seneca . Fr . 45 .

اشتراكاً نشيطا فى الأعمال الثقافية فى ذلك العصر ، وكان لها جهود موفقة فى الأدب والعلم والفلسفة والفن (١) ، وبدأت الشاعرات تظهرن مرة أخرى فى البلاد أثناء القرن الثالث ، فكانت أرستودا ما Aristodama الأزيرية (٢) تنشد أشعارها فى طول بلاد اليونان وعرضها متخذة من أخيها مديرا لأعمالها وهى تلقى الشعر وتتلقى كثيرا من آيات التكريم (٣) .

ومن السيدات التى اشتهرت فى مجال العلم والفن اسم سيدة تبحرت فى العلم هى هستايا Hestiaea (٤) ، وواحدة أخرى برزت فى مجال التصوير (٥) . وبدأ بعض الكتاب يكتبون لقراء من الجنس اللطيف (٦) ، كما أن بدأ يعنى بوصف جمال المرأة الجسمانى بعد أن كان يعنى بقيمتها وفتنتها من ناحية الأمومة ، ونشأت العبادة الأدبية للجمال النسوى فى ذلك العهد إلى جانب أشعار الحب الروائى وقصصه (٧) .

ثانياً : المرأة ومكانتها السياسية :-

لقد لعبت زوجات الملوك السلوقية دورا عظيما فى الحياة العامة والإحتفالات البلاطية والسياسية (٨) . بل لقد اشتركت فى لعبة السياسة صراحة مثل الرجال أكثر منه فى الإنغماس الشهوانى ، لأن عواطفهم خمدت فكانوا يذهبن على رؤوس الجيوش ، والدليل على

---

١ - ول ديورانت : مرجع سابق ، ص ٢٦ .

2 - Ditt 532 ., S . E . G ., 263 .

٣ - ول ديورانت : مرجع سابق ، نفس الصفحة .

4 - Tarn (W .) , op . cit ., Loc . cit .

5 - Pliny XXXV , 147 .

6 - Tarn W . , op .cit ., P - 99 .

٧ - ول ديورانت : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

8 - Rostoutreff (M .) , Syria and the East , C a H vII , P . 164 .

ذلك وجود نحت لواحدة من هؤلاء بيدها الرمح وتقف فى شوارع انطاكية لتنتقم من أعدائها فى وقت الشدة (١).

والحقيقة أن السلوقيين لم يكن عندهم نقصا فى النساء والطموحات اللواتى بلغن قمة السلطة ، فلقد لعبت لاودويقى وبيرنيقى هذا الدور فى فترة " حروب لاوديقى " (٢). وفى مرحلة لا حقة ،حكمت كليوباترا ثيا بإسم أولادها ومعهم (٣).

وكان نساء القصر يتنازعن ويدبرن المكائد للوصول إلى السلطة (٤) ، ومن هؤلاء لاوديقى Laodice زوجة انتيوخس الثانى التى بدأت من الدسائس والمؤتمرات التى مزقت البيت المالك شر ممزق وقضت عليه فى آخر الأمر (٥). لقد تسلطت لاوديقى على المملكة أولا بعد قتل زوجها وظلمت برينقى وقتلت إبنها لأن ولاية العرش كانت تبدو مضمونة لإبن برينقى (٦) ، فاشتعلت غضبا وهاجمت القاتل وقضت عليه ثم التجأت إلى بعض الهياكل وخفرها جماعة من العسكر ، ولكن فى النهاية دبرت لاوديقى مقتل برينقى وبعثت إليها من قتلها فى دفنه (٧).

ومازال مسلسل المكائد والمؤتمرات مستمر ، ومسرح الأحداث هنا فى انطاكية والبطلة هى استراتونيقى والحدث الهام هو ثورة اندلع لهيبها نتيجة لمكيدة دبرتها استراتونيقى بنت

---

1 - Bevan (E .) The House of seleucus , vol . 2 , P - 280 .
2 - Polyaen . vlll , 50 .
3 - Biker man (E .) , op . cit ., P . 27 .

٤ - فيليب حتى : مرجع سابق ، ص ٢٩ .
٥ - ول ديورانت : مرجع سابق ، ص ٣٨ .
٦ - جلانفيل دوانى : مرجع سابق ، ص ٧٤ .
٧ - هارفى بورتر : مرجع سابق ، ص ٣٢٦ .

انطيوخس الأول وشقيقة انطيوخس الثانى بعد طلاقها من ديمتريوس الثانى ملك مقدونية (١) فلقد تآمرت استراتونيقى مع ابن أخيها انطيوخس هيراكس الشقيق الأصغر لسلوقس الثانى ، على عزل هذا الملك والاستيلاء على المملكة بأسرها (٢) .

أما الشخصية التى تألقت على مسرح الأحداث هى كيلوباترا ثيا فلقد أرهقها تعدد الأزواج وزالت عن عينيها غشاوة الخداع لم تستطع صبرا على عدم كفاءة ديمتريوس بعد أخيه ، ولقد قررت أن تستولى بيدها على مقاليد الحكم فى البلاد سنة ١٢٦ / ١٢٥ ق.م بعد أن أهلكت زوجها ديمتريوس الثانى ، فلما تولى العرش ابنها الأكبر من ديمتريوس وهو سلوقس الخامس (٣) قتلته بالسم ، وعادت ، فيما بعد فنصبت معها فى الحكم ابنها الثانى هو انطيوخس الثامن جريبوس والذى استطاع أن يقتلها قبل أن تقتله (٤) .

مما سبق يتضح أن الملكات السلوقية كان لهن طموحاً كبيراً لتولى مقاليد الحكم والتنافس من أجل الجلوس على عرش الدولة السلوقية فلقد أخذت النساء تتلقى المواطنيه ويوكل إليهن رعاية مصالح الغير Proxeny (٥) من مدن أخرى وتأدية الخدمات على نفس الأسس كالرجال سواءً بسواء . وفى القرن الأول ق.م أصبحت العلاقات بين الجنسين أقل ضيقاً وتعقيداً وصارت طبيعية أكثر من ذى قبل ، ووجدت فئة من النساء كن يؤسسن الأندية ويشاركن فى حياة النوادى ، وإن كان ذلك بطبيعة الحال إلى حد أقل من الرجال (٦) .

1- Bevan (E .) , op . cit ., vol . 1 ,P -236 .

٢- جلانفيل دوانى : مرجع سابق ، ص ٧٥ .

٣ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

4 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 52 .

5 - S . G . D . I . 2685 , 2727 .

6 - Michel , Recuil d'inscri ptions Greeque (1900) , 1001 .

كما كانت المرأة تتلقى تكريماً من الملوك وذلك بإخلاص أسماء زوجاتهم وأمهاتهم على المدن الجديدة التى يتم انشاؤها مثل مدينة ابامية نسبة إلى أباما، كذلك مدينة لاوديقية نسبة إلى لاوديقى (١).

ثالثاً : المرأة والمكانة الدينيه : -

لقد حظيت المرأة السلوقية بمكانة كبيرة فى الحياة الدينية ، فكان يُتلى اسم الملكة فى الصلاة من أجل الملك (٢) . وامتدت هذه المكانة للمرأة فى أن تتولى منصب كاهن بالمعابد ، ففى أمر عالى لحاكم ليديا (٣) سنة ٢٠٥ ق.م . استن انطيوخس " هيئة كاهنات الملكة " تماما كما " " هيئه كهان الملك " دون أية فوارق فى المرتبة بين الكهان والكاهنات (٤) . ويذكر نص الأمر أن على الكاهنات وضع تيجان ذهبية على رؤوسهن مزينة بصورة الملكة ، وكان ترتيبهن فى تأريخ العقود الرسمية يلى كهان عبادة الأجداد الكبار واسم الملك شخصيا (٥) . وأضاف انطيوخس الثالث فى السنة نفسها - أى سنة ٢٠٥ ق.م منصبا جديدا وهو منصب " كبيرة كاهنات زوجة لاوديقى " (٦) وعين فيه سيدة ذات منزلة لتكون كاهنة كبرى لعبادة لاوديقى " ملكة وأخت " فى كل معابد الولاية (٧) . ويبدو أن الكاهنات الكبيرات كن يحملن

---

1 - Rostovtreff (M.) the Social and Economic History of the Hellenistic world , vol . 1 , P - 479 .
2 - O . g . T . S . 219 , 22 .
3 - O . G . I . S . 244 , 249 .

٤ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .
٥ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .
٦ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٣٠٨ .

7 - O . G . I . S . . 233 , 245 , 246 .

لقب (ارخى هيريوس) Archihiereos الذى يدل على انهن كان لهن نوعا من السلطة على كهان أصغر فى المرتبة (١) .

وأعادت ستراتونيقى Stratonice زوجة سلوقس الأول بناء معبد أتارجتيس فى هيرابوليس بامبيكى Bambyce - Hiera polis (منبج) (٢) ، وكانت بعض المدن تكرم بعض الملكات بإقامة التماثيل لهن (٣) .

رابعاً : المرأة والمكانة الإقتصادية : -

لم تقتصر مكانة المرأة السلوقية على الناحية الثقافية والسياسية والدينية فقط ، بل كانت المرأة السلوقية تتمتع بمكانة إقتصادية مرموقة ، فكان يحق للمرأة أن تمتلك الأرض مثل الرجال (٤) . ويوجد نسخة من نقش على حجر يرجع إلى سنة ٢٣٦ ق.م ، حفظت على لوح بابلى سنة ٢ - ١٧٣ ق.م . سجلات الهبات من الأرض وممتلكات أخرى فى بابل منحها انطيوخس الثانى لزوجته لاوديقى (٥) .

وحسب القانون الإغريقى ، لم يكن للبنات أى حق الوراثة فى حال وجود الذكور ، ولكنهم يتمتعن بالأفضلية بالمقارنة مع أقرباء الأب الأخرين (٦) . وكانت البنات يتقدمن الأعمام فى وراثة العرش ، يليهم الأولاد غير الشرعيين (٧) . واستناداً إلى هذه القاعدة أقر السنيات حق

١- مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٣٠٨ .

2 - Rostovtzeff (M .) , op .cit ., P - 438 .
3 - Biker man (E .) , op . cit .. P . 26 .
4 - Rostovtzeff (M .) , op . cit ., P . 489 .
5 - Jbid . , P . 494 .
6 - Biker man (E .) , op . cit ., P . 20 .

٧ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

الاسكندر بالاس وأخته لاوديقى فى وراثة عرش انطيوخس الرابع . وهذا ما رمى إليه سيتسيرون عندما تحدث عن حق ابن انطيوخس العاشر وابنته فى العرش السورى . ولكن السلطة الملكية لم تتوارث عند السلوقيين وفق الحظ الأنثوى فى أى يوم من الأيام (١) .

كما أن الملكات السلوقيات حظيت بشرف من الملوك السلوقيين وضع رسم - دون اسم - زوج الملك الحاكم على العملة (٢) مرتين **أولها** : عندما وضع ديمتريوس الأول رأس زوجه لاوديقى إلى جانب رأسه على عملة ذهبية وفضية ، **وثانيها** : عندما منح اسكندر بالاس هذا الشرف إلى زوجه كليوباترا (٣) . ويرجع أن يكون هذا التكريم قد منح إلى الملكات بمناسبة الزفاف .

وفيما بعد قامت الملكات بتمثيل نفسها على النقود ، فمثلا كيلوباترا المذكورة أنفا أصدرت نقودا تحمل رسمى كليوباترا وابنها انطيوخس الثامن الذى اشركته معها فى الحكم ، وفى عام ١٢٦ - ١٢٥ ق.م أصدرت نقوداً باسمها لوحدها (٤) .

ومن النساء حتى اللائى عشن منهن فى القرن الأول ، من بلغن من الثراء ما أتاح لهن إمتلاك العبيد ، وإن كن يجهلن القراءة والكتابة (٥) . وكثيرا ما كانت المرأة من هؤلاء تنفق أكثر من مائة دراخمة فى ثوب واحد ، كما كن يؤثرن شراء الأنسجة الحريرية الشفافة الغالية الثمن ويتظاهرن بها ، وكانت صحاف الفضة شائعة الإستعمال (٦) .

---

1 - Biker man (E .) , op . cit ., loc - cit .
2 - Rostovtzeff (M .) , Syria and the East , CAH . vll , P . 164 .
3 - Biker man (E .) , op . cit ., P . 180 .
4 - Jbid , Loc . cit .
5 - T . G . Ix , 1 . 3 , 18 , 1066 ; B . C . H . 1898 ., 89 no . 85 , 126 no . 110 .
6 - Ditt 736 II . 18 - 23 .

(ب) الطبقات الإجتماعية

كان المجتمع السلوقى أو الدولة السلوقية يتكون من فئات اجتماعية متفاوتة فى المقام والعدد (١). وكان المجتمع مقسم إلى : -

١ - طبقات الإغريق.

٢ - طبقات الأهالى الوطنيين.

(١) طبقات الإغريق :

كان اهم التغيرات التى طرأت على الأوضاع افجتماعية فى الإمبراطورية هو ذلك التفوق الظاهر والطبيعى لنعرق الإغريقى المقدونى ، وكان الملك وأفراد أسرته يمثلون قمة هذا التفوق ، ويعلون فوق سائر الطبقات التى انقسم إليها الإغريق والمقدونيون (٢).

وكانت الطبقة العليا فئتين :

احداهما حكومية والأخرى غير حكومية . وكانت الفئة الأولى تتألف من كبار مساعدى الملك ، أى كبار موظفى الدولة وموظفى العقر ، من المدنيين والعسكريين .بالإضافة إلى مجلس الملك الذى كان يتكون من أصدقاء الملك ، ومجموعة أخرى تحمل ألقاب معلم " Trophus " وزميل " Syntrophos " وأقارب الملك وكذلك حرس الملك (٣).

أما بلاط الملك فكان يضم الطبقة المؤثرة فى الإمبراطورية وهم الضباط العظماء فى الدولة وعلى رأسهم كبير الوزراء των πραγματων O εττι ، (٤) وهو رجل شريف من النسل الملكى (٥)

---

١ - نقولا زيادة : شاميات ، دراسات فى الحضارة والتاريخ ، لندن ١٩٨٩ .ص ٧٦ .

2 - Rostovtzeff , op - cit ., P - 517 ;

* مفيد رائف العابد : عصر سالوقس الأول ، رسالة دكتوراه آداب عين شمس ١٩٧٥ ، ص ٢٥٣ .

3 - Rostovtzeff (M .) . syria and the East , C . . H . vll , PP - 164 - 5 .

4 - Polybius . V . 41 ; B . C . H . I . , 1877 , P - 285 .

٥ - المكابيين الأول : ٣ ، ٣٢ .

، وفى حالة كون الملك قاصرا يكون على رأس الإدارة فى الإمبراطورية ، وجمع بين وظيفة رئيس الوزراء ونائب الملك أو الوصى επιτροπος (١) ، ومن المحتمل فى معظم الحالات إن لم يكن كلها يكون قريب للملك قرابة من الدرجة الأولى (٢) . وكان من بين مهام وظيفته مساعدة الملك فى تصريف شئون الدولة والتى كان فى مقدمتها مراسلات الملك والشئون الخارجية (٣) .

وكان يضم بلاط الملك أيضا رئيس المحكمة العليا επιστολογραφος (٤) وهو بدرجة وزير ، ولقد تولى هذا المنصب ديونيسيوس Dionysius فى حكم الملك انطيوخس الرابع (٥) . وكان ديونيسيوس ذا ثراء كبير لذلك وضع ألف عبد فى موكب دفنه Daphne ، كل واحد منهم يحمل طبق من الفضة عليها ألف دراخمة أو ما يزيد (٦) .

وكانت تضم هذه الطبقة وزير المالية ο επι των προσόδοι (٧) وكانت هذه الوظيفة من الوظائف الأساسية فى الدولة السلوقية . وكان يتولى هذا المنصب محبوب انطيوخس إبيفانيس هرقلديس Heraclides (٨) وكان يوجد هناك أيضا السكرتير المالى والرئيس البحرى العام (٩) .

---

١ - المكابيين الثانى : ١١ ، ١ .

2 - Bevan (E .) The House of selevcus , vol . 2 , P - 282 .

٣ - مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقيين ، ترجمة حسان اسحق ، دمشق ١٩٩٣ ، ص ١٨١ .

4 - Rostovtzeff (m .) , op - cit ., P - 165 .
5 - Bevan , op - cit ., P - 282 .
6 - Polybius , XXXI , 3 , 16 .
7 - Rostovtzeff . op . cit ., P - 165 .
8 - Appian , syrian wars , 45 .
9 - Rostovtzeff . op - cit ., loc . cit .

وعن موظفى البلاط ، نحصل معلومات من نقش دليان Delian (١) فـى تـكـريـم كرايتروس Craterus الذى عمل فى وظيفة معلم الملك ، وجمع كذلك بين وظيفـة كبير الأطبـاء مـع مرافـق الملكة (٢) ، وكانت رتبته أوا الأصدقاء (٣) . كما عُرف هناك طبيبين عرفا بأنهما أطباء البلاط وتركا بصمتهما فى تـاريخ الطب اليونـانى وهمـا : إيراستراتوس Erasistratas طبيب سلوقس الأول وأبو للوفانس Apollophanes من سلوقيه وكان طبيب انطيوخس الثالث (٤) .

أما الفئة الثانية : -

التى كانت تضمها الطبقة العليا فى الدولة السلوقية هى :

هيئة أصدقاء الملك ، فقد كان الملك يحيط نفسه فى البـلاط بالأشـراف الذيـن يحملـون اسـم الأصدقاء (Φιλοσ) (٥) وكانوا ينتظمون على هيئة جماعة يرتدى أفرادها ملابس وشارات تميزهم ، وكان الملك نفسه يهبهم إياهم (٦) ، كما كان يميزهم إرتداء اللون القرمزى مثل نبلاء مملكة الأخمينيين Achaemenia (٧) ، وهذه كانت عادة منتشرة بين الفرس وبين (٨)

---

1 - Bevan , op - cit ., loc . cit .

٢ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

3 - Bevan , op . cit ., loc - cit .
4 - B . C . H . vll , P - 354 F .
5 - Φιλων σμυταγμα , Polybius , XXXI , 3 , 7 .

٦ - جلانفيل دوانى : انطاكية القديمة ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٦٧ .

7 - Bevan . op . cit ., P . 280 .
8 - Herodotus . III . 7 , etc .

المقدونيين (١) لتقديم هدايا من الملابس غالية الثمن ، وطبقا لإكسينفون Xenophon لا أحد فى البلاط الفارسى يستطيع أن يرتدى مثل هذه الملابس والزخارف الذهبية إلا هؤلاء الذين قد حصلوا عليها كهدايا من الملك (٢)

وكانت تتكون هذه الهيئة من الموظفين الكبار للمملكة والوزراء المختلفة الإدارات وكبار ضباط الجيش . وكانوا يؤلفون مجلسا (συνεδριον) الذى يساعد الملك بنصائحهم فى شئون الدولة (٣) . وكان الإمتياز الخاص الذى ينفرد به " الأصدقاء " هو أنه كان لهم الحق المطلق فى حرية الإتصال بالملك ، وأنهم كانوا يرافقون الملك فى الحروب ويخضون المعارك إلى جانبه (٤)

وبالرغم من أن الأصدقاء كلهم كانوا مميزين بحللهم القرمزية اللون ، إلا أنه كان فى داخل هيئة الأصدقاء رتبا مختلفة (٥) ، كما كان هناك مجالا تدريجى من البهاء لمختلف الرتب ، فيوجد مثلا الدبوس broach الذهبى الذى كان يمنح عادة لأقارب الملك الذكور (٦) ، وكان القريب يشبك رداءه أو عباءته بواسطة هذا الدبوس الذهبى ، كما كان يحق له الشراب فى كؤوس ذهبية والتحلى بالسلاسل والأساور الذهبية والنوم فى الأسرة الذهبية (٧) .

" كان قبول الأصدقاء فى هيئة الأصدقاء " يعتمد كلية على إرادة الملك فكانت منزلة الشريف ألا يملك أى شىء لنفسه ولا يستطيع نقله إلى ورثته ، بمعنى أن هذه الألقاب ليست

---

1 - Plut . Eum - 8 .
2 - Bevan , op -cit .. loc . cit .
3 - Bevan , op - cit .. P - 280 .

٤ - جلانفيل دوانى : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

5 - Bevan , op - cit .. P - 281
6 - Jbid .. P . 231 .

٧ - مفيد رائف العابد : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

وراثية (١) . ولكن من المحتمل فى حالات معينة كانت تمنح هذه الألقاب بأمر ملكى ففى المكابيين الأول " فالآن إبدأ أنت وتقدم لإمضاء أن الملك كما فعلت الأمم كلها ورجال يهوذا ومن بقى فى أورشليم فتكون أنت وأهل بيتك من أصدقاء الملك وتكرم أنت وبنوك بالذهب والفضة والهدايا الكثيرة " (٢) . ولقد توقفت عندما انتقل التاج إلى القرباء (٣) . كما قُبل فى هيئة أصدقاء الملك كشخص جديد يوناثان الذى كان يعمل كاهنا أكبر των πρωτων φιλων لديمتريوس الثانى (٤) .

ولم يكن هناك مواصفات معينة للإنضمام إلى " هيئة أصدقاء الملك " سوى إسعاد هوى الملك لكى ينضم الإنسان إلى طبقة الأصدقاء . وكان أى واحد من جمهور الطفيليين الذين حققوا فرص مكسب أو تكريم للبلاط الملكى يجب أن يقلد رتبة فى طبقة الأصدقاء ، مهما كان بلده الأصلى داخل سلطة أو خارجها ومهما كانت جنسيته اغريقى أو شرقى (٥) . ويوجد دليل على ذلك وهو هيجيسيا ناكس من اسكندرية طرواد Hegesianax of Alexandria Troad أصبح صديقا لا نطيوخس الثالث لإلقائه شعرا فى تكريم الملك ديمتريوس (٦) .

أما عن ثراء هذه الطبقة ، فكان لكل واحد من هذه الطبقة بيت أو بالأخرى قصر يتضمن المئات من التابعين والخدم (٧) . وكان معظم أفراد هذه الطبقة أو بالأخرى كلهم أوسع

---

1 - Bevan , op - cit ., P 282 .

٢ - الإصحاح الثانى ، ١٨ .

3 - Bevan , op . cit ., loc . cit .

٤ - المكابيين الول : ١١ ، ٥٧ .

5 - Bevan , op . cit ., P . 282 .

6 - Jbid .

7 - Rostovtzeff (M .) . The social and Economic History of the Hellenistic world , Camlridge 1953 , P . 517

الناس نفوذا أو أكثرهم ثراء بفضل ما أسنده إليهم صاحب العرش من مناصب وما أفاءه عليهم من خيرات فنحن نعرف مثلا أن كلا من ارستوديسيدس (أحد الرجال المقربين إلى أنطيوخس الول على الأرجح) وأثينا يوس (أحد قادته البحريين) منح آلافا من الوحدات الزراعية فى أخصب الأراضى بالقرب من مدينتى اليون وسكبسيس Scepsis (١) . كما نعرف أن هرياس الوزير الأكبر لأنطيوخس الثالث كان غنيا إلى حد أنه أعطى الجنود مرتباتهم عندما عجز الملك عن دفعها (٢) .

وأما الفئة غير الحكومية من الطبقة العليا فكانت تتألف من كبار التجار فى المدن التجارية الكبرى مثل بابل وسلوقية دجلة ، وبعض مدن القوافل السورية مثل دورا يوروبوس ، وفى أسيا الصغرى مثل طرسوس ، الذين كان بعضهم على الأقل من أصل اغريقى أو مقدونى (٣) . وكان التجار الأثرياء من " ديلوس " الذين كان بعضا منهم سوريين عهدوا إلى فنانين من سوريا وفينقيا بتزين منازلهم بأرضيات الفسيفساء (٤) . ومن الجائز أن هذه الطبقة كانت تضم كذلك أقطاب الصناعة (٥) .

الطبقة الوسطى : -

وكانت الطبقة الوسطى تتألف من أربع فئات ثلاث منها حكومية والرابعة غير ذلك . وكان أهم هذه الفئات جميعا هى فئة صغار ضباط الجيش الذين تمركزوا فى عواصم الإمبراطورية وبخاصة فى أنطاكية وأبامية ، أو فى المستعمرات العسكرية القريبة أو البعيدة عن المدن .

---

1 - Welles . op - cit ., 10 - 13 .
2 - Polybius . V . 50 .
3 - Rostovtzeff . op . cit ., PP 518 - 9 .
٤ - مصطفى السيد ابراهيم ، المنافسة الإقتصادية بين سورية ومصر فى العصر الهلينستى ، رسالة دكتوراه آداب المنيا ١٩٩٥ ، ص ٣٢٥ .
٥ - مفيد رائف العابد ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤

الكبرى مثل معسكر طيسفون Tesiphon قرب سلوقية دجلة (١) ، أو فى دواريورويوس . وكان هؤلاء يتلقون إلى جانب واردات إقطاعاتهم رواتب منتظمة ، ويعيشون وخاصة فى حالة السلم عيشة رتيبة فى ثكنات أو منازل خاصة داخل المدن . σταθμοι (٢) ، وقد استغل غالبيتهم بعض امتيازاتهم الوظيفية داخل المدن التى استقروا بها أو إلى جانبها بغرض تحسين أوضاعهم المادية ثم الإجتماعية .

وكانت الفئة الثانية : -

تتألف من كبار صغار الموظفين الإداريين والجباة ومقدرى الضرائب (٣) الذين انتشروا فى أرجاء الإمبراطورية ، وكذلك من أولئك الذين كوادر البيروقراطية السلوقية فى المدن الإغريقية وبخاصة الحديثة منها (٤) .

وكانت الفئة الثالثة : -

تتألف من المستوطنين العسكريين أصحاب الإقطاعات ، الذين أصبحوا بفضل إقطاعاتهم التى منحوها (٥) فى عداد الطبقة الوسطى . ولكن من هم أصحاب الإقضاعات ؟ والإجابة على هذا التساؤل هى : هؤلاء الرجال كانوا العمود الفقرى للجيوش السلوقية أى الفيلق الإغريقى المقدونى ، وكان ولاؤهم للملك السلوقى المتربع على العرش خير ولاء ينبىء عن حسن أحوالهم (٦) . وكان أصحاب الإقطاعات معظمهم من أصل مقدونى أو إغريقى فرضوا على أبناء البلاد

---

١ - نقولا زيادة : شاميات ، ص٢٥٦ .

2 - Welles , op . cit ., 19 ; Rostovtzeff , op . cit ., P . 518 Biker man , op - cit .. P . 94 .
3 - Rostovtzeff , op . cit . loc . cit .
4 - Jbid .,
5 - Jbid .
6 - Tarn , op . cit ., P . 157 .

الوطنيين (١) ، أى أن الكليروس Cleros قد أعطى بصفة خاصة من الملك للأجانب وليس لأبناء البلاد . وكان الكليروس يقع بصفة عامة خارج القرية الأصلية (الأم) (٢) .

وكان كا صاحب إقطاع يتسلم نصيبه إما هبة من الملك أو يدفع ثمنها أو تعطى له مقابل إيجار كما فى مصر . وكان صاحب الإقطاع يدفع ضرائب سنوية على أرضه إلا أنه كان يوجد مجموعة من أصحاب الإقطاع تلقت أحيانا إعفاءات من ضريبة الأرض أو ضريبة العشر على المحصول (٣) . وفى حالة دفع الإيجار للملك كان يدفع بعملة ذهبية (٤) .

ويوجد دليل يوضح ذلك ألا وهو ماحدث فى أراضى دورا يوروبس Dura - Europos على نهر الفرات ، فلقد قسمت الأرض المحيطة بالمدينة ، والأراضى التى تقع على الضفة الأخرى لنهر الفرات إلى Ekades , kleroi (٥) ويحتمل أن يكون ekas حصل على عشرين إقطاع ، وربما يكون Ekas اسم شخص أطلق على الضباط الذى قسم الـ kleroi بين ملاكهم الأصليين .وكان يدعى قائد مجموعة أرباب الإقطاعات بـ كليروخوى Klerouchoi ولقد احتفظ أصحاب الإقطاعات كما حدث فى مصر بأسماء ملاكهم الأصليين وألت الإقطاعات بالميراث (٦) .

ولقد أظهرت النقوش التى عثر عليها بسوسا أنها كانت تعد مدينة اغريقية وأنها مع ذلك كان بها أصحاب إقطاعات من الأراضى المخصصة للجند Kleroi (٧) .

---

1 - Rostovtzeff . op . cit ., P . 493 .
2 - Jbid ., P - 496 .
3 - Cary (M .) . History of the Greek world from 323 - 146 B . C ., London 1951 . P - 257 ; Rostovtzeff . syria and the East , C . A . H . vII . P 171 .
4 - Jbid ., P . 182 .
5 - Jbid ., P . 186
6 - Jbid ., P . 186 .
7 - Tarn . op . cit ., P . 160 .

ويوضح دليل أخر نظام الإقطاعات بعد تأسيس مدينة أنطاكية (١) . فلقد كانت المقاطعة التى ضمت إليها معروفة المساحة ومقسمة إلى إقطاعات كحصص مخصصة للجند kleroi كما حدث فى المستعمرات اليونانية بصفة عامة ، وكان يخصص للمدينة جزء من هذا kleroi حسب المقدرة الخاصة بالمدينة ، وباقى kleroi كان يجب أن يقسم على المستوطنين الأوائل للمدينة ، الاغريق والمقدونيين ، والنبلاء وأعضاء مجلس النواب والجنود والمدنين (٢) .

ويتبين قانون الوراثة المستخدم فى دورا يوروبس ، أن صاحب الإقطاع وإن كان يحق له أن يتصرف فى نصيبه على الدوام ، وكان يستطيع أن يبيع ذلك الحق المكتسب أو يهبه للغير . إلا أن الملك كان مع كل ذلك هو المالك النهائى ، وذلك لأنه كان فى حالة وفاة أحد الأفراد بلا وصية يحتفظ بحق استرداد هذه الأملاك فى حالة عدم وجود ورثة (٣) .

وأما الفئة الرابعة : -

أى الفئة غير الحكومية فإنها كانت تتألف من أولئك الرجال الأحرار الذين جاءوا من مقدونية ومن مدن كثيرة فى بلاد الإغريق القارية أو الجزر وغيرها على مدن الإمبراطورية السلوقية القديمة والحديثة ، وشكوا فى مراكز التجمع البشرية هذه نواة للبورجوازية الصغرة (٤) وهم الفلاسفة والعلماء والمدرسين والأطباء والمحامون والفنانون ومتوسطو الحال من الصناع ومن التجار (٥) . فقد جاء أولئك جميعا يبحثون عن فرص جديدة للحياة فى العالم الجديد عليهم ، وبالرغم من ذلك لم تستطع هذه الفئة الحصول على أية إمتيازات ، إلا أنها

---

1 - Rostovtzeff, the sacial and Ecenonic History, voi. 1. P 481.
2 - Rostovtzeff, the social and Economic History, vol. 1. P - 481.
3 - Tarn, op. cit., P. 160.

٤ - مفيد رائف العابد : عصر سلوقس الأول ، ص ٢٥٥ .

٥ - نقولا زيادة : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

كانت تمت بصلة إلى العنصر الإغريقى والمقدونى (١) .

ومن المحتمل أن الطبقة الفقيرة أو الطبقة الدنيا لم تقتصر فى إحتوائها على الأهالى الوطنيين الذين أدت بهم ظروف السيطرة المقدونية إلى استئثار هذه الطبقة بهم ، بل كانت تضم هذه الطبقة بعض الإغريق والمقدونيين الذين عملوا جنبا إلى جنب مع الفلاحين فى مزارع كبار أصحاب الضياع الكبيرة أو فى دور الصناعة فى المدن . وإن كان المستبعد إحتواء الطبقة الفقيرة على نسبة كبيرة منهم ، وبخاصة خلال الفترة الأولى من الحكم المقدونى على الأقل (٢) .

٢ – طبقات الأهالى الوطنيين :–

لاشك فى أنه يوجد تباين فى سمات كل عنصر من مجتمع أو مجتمعات أى عنصر من العناصر الوطنية أولاد البلاد الأصليين فى الإمبراطورية السلوقية . ذلك أن الطبقة العليا كانت تتألف من كبار أصحب الأراضى فى المجتمع الإقطاعى ، ومن كبار الكهنة فى المجتمع الكهنوتى ، ومن أوسع التجار ثراء فى المجتمع التجار ، ومن رؤساء العشائر فى المجتمع القبلى (٣) . كما أن المقصود من الطبقة العليا الوطنية فى أى مجتمع وطنى هى تلك الطبقة المكونة من أعظم المواطنين شأنا فى مجتمعها وأكثرها ثراءاً ، دون أن تكون هذه الطبقة تضارع أو تدانى فى أهميتها تلك الطبقة العليا المكونة من سادة الإمبراطورية ، أى الإغريق والمقدونيين ، " اللهم إلا إذا استثنينا أبرز عناصر البقية الباقيه من نبلاء الفرس وهم الذين نرجح أن يكون سلوقس قد اصطفاهم وخلع عليهم ألقاب التشريف كسبا لودهم وضمانا لطاعتهم من أجل تأمين احتفاظه بسيطرته على اقاليمهم " (٤) .

---

1 - Rostovtzeff , op . cit .. P . 519 ; Carg , op . cit .. P . 250 .

٢ – مفيد رائف العابد : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٣ – مفيد رائف العابد : عصر سلوقس الأول ، ص ٢٥٦ .

٤ – المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ومما يجدر ملاحظته هو أنه إذا كان وصف المجتمع بأنه تجارى أو إقطاعى أو كهنــوتى أو قبلى يدل على الطابع العام الذى خلعته عليه أبرز مسمه لأوضاعه الإجتاعية ، بمعنى أنه إذا وُصف المجتمع بأنه إقطاعى ليس معنى ذلك أن هذا المجتمع لم تمارس فيه الصناعة والتجارة ، وكذلك إذا وصف المجتمع بأنه كهنوتى حيث كانت الكهانة بمراتبها المختلفة مصدر ما يقابل هذه المراتب من مكانة وموارد ليس معنى ذلك أنه لم تمارس فى هذا المجتمع الزراعة والصناعة والتجارة ، أو أنه فى المجتمع التجارى حيث كانت التجارة تعتبر أعظم مصدر للدخل لم تمارس فيه الزراعة والصناعة (١) .

وإذا ما نظرنا إلى التجار فى هذه الطبقة ، نجدهم تمتعوا بمكانة لا بأس بها كان بعض هؤلاء التجار منظما فى تجمعات غنية وقوية ، حيث نجد نقابة سكان بيروت من عبدة بوسيدون تجار وملاحين ووكلاء شحن (٢) . وإن المركز الرئيسى لهذه الرابطة تم بناءوه فى منتصف القرن الثانى ق.م ومركز هذه الرابطة عبارة عن فندق وهو يجمع بين ساحة معمدة كبيرة ومعبد بمصليات شتى ومكان للإجتماع ومهابط للوصى (٣) .

وما يؤكد غناء طبقة التجار هو أن البيردتيين المقيمين فى ديلوس كان لديهم على الأرجح وكلاء مخازن فى كلا من ديلوس وبناء البلد الأصلى لكى يضمنوا الشحن والتفريغ الضرورى فى كلا الطرفين (٤) . ومعنى ذلك أنه لولا غنى هؤلاء التجار وإستطاعوا تشغيل وكلاء لهم فى ميناثين إحدهما خارج وطنهم والثانى فى وطنهم وما يتطلبه ذلك من وكلاء وعمال تشغيل وعمال تخزين ومخازن . كما وجد فى ديلوس أيضا رابطة عبدة هيراكيس من صور وكانوا تجاراً

---

١ - مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقيين ، ص ٢٨٨ .

٢ - مصطفى السيد الجندى : المنافسة الإقتصادية بين مصر وسوريا فى العصر الهلينستى رسالة دكتوراه آداب المنيا ، ١٩٩٥ ، ص ٣٢٣ .

3 - Rostovtzeff, op. cit., P - 791.

٤ - مصطفى السيد ابراهيم : مرجع سابق ، ص ٣٢٤ .

وشاحنين (١) .

وكل ما سبق يؤكد ثراء التجار الوطنيين وامتداد نفوذهم ونشاطهم إلى خارج البلاد ، مما دفع رستوفتراف إلى القول " بأن التجار السوريون قد لعبوا فى الحياة السياسية لديلوس دورا ذى أهمية متزايدة على دور الإيطاليين مباشرة " (٢) . وكان من صور هذا الثراء قيام التجار الأثرياء من " ديلوس " والذين كان بعضا منهم سوريين عهدوا إلى فنانين إغريق من سوريا وفينقيا بتزيين منازلهم بأرضيات الفسيفساء (٣) .

أما الفئة الثانية التى تتكون منها الطبقة العليا الغنية من الوطنين فهى الكهنة ، حيث عرفت الدولة السلوقية ما يسمى بدولة المعبد ، وكان يقف على رأس دولة المعبد الكاهن الأكبر ، ومجلسها مكون من رؤساء العشائر المميزة ، وكل مجموعة الأشخاص المشتركين فى العبادة تتكون منهم الحكومة والارستقراطية فى البلد (٤) .

وكان الكاهن الأكبر هو حاكم دولة المعبد ، وهو كبير الكهنة يتولى منصبه بالوراثة ، وكان الكاهن الأكبر يحكم أراضى دولة المعبد بما عليها من فلاحين هم " فلاحو الرب " وإليه كانوا يدفعون الضرائب (٥) . وكان يوجد لدى الكهنة الكبار خزانة ملكهم ، وكان مصادر تحويلها يتم عن طريق الضرائب التى يدفعها الناس (٦) .

وإذا كان منصب كبير الكهنة بالوراثة ، إلا أنه كان يعين من قبل الملك وتدل وثيقة على أن

---

١ - المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

2 - Rostovtzeff . op . cit ., PP - 702 - 864 .

٣ - مصطفى السيد ابراهيم ، مرجع سابق ، نفس الصفحة .

4 - Rostovtzeff , syria and the East . C . A . H . vll. P - 193 .

5 - Tarn . op . cit ., P - 139 .

6 - Rostovtzeff . op . cit ., loc . cit .

جميع المعابد فى دفنه – وليس المعبد الرئيسى معبد أبو للو وحده بل المعابد الأخرى أيضاً – كانت تحت إشراف رئيس واحد للكهنة ، كان الملك هو الذى يعينه ، وكان لكل معبد على حده كاهنة الخاص (١) .

ومن هؤلاء كان الكاهن الذى عينه انطيوخس الثالث من قدماء رجال الجيش الملكى ، وكان يهدف الملك من وراء ذلك أن تكون معابد دفنه تحت إشراف رجل يمكن الإطمئنان إليه فى إدارة هذا المعبد الذى كان له أهمية فائقة من الناحية المالية ومن ناحية الأغراض الدينية فى أن واحد (٢) .

وكان من الأمور العادية فى العالم اليونانى والهلنستى بيع منصب الكاهن (٣) ، ومن هذه الحالات استمالة ياسون Jason الحكومة السلوقية بزيادة الجزية لكى يقيموه كاهن أعلى فى مكان أخيه . وكان هذا له أثره عند الحكام السلوقيين ، فلقد كان انطيوخس سعيد لرغبة اليهود الهلينون الكبيرة وتحت كهانة ياسون تحولت القدس إلى مدينة يونانية ، ومواطنيها كأنطاكيين (٤) .

وكذلك عندما سعى منلاوس إلى الملك ليتولى الكهنوت الأعظم بأن زاد ثلاث مئة قنطار فضة على ما أعطى ياسون (٥) . وحيث أن فيلاوس لم يكن من سلالة الصدوقيين ، فلم يكن له دفق العرف والشرع اليهودى اى ادعاء بالمنصب ، كما أنه لم يكن يأبه للتوراة على الإطلاق وأصر على جعل القدس مملكة مدينة هيلنستية نموذجية ، ولقد دفع مرة ثانية مبلغان من المال لجعل القدس بوليتيوما Politeuma فى أنطاكية ، أى نوعا من الكيان المنفصل فى العاصمة

---

1 - Welles , op . cit ., 44 ; جلانفيل دوانى : مرجع سابق صص ٦٨ - ٦٩

٢ - المرجع السابق ، ص ٦٩ .

3 - Rostovtzeff , op - cit ., loc . cit .

٤ - المكابيين الثانى : ٤ ، ٩ .

٥ - المكابيين الثانى : ٤ ، ٢٤ .

السلوقية ،(١) وأعاد تسمية القدس أنطاكية فى منطقة اليهودية (٢) .
مما سبق يتضح أن فئة الكهان كانت تتمتع بمكانة كبيرة ، بل أنهم لعبوا دورا هاما جدا ليس فقط فى الدين ، ولكن فى الحياة الإجتماعية والإدارية والإقتصادية والعدالة للمجتمع (٣) .

ولا ريب فى أن السلوقيين احتفظوا بعلاقات ودية مع الطبقة العليا من الوطن (٤) ، وبعض هؤلاء أبناء البلد الأغنياء ، تمتعوا بثقة حكام عصرهم ، ولعبوا دوراها فى حياة مدنهم بإعتبارهم عملاء للحكومة (٥) . وفى فترة متأخرة من حياة الإمبراطورية السلوقية شاع الزواج المتبادل بين الأغنياء من الأسر الإغريقية والأسر الوطنية فى مدينة يوروبوس مثلا (٦) .

الطبقة الوسطى :-

تتألف هذه الطبقة من متوسطى الدخل الذين يتكسبون رزقهم من ممارسة الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، أو إحدى المهن ، أو من العمل فى وظيفة حكومية صغرى . ومن المحتمل أن أفراد هذه الطبقة الوسطى استمروا يعيشون على منهج معيشة اباؤهم وأجدادهم . ولم يتأثر بالحضارة الإغريقية من بين كل أفراد هذه الطبقة إلا ثلاث فئات (٧) يختلف عددها بإختلاف نوع مجتمعها

أولاً : أولئك التجار الذين كانوا كثيرى الإختلاط مع الإغريق مما دفعهم إلى تعلم الإغريقية وربما أدى إلى اقتباسهم بعض المظاهر الإغريقية مثل الملبس .

---

١ - كامل جميل العسيلى : القدس فى التاريخ ، منشورات الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٢ ، ص ٨٦ .

٢ - المرجع السابق ، ص ٨٧ .

3 - Rostovtzeff the sociol and Economic Histovg vol . 1 , P . 504 .

٤ - فاروق حافظ القاضى : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

5 - Rostovtzeff , op . cit ., P - 519 .

٦ - فاروق حافظ القاضى : مرجع سابق ، نفس الصفحة .

٧ - مفيد رائف العابد : عصر سلوقس الأول ص ٢٥٧ .

وثانيا : ، أولئك الذين تطلعوا إلى العمل فى مجال الوظائف الحكومية . وحيث أن الإغريق كانت اللغة الرسمية للدولة السلوقية ، وكان تعلم هذه اللغة شرطا لشغل الوظائف الحكومية ، ويحتمل أيضا أتخاذهم الزى الإغريقى .

ثالثا : ، أخر هذه الفئات هم أولئك الذين رغبوا فى أن يستزيدوا من معارف الثقافة الإغريقية . ويرجع أن هذه الفئة كانت قليلة العدد ولكنها كانت أكثر من غيرها حظا من الثقافة الإغريقية (١) .

الطبقة الدنيا : -

وتأتى هذه الطبقة فى مؤخرة الطبقات ، وكانت كما هى الحال فى كل عصر ومكان أكثر الطبقات عددا وأقلها حظا من متاع الدنيا وبحكم أن الإمبراطورية السلوقية شأنها شأن الإمبراطورية الفارسية كانت قبل كل شىء بلاداً زراعية ، فإن الأهالى الوطنيين (Laoi) الذين يعملون بالزراعة كانوا يشكلون الغالبية العظمى من أفراد الطبقة الدنيا (٢) .

وكان فريق من هذه الطبقة الكادحة يعملون فى دور الصناعة ، وفريق أخر يتكسبون قوتهم من العمل بالتجارة فى أضيق نطاق (٣) .

استمر الفلاحون يخدمون الأرض سواء كانت أرض الملك أو أرض اقطاع أو أرض أنصبة ممنوحة Cleroi . وظل الفلاح فى الدولة السلوقية يعتبر مولى أرض وليس شبه مولى كما كان فى مصر البطلمية (٤) . وكان يعيش الفلاحون فى بؤس وشقاء ، إلا أن بحوث تطور وحيد فى حياتهم عندما كانت تضم أراضيهم إلى أرض الملك أو تمنح إلى مدينة فيتحررون من ربقة الولاء وكونهم موالى Laoi إلى مستوطنين وراثيين أحرار Katoikoi ، وفى بعض الأحيان كانت قراهم

---

١ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٢ - مفيد رائف العابد : مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .

٣ - المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

٤ - مفيد رائف العابد : إنشاء المدن فى إطار السياسة السليوكية لهلينة سورية ص ١٣٤ .

تسعى فى الحصول على ضرب من الحياة الجماعية (١).

ولقد عاش الفلاحون الوطنيون فى قرى حافظت على وضعهم وطريقة حياتهم دون اهتمام بتغيرات الملوك (٢)، وكانوا ملزمين بدفع نسبة معينة من الحصاد لنمالك الإقطاعى وأيضا ربما كمية معينة من العمل بطريق السخرة (٣).

وكان يسمى الفلاحون الوطنيون و λαοι or σωη ατα λαικα وفى الفينيقية الـ λαοι كانوا أقنان أو عبيد (٤). وحيث أن λαοι كانوا مرتبطين بالأرض، فعند بيع الأرض أو منحها، قد تتغير حالتها بالكامل وتصبح أرض مدينة، وفى هذه الحالة، كان ينبغى أن يغير λαοι تمييزهم وليس مكانتهم، وبدلا من λαοι ينبغى أن يصبحوا tiapikoi أو katoikoi فى المدينة (٥)

وكان الـ λαοι يتمتعون بحرية معينة ومحدودة فى إنتقالتهم، ومن المحتمل أيضا أنهم تمتعوا بنوع من المنظمات النقابية (٦).

وكان مسموح بيع اللاويين وشراؤهم، إلا إذا ثبت من التقص أن الشخص المباع كان قبل بيعه عبدا فعندئذ يجب أن يبقى لدى مالكه. وهكذا يمكن القول أن الإنتساب إلى فئة λαοι لا يعنى فقدان الحرية الشخصية أو الحفاظ عليها (٧).

1- Tarn . op . cit .. P . 135 .

2- Jbid ., P . 147 ; فيليب حتى : مرجع سابق، ص ٢٩٥.

3- Rostovtzeff . Syria and the East, C . A . H . vll . P . 183 ; Tarn . op . cit ., _ . 153 .

4- Rostovtzeff . op . cit .. loc . cit ., Rostovtzeff , the social and Economic History . vol . 1 , PP - 511 - 12 .

5- Jbid .. P . 509 .

6- Jbid . P . 508 .

٧ - إ. ش - شيفمان : مرجع سابق، ص ٣٩.

وتشير وثائق مملكة السلوقيين إلى أن بيع الـ λαοι كان مشروطا (١) بعدة شروط ، فالنقش الذى يحتوى وثائق بيع لاوديقى قرية بانوكومى (٢) . يشير إلى أن الشارية إلى جانب امتلاكها مختلف Topoi التى من الممكن وجودها فى باتكومى تحصل على الـ λαοι العائدين لها مع كل ما يملكون . كما يعطى لها أيضا أولئك الـ λαοι الذين نشأوا فى Topi وانتقلوا إلى أماكن أخرى . وهكذا يتضح أنه بموجب عمليات البيع والشراء هذه ، حصلت لاوديقى على حق ملكية القرى والـ Topi والـ λαοι (٣) . الذين جرى اعتبارهم أيضا موضوعا لهذه العملية التجارية(٤) .

ولقد كان من حق الملك أن يتنازل عن الأرض والناس العاملين فيها فلقد تنازل الملك عن بعض الأراضى إلى مينسيماخ ، اثينا لأى شخص ، وميلياجر فى أسيا الصغرى ، ومستوطنات باتيوكيكى فى سوريا التى أهديت إلى دميتريوس . ويتضح أن الملك فى هذه الحالات تنازل عن عائدات هذه العقارات ، أما ساكنوها فقد ظلوا تابعين للملك تبعية مباشرة (٥) . وعندما كان الملك يتنازل أيضا عن الأرض كان يضع شروطه فمثلا كان يجب على اديستوديكيد الذى أهداه الملك بترا ، أن يبقى على الفلاحين الساكنين هناك إذا هم أرادوا ذلك (٦) .

وتذكر نقوش منسيماخ Mnesimachus أن أملاكه تتألف من عدد من القرى والكليرات التى تعطى لمالكها دخلا يرمز إليه بمصطلح Phros ، ولكن أن يكون الـ Phros نقدا أو سخرة أو الإثنين

---

١ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

2 - O. G. T. S.. 225 ; Biker man (E .) , Institution des Seleucides . Poris 1938 . PP . 122 , 127 .

٣ - مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقيين ، ص ٢٩٠ .

٤ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

5 - Biker man , op . cit ., P - 150 .

6 - Jbid .,

معا ، وعليه فإنه من غير المستبعد أن تكون الأتاوات التى أداها لاوى λαοι لاوديقى نقدا و سخرة (١) .

ومما سبق يستنتج أن مصطلح Laoi كان يرمز إلى فئة من الناس يمكن أن تضم أحراراً وتابعين بغض النظر عن حالهم السياسية ، وأن هذه الفئة عاشت تحت السلطة المباشرة للملك وفى أرضه (٢) . ومن هنا جاء فى نقسن ارسيتوديكيدس مصطلح Laoi basilikoi أى " ناس الملك " (٣) . وكان نتيجة احتفاظ الملك السلوقى بالجانب الأكبر من أرضه " أرض الملك " أن ظلت الغالبية العظمى من المزارعين على حالها السابقة على الأقل طوال جانب كبير من العصر السلوقى . كما ازداد العداء الشديد بين هؤلاء المواطنين الريفيين وبين اغريق المدن (٤) ، وابتعدت هذه الطبقة عن التأثيرات الإغريقية ، وتمسكت بدينها ، وعملت على كاربة الآلهة الأجنبية التى عبدت فى المدن (٥) . و إن ذلك على شىء يدل على استمساك هذه الطبقة بأساليب حياتهم الإجتماعية وعاداتها وتقاليدها (٦) .

العبيد :

كان العبيد فى الدولة السلوقية يمثلون أشد الفئات بؤسا وكدحا ، وكانوا يُملكون ولا يمتلكون ، وكانت تجارتهم من العناصر الهامة فى التجارة السورية ، وازدادت هذه التجارة

---

١ - إ - ش . شيغمان : مرجع سابق ، ص ٤٠ .

2 - Tarn . op . cit ., P . 147 .

3 - Rostovtzeff , syria and the East , C . A . H . vll , P . 181 ;

إ . ش - شيغمان : مرجع سابق ، ص ٤١ .

4 - Rostovtzeff , the social and Economic History , PP - 1104 - 5 .

5 - Jbid .

٦ - مفيد رائف العابد : عصر سلوقس الأول ، ص ٢٥٩ .

كثيرا بين الدولة السلوقية ومع البلاد المجاورة (١) . ويرد القانون الإغريقى العبودية إلى أربع أسباب (٢) : -

أ - الأسر فى الحرب

ب - خطف الأحرار واستعبادهم عنوة ، وكان هذا أمراً غير مشروع

جـ - اعتبار أبناء الإماء عبيدا سواء أكان اباؤهم أحراراً أم عبيداً

د - التقاط الأولاد الذين وأدهم ذووهم وتربيتهم عبيداً

وفى القرن الثالث والثانى ق .م حصل تدفق الرقيق بصورة مستمرة نحو المدن اليونانية فى الغرب أتيا إليها من سورية والبلاد المجاورة (٣) . وكانت تجارة العبيد تتم بصورة علنية بشرط الحصول على إذن قانونى مسبق بإستقدام العبيد ، وفى حالة عدم وجود مثل هذا الإذن كانت تتم هذه الصفقات فى الخفاء ، وكان يفرض ضريبة بيع على مثل هذه التجارة . ويؤكد ذلك مايذكره إ .ز . شيغمان (٤) . " فى عام ٢٥٧ ق .م يجرى الكلام عن شخص ما من صور (؟) يدعى مينيكلا جاء بالعبيد والبضائع من غزة إلى صور ثم أخفى هذه الصفقة عن محصلى الضرائب مع العلم أنه لم يحصل على إذن قانونى سبق بإستقدام العبيد "

بمعنى أنه كان من الضرورى الحصول على هذا الإذن حتى لاتصادر هذه الصفقة والهدف من ذلك بالطبع هو تحصيل ضريبة البيع .

اما عن أنواع العبيد فكان يوجد ثلاثة انواع من العبيد (٥) .

---

١ - فيليب حتى : مرجع سابق ، ص ٣٠١ .

٢ - ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ ٤ ، ص ٢٣ .

٣ - فيليب حتى : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٤ - إ .ش . شيغمان : المرجع السابق ، ص ٢١ .

5 - Rostovtzeff, Op . cit ., Vol . 1 . P - 537 .

اولهما : عبيد المعابد

وثانيهما : عبيد فى خدمة الملك ومختلف فروع الإدارة ،

وثالثهما : عبيد تنتمى لأشخاص خاصة .

وكانت أسعار العبيد تتفاوت من عصر إلى عصر ، فلقد هبط سعر العبيد إلى أسفل فى الفترة السلوقية بالمقارنة بما كان سائدا فى الفترة الفارسية ، ولقد وصل تقريبا إلى مستوى منخفض فى الفترة البابلية الجديدة ، ويلاحظ أن سعر النساء كان أعلى من سعر الرجل (١) . وأعلى سعر تذكره السجلات هو خمسة وعشرون ميئات دُفعت ثمنا لإدارة فريجية (٢) . وكان العبد المولود بالمنزل والمدرب منذ صغره أعلى قيمة ، ويرجع السعر فى هذه الأسعار العالية إلى توافر بعض المهارات الخاصة بالعبيد (٣) .نسبة العبيد حسب الجنس : -

كانت النسبة متعادلة بين الرجال والنساء من الرقيق المشترى بالمال ، أما الرقيق المولود بالمنازل ، فإن لعدد النساء فيه - بالقياس على عدد المحررين من أفراده - اغلبية كبرى ، بحيث يبدو أن الطفلة التى كانت تلدها إحدى الجوارى كانت فرصة البقاء لها أحسن مما لوكانت أمها من الأحرار (٤) . وكان الرقيق المشترى بالمال أوفر عدداً بكثير من المولود بالمنازل . وأغلب الجنسيات شيوعافيهم هى الإغريق والتراقيون Thracian والسوريون Syrians ، وإن وجد ارقاء من كل جنسية إبتداء من قوم الباستارناى Bastarnae إلى بلاد العرب (٥) . وكان عمال المناجم وعمليات البناء والأشغال العامة تقريبا كلهم من العبيد ، وكانت المعابد أيضا تملك

---

1 - Jbid ..
2 - Tarn . op . cit ., P . 106 .
3 - Jbid ..
4 - Jbid .. P . 105 .
5 - tarn . op . cit ., loc . cit .

وتتاجر فى هذه البضاعة البشرية (١) .

ولقد وُجد فى المعابد تلك الأعداد الكبيرة من رقيق المعبد الإناث اللاتى كانت كثيرات منهن بغليا مقدسات يقمن على خدمة رب الخصب وعبادتها وهن فى العادة من بنات موالى الرب اللائى كنا يخدمن فى المعبد قبل أن يصبحن زوجات للفلاحين ، ذلك أن الأرض ومن عليها من أناس يعيشون بقوة الربة ، لذا فإن تقديم البنت للمعبد كان الهدف منه المعاونة فى نشر سلطان الربة وهذا فى نفس الوقت دلالة على الشعور الطيب نحو المجتمع ، لذا كانت النساء يفخرن بانهن ينحدرن من سلسلة من ماهرات المعبد (٢) .

وإزاء هذا الوضع المتدهور للرقيق وبؤسهم بذلك الفلسفة الواقية جهودها للحصول للرقيق على معاملة طيبة . وتمكنت من تغيير الجو تدريجيا ، وأصبح يحسون بمعاناة العبيد ووضعهم الشئ وضرورة الرثاء للرقيق (٣) ، لا معاقبتهم ، وانتشر فك الرقاب عن طواعية شيوعا متزايد اطوال القرن الثالث ق.م زوخاصة فى الأوساط الفلسفية (٤) . وفى سنة ٢٠٠ ق.م . أصبح من الممكن للعبد أن يشترى حريته ببيعه بيعا صوريا لأحد الألهة ، وكان هذا نتيجة نفوذ دلغى التى كانت على استعداد دائم إبان فترة عظمة إيطوليا وسيطرتها لمناصرة كل نزعة إنسانية ، وساعد على نجاح تلك الحركة عامل مادى وهو أن رخص العمال الأحرار جعل الأرقاء الصناع غير مريحين لسادتهم (٥) .

ولم يقتصر فك الرقاب للرجال فقط ولكنه إمتد أيضا ليشمل عتق المرأة الجارية ولكن كان

---

١ - فيليب حتى : مرجع سابق ، ص٣٠١ .

2 - Tarn , op . cit .. P . 139 .
3 - O . G . I . S . 483 11 . 178 - 187 .
4 - Diog . Laert III , 42 ; v , 1 , 13 sqq . ; 2 , 54 sq ; 4 , 22 sq .
5 - Tarn , op . cit ., P . 104 .

يوجد عدة شروط منها : كثيرا ما كانت تلْزم بالمكث مع سيدتها مادامت على قيد الحياة لكى تدفع بالعمل الذى تؤديه ثمن شرائها ، وكان هذا المكث يظله الذل والهوان للجارية (١) ، حيث كان فى المستطاع تكبيلها بالأغلال وكذلك ضربها بالسياط حتى بيعها بيعا (٢) وكان كل طفل تلده يعد عبدا هو الأخر (٣) ، إلا أن يكون هناك نص فى صك فك الرقبة على تحريرهم ، وذلك يتم فى بعض الأحيان بشروط منصوصة معا (٤) .

وكانت المراة الجارية فى بعض الحيان أيضا تلزم بأن تلدلسيدتها - بل حتى أن تربى لها طفلا أو اكثر يكونون عبيدأ لسيدتها (٥) . وإذا ماكانت المراة الجارية لديها شىء من المال فتقوم بدفعه لسيدتها عوضا عن هذا الإلزام ، ولكن كانت النهاية هى الإضطرار إلى التردى فى الذيلة (٦) .

---

1 - S . E . G . II , 307 .
2 - S . G . D . I . 22 16
3 - S . G . D . I . 1798 , 2136 , 2171 , 222 . 5 .
4 - Jbid ., 1719 ; I . G . Ix , 1 , 1066 .
5 - Tarn . op . cit ., P . 105 .

الفصل السادس

حقوق المواطنة

***

يشير أحد الفلاسفه فى تعريفه للمواطن : " أنه لايكون المواطن مواطناً بفضل الإقامة فى المكان فحسب ، وذلك لأن الأجانب والعبيد يشاركون فى الإقامة أيضاً مع المواطنين لكنهم ليسوا مواطنين " (١) . وينتهى إلى أنه " لا شىء يعطى المواطن صفة المواطنة الكاملة إلا المشاركة فى الأمور التشريعية والتنفيذية . . . الخ " (٢) .

ومن الجدير بالذكر أن كلمة Polites التى صارت فيما بعد مواطن ، كانت تعنى أصلا " رجل القلعة " أى مراقب (٣) . وكان أول درس فى حقوق المواطن يتلقاه الفرد داخل الأسرة حيث كان اتصال الفرد بالحياة اليومية وثيقا (٤) .

وكانت نظم المدينة الحربية تكفل لمواطنيها حرية القول والعمل وتتيح لهم المشاركة فى إدارة دفة شئونها وتوفر لهم من أسباب الحياة ماهو لائق بكل إنسان يحترم نفسه ويرغب فى الإستمتاع بحياته (٥) .

---

1 - Aristole , Politics , 1274 - B (The Complete works vol . 2) .
2 - Aristole , Jbid .

٣ - ألفرد زيمرن (الحياة العامة اليونانية) ، ترجمة عبد المحسن الخشاب القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٨٤ .

٤ - ألفرد زيمرن (المرجع السابق) ص ٧٣ .

٥ - مفيد رائف العابد : إنشاء المدن فى إطار السياسة السلوكية لهلينة سورية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٧١ ، ص ٤٨ .

حقوق المواطنة وعبادة آلهة المدينة :

وكانت حقوق المواطنة فى أية مدينة اغريقية تستتبع عبادة آلهتها الوثنية (١) . لأنه كان من شروط الحصول على حقوق المواطنة لأى إنسان إذا ما تخلى عن عقيدته وقام بعبادة آلهة المدينة (٢) . كما أنه من المرجح أن يكون " سلوقس " قد منح هذا الحق إلى الجاليات اليهودية فى بعض مدنه بدافع الرغبة فى كسب ود يهود (جوف سورية) الذين كانوا يخضعون للبطالمة رغبة فى إبعاد البطالمة عن هذا الإقليم المتنازع عليه (٣) .

منح حقوق المواطنة :

كانت تمنح حقوق المواطنة إلى الأفراد ، وإلى هيئة مواطنين ، كما كانت هناك المواطنة الشرفية الحى ، وتمنح تلك المواطنيات على النحو التالى : -

١ - حق المواطنة للأفراد :

من الجلى أن الإغريق كانوا هم وحدهم المواطنين ، فهم الانطاكيون أو السلوقيون أو أى نوع آخر (٤) ، ولكن قامت بعض المدن الإغريقية . القديمة منها والحديثة ، بالسماح بدخول بعض أفراد النخبة المختارة من الأسيويين فى مواطنيتها حتى فى القرن الثالث نفسه (٥) .

بيد أن منح حقوق المواطنة الفعلى للأسيويين لم يكن فيما يظهر هو الشكل المتبع ، ولكن تشير جميع الإحتمالات إلى أن الطريقة المألوفة لدخول الأسيويين فى مدينة أغريقية كان من خلال نظام الجاليات (Politeuma) (٦) . وكان معنى ذلك وجود هيئة منظمة تتألف من

١- مفيد رائف العابد : سورية فى عصر السلوقيين ، دمشق ١٩٩٣ ، ص ٢٨٥ .

٢ - جلانفيل دوانى : أنطاكية القديمة ، ترجمة د . إبراهيم نصحى ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٦٩ .

٣ - مفيد رائف العابد (المرجع السابق) ص ٢٨٥ .

4 - Tarn (W.) , op . cit ., P. 157 .
5 - Tarn (W.) , Jbid , P. 156 .
6 - Tarn (W.) , Jbid ., P. 157 .

الأجـانب . مثـال ذلك الجالية السورية فى سلوقية ، أو الجالية اليهودية فى كثير من المدن ، وكلها كان لها حقوق سياسية محددة أدنى من حقوق المواطنة الكاملة ولها هيئتها الخاصة من الموظفين العموميين من الوطنيين (١) ، أومن هم فى درجتهم ، كما أنهم لم يُعتبروا جزء من بنيان المدينة ، حيث أن الموظفين العموميين من اليونان كانوا يتولون شئون جميع السكان فيما يتعلق بالأمور المختلفة مثل الأغذية أو الصحة العامة (٢) .

٢ - منح حقوق المواطنة إلى كامل هيئة مواطنين :

كانت تمنح حقوق المواطنة للأفراد بالإضافة إلى منحها إلى كامل هيئة المواطنين بمدينة أخرى ، وهذه العملية معروفة باسم التساوى فى المعاملة بالمثل بين المدن (Jsopolity) (٣) .

ومن المدن التى تبادلت منح حقوق المواطنة : ميسينى - "Messene " وفجاليا " Phigaleia " (٤) . وباروس " Baros واللاريا " Alaria " (٥) ، ومنها برجامة " Pergamun " وتيمنوس " Temnos " . ثم ميليتوس " Mletus " ، ومجموعة كاملة من المدن كزيكوس " gzicus " وهرقليا " Heraclea " ، لاتموس ' Latmos " وكيوس " Cius " وفوجيلا " Phygela " وميلاسا " Mylasa " وتراليس " Tralles " (٦) .

ولقد سجلت ' أسبندوس " Aspendos " فى قبائلها بعض المرتزقة الأسيويين ذوى الدماء

1- Tarn (W .) . Jbid ., P . 152 .
2- Tarn (W .) , Jbid ., P . 157 .
3- Tarn (W .) , op . cit .. P . 85 .
4- I . G . , V , 2 , 419 .
5- S . G . D . I ., 490 .
6- Tarn (W .) . loc . cit .

المخلطه ، (١) كما أن أزمير منحت حقوق المواطنة لجماعة من جند الفرس (٢) . وكان يوجد أيضا فى أنطاكية - طرسوس كثيرمن المواطنين الوطنيين (٣) .

ومن خلال منح حقوق المواطنة إلى كامل هيئة مواطنين أصبح لكل مدينة أنذاك أصدقاء كثيرون بمناطق أخرى ، كانوا حين يزورون المدينة لا يعدون مجرد أجانب غرباء بل كانوا يمنحون مقاعد أمامية فى مشاهدة الألعاب ويحضرون الولائم بقاعة المدينة (٤) .

٣ - منح حقوق المواطنة الشرفية : -

هذه المواطنة الشرفية كانت تمنح للأفراد وهى بمثابة حقوق مواطنة بصفة اعتبارية ، حيث كان يحق لحاملها أن يستخدمها كحق من حقوقه وهو ماكان متبعا فى كثير من المدن الإغريقية بخلاف ما كان فى الدولة السلوقية ، حيث كان جميع المجنيزيين (Magnesians) يتمتعون بحقوق المواطنة فى مدن الحلف الكريتى (٥) . هذا بالإضافة إلى منح حقوق المواطنة للفنانين الديونسيين لكى يطمئن الجمهور والمشاهدين على أن العروض الفنية وحفلات الفنانين لن تتوقف وتستمر فى معبد الإله (٦) .

وهناك فئة أخرى مُنحت حقوق المواطنة وأُسبغ عليها الكثير من آيات التكريم والتشريف ، وهذه الفئة هى الشعراء والفلاسفة الذين كانوا يقرضون أشعارهم ويلقون محاضراتهم بمدن أخرى ، وكان يقصد من وراء ذلك العمل إرضاء القومية المحلية التى يزورها الشاعر أو

1 - Tarn (W .) , Jbid ., P - 156 .
2 - O . G . I . S . , 229 .
3 - Tarn (W .) , op . cit ., P . 157 .
4 - Tarn (W .) , op .cit ., P - 85 .
5 - Kern . Die Jnschriften von Magnesia am Meandros Berlin 1900, 20 .
6 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 84 .

الفيلسوف (١) . والدليل على ذلك أن " ميفاندر الثيريوى " Thyrreion " أطلق عليه اسم " الكاسوبيانى " Cassopean (٢) ، وأطلق لقب " الخلقدونى " Chalcedonian على " مترودورس الإسكبس " Scepsis Metrodorus " من " اسكبس (٣) ، ونسب إلى رودس كل من " بوسيدونيوس – Poseidonius " من " أباميا – Apamea " وأبو لونيوس الإسكندرى Apollonius " و " دينوقراطيس – Deinocrates " المقدونى (٤) .

٤ – منح مواطنة الحى : –

ويعتبر هذا النوع من حقوق المواطنة النوع الرابع ، وتتمثل هذه حقوق المواطنة فى منح " مواطنة الحى " (٥) للأجانب ، ومن هذه الأحياء التى كانت تمنح حقوق مواطنة الحى ، هو حى " بانامارا Panemara " ، وقد بلغ هذا الحى درجة من التقدم فى التنظيم جعلته يصدر القرارات ويمنح حقوق المواطنة ، ومما فعلته بعض الأحياء فى هذا الصدد أنها وهبت حقوق المواطنة لمواطنين من مدن أخرى ، وخاصة من أبناء " استراتونيقيا Stratonicea .

1 - Tarn (W .) , Jbid ., P - 86 .
2 - Ditt ., 739 .
3 - Strabo , Geography . V . trans . by H . L . Jones . London1954 , 609 .
4 - Tarn (W .) , op . cit ., P . 86 .
5 - Holleau (M .) . B . C . H . , 1904 , 353 .
6 - Tarn (W .) , op . cit ., P . 156 .

* استراتونيقيا هى مدينة جديدة وقد ضمت إليها بعض القرى كأراضى تابعة للمدينة فأصبحت أحياء " Demes " لها ، وعن طريق هذه الأحياء أصبحت هى أيضا فى الحلف الكارى .

٥ - **منح المواطنة للأرقاء : -**

فى عام ٨٥ ق . م منحت إفيسوس صفة الأجنبى المقيم ومنزلته للأرقاء الذين تم تحريرهم فى ذلك الوقت ، وسبقتها برجامة فى ذلك فى عام ١٣٣ ق.م (١) ، ويضيف تارن قائلاً " ولكن التىء الذى نكاد نقطع به أن عتق الأرقاء ، أوضح الأجانب كان يتم حوالى ١٠٠ ق.م بشكل ضخم ببلاد الإغريق شأنه فى ذلك شأن أسيا " (٢) .

وأصبح للأرقاء حق الإشتراك فى الأندية ، وبالرغم أن أول ناد للعبيد لم يظهر فى الدولة السلوقية ، بيد أنه ظهر فى مصر فى وقت متأخر من العصر الهلنستى (٣) .

٦ - **منح المواطنة للمستوطنين العسكريين : -**

يقصد بالمواطنة للمستوطنين العسكريين هو منح حقوق المواطنة للمستوطنين العسكريين فى المدينة كما فى حالة مدينة أزمير simgrna فى أسيا الصغرى حينما قام أهلها بمنح حقوق المواطنة لمدينتهم على المستوطنين العسكريين فى منطقة مغنيتريا" والحصن المجاور xwplov الذى يُدعى Τιαλαι ναγνεσα (٤) ، والجدير بالذكر أن هؤلاء المستوطنين الذين ربما تطورت صفتهم من مستوطنين عسكرين إلى مواطنين πολιταλ " أو على الأقل natlnol قد احتفظوا بإقطاعتهم الممنوحة لهم قبلاً من قبل انطيوخس الأول (٥) ضمن انظمتهم الإجتماعية الجديدة

كما أن توزيع الأنصبة لم يقتصر فقط على الرجال العسكريين المقدونيين والأغريق بل تعداهم إلى عدد من العناصر الوطنية كما يظهر من وثائق أفرومان أن كثيراً من الفرس أصبحوا

1 - O. G. I. S., 338 ; Ditt., 742.
2 - Tarn (W.). op. cit., P. 103.
3 - Tarn (W.). Jbid., P - 95.
4 - O. G. I. S., 229.
5 - Giffith (G. T.), the mercenaries of the Hellen - istis world, Cambridge 1935, P. 155.

مستوطنين عسكريين ، وأنه حتى اليهودفى زمن أنطيوخس الثالث كانوا يُجندون كمستوطنين عسكريين (١) .

إحتفالية التكريم : -

كان العرف المتبع عندما كانت إحدى المدن تكرم مواطناً من مدينة أخرى أن يقوم مندوبون بالحصول على نسخة من ذلك المرسوم إلى المدينة التى شُرف مواطنها بالتكريم . وهناك كان المندوبون يلتمسون الإذن بإشهار ذلك التشريف وإعلانه ، وكانت تقام لهم وليمة يلقون فيها خطاباً يؤكدون به ما بين المدينيين من وحدة وتماسك أملتهما العلاقات الطيبة المتبادلة بينهما (٢) . ومن ثم يمكن أن يفترض وجود حد معين من تبادل المواطنين بين المدن ، ومع ذلك فإن دساتير الأحلاف كانت توضع بصياغة لا تسمح لأى مواطن بأن يكتسب ويحصل على حقوق شخصية بمدينة أخرى دون الحصول على منحة صريحة بذلك (٣) .

وكانت المدن ترسل مبعوثيها الدنيين ، وكانت أرباض " Precincts معبد المدينة وحرمه مزدحمة بلوحات حجرية وشواهد قائمة stelac نقشت عليها مراسيم المدينة وسجلاتها (٤) .

وكان فى مقدرة أى زائر أن يقرأ هناك أيات التشريف التى منحت لبنى وطنه (٥) .

أما عن أهمية مرسوم التكريم ، فكثيراً ما كان مرسوم التكريم فى القرن الثالث ق .م وثيقة سياسية ذات قيمة ، ثم قلت قيمة فى القرن الأول ق .م عندما أخذت السياسة المستقلة تضعف وتزول دواعيها .

---

1 - Rostovtzeff (M .) . C . A . H ., VII , P . 169 .
2 - Hiller von Gaetrigen , Jnschriffen von priene , Berlin 1906 , 47 , 50 . 53 - 4 .
3 - Tarn (W .) , op . cit .. P - 87 .
4 - Tarn (W .) , Ibid .
5 - Tarn (W .) . Ibid .

وأخذ يزداد إطناباً زيادة لا تتناسب مع أهمية محتواه ، فأصبح يروى أتفه التفاصيل عن الحياة الخاصة لرجل الذى مُنح المرسوم ، حتى من الممكن أن يعرف منه عدد الضيوف الذين حضروا عرسه وسبب ذلك أنه كان يتولى نفقات إقامة اللوح بنفسه ، وفى نفس الوقت يرغب الرجل الذى مُنح المرسوم فى أن يحصل على ما يساوى ما صرفه من أموال (١) .

ولكن لماذا تمنح المدن المواطنين ؟ والإجابة على هذا التساؤل تتضمن عدة أسباب منها الإجتماعى والإقتصادى والدينى والسياسى :

منح حقوق المواطنة لظروف اجتماعية وإقتصادية :

يبدو أن حقوق المواطنة كانت تمنح للسبب الإقتصادى الذى يمثل أهم الأسباب وذلك يرجع لأن المدن كانت تعيش عيشة الإكتفاء الذاتى أى من اليد للفم . والدليل على ذلك قيام " إفيسوس Ephesus ببيع اثنى عشر صك مواطنة على سبيل الهبة ، لانها أضطرت فى أحد الأيام إلى جمع المال لتسليح بعض أصدقائها (٢) .

وكما حدث مع افيسوس حدث مع ثاسوس thasos فلقد باعت حوالى ٢٨٥ ق.م أربع أو خمس حقوق مواطنة بسعر أعلى حوالى ٣٠٠٠ دراخمة للواحدة (٣) .

كما أن أوروبس Oropus أغرت المقرضين لها بمنحهم آيات التشريف المدنى (٤) .

وقد اهتمت مدن كثيرة بزيادة إمتيازاتها وتوسيع ماحصلت عليه من حكم ذاتى أو حريتها أو إستقلالها ، وذلك حدث فى القرن الثانى قبل الميلاد لأن السلوقيين كانوا فى حاجة للمال ،

1 - Tarn (W .) , op . cit ., P 88 .
2 - I . priene 994 , Holleaux , Rev . E . G . 1916 , 29 .
3 - B . C . H . , 1921 , 153 no . 6 .
4 - Ditt . 544 .

وكانت المدن تتمتع بثراء فاحش بحيث إنها كانت تستطيع أن تدفع ثمن حريتها مقابل حصول السلوقيين على المال (١) .

منح حقوق المواطنة لظروف دينية :

كان الأنسان يُمنح حق المواطنه إذا ما تخلى عن عقيدته وقام بعبادة آلهة المدينة (٢) .ويتضح ذلك من خلال المبعوثين الدينيين الذين كانت ترسلهم المدن كما أن اللوحات الحجرية والشواهد القائمة بالمعابد نقشت عليها مراسيم المدينة وسجلاتها وآيات التشريف التى منحت للمواطنين (٣) . ووجدت هناك مدن بأكمالها منحت حق السبق فى إستشارة وحى دلفى منها مسينى وخرسونيوس والإسكندرية وأزمير وساريديس (٤) .

وكانت سياسة السلوقيين تهدف إلى ترك الكاهن وشأنه فى دولة معبده ، هو والمعبد وقرية ، مع القدر الكافى من الأرض لخدمة المعبد . وصبغ ماتبقى من ممتلكات المعبد الزراعية بالصبغة الدنيوية الزمنية .ومع ذلك فإن دول الكهنة تمكنت من الحيلولة دون تنفيذ تلك السياسة إلى هدفها الأسمى التى كانت تبغيه . ولكن أيام إنهيار دولة السلوقيين عاد السلوقيون لتوسيع رقعة بعض المعابد السورية وأعطوها حق إيواء اللاجئين Asylum (٥) .

١- نقول زيادة (المرجع السابق) ص٧٨ .

٢ - جلانفيل دوانى (المرجع السابق) ص ٦٩ .

3 - Tarn (W .) , op . cit ., PP . 87 - 88 .
4 - Ditt ., 555 , 604 , 404 .
5 - Tarn (W .) , op . cit ., PP . 140 - 1 .

كانت بشمالى سورية " دول كهنة " مماثلة كالتى قامت فى بامبيكى (مبوج) Bambyee وباتيوكاكى Baetocaece وامبا (حمص) .

منح حقوق المواطنة لظروف سياسية : -

ويتمثل السبب السياسى فى منح حق المواطنة فى رغبة المدن فى وجود أصدقاء لها بالمدن الأخرى للقيام بأعمال الوكالة أو الإنابة فى رعاية المصالح الخاصة برعايا دولته فى آخرى ، وكان يتم ذلك بمنح الشخص ضماناً بالحصانة من إنتهاك الحرمات حتى أن أصبح العالم الإغريقى عالماً واحداً مثل النسيج المتشابك من الناس الذين لا يجوز إيذائهم على يد رعايا هذه الدولة أو تلك (١) . وإذا كان هناك دليل على ذلك هو منح مدينة أثينا حق الإضطلاع برعاية مصالح الغير وإستضافتهم لطبقات من الناس بأجمعها مقيمة ببعض مدن تساليا ، وبذلك أصبح بحق الأهالى " مسينى " الحق فى القيام برعاية المصالح بالنسبة " لدلفى " (٢) .

وترجع أهمية منح حق رعاية مصالح الغير بطريق الإنابة " Ptoxery " إلى أنها تعتبر تشريفاً مرموقاً ذا مكانة كبيرة لأنها تعطى حاملها أيضاً الحق فى إمتلاك الأرض بالمدينة المانحة بالإضافة إلى أنها تخول لحاملها الحصانة من الإعتقال (٣) .

ونتيجة لكثرة منح الأفراد حق الرعاية لمصالح الغير بدأت بعض المدن تكف عن إعلان المراسيم ، بل أن هذا دفع بعض المدن أن تحدد عدد المراسيم فى السنة ، ففى القرن الثالث قبل الميلاد سجلت " إبيداورس Epidarus " معدل عدد المراسيم فى السنة أربعة (٤) . واقتصرت بوضع الأسماء فى إحدى القوائم ، كما كانت تفعل ذلك من قبل مدينة " أنا فى Anaphe " (٥) .

وترجع زيادة عدد المراسيم للحريات الجديدة التى منحها الملوك منذ أيام أنطيوخوس الرابع إبيفانس (١٧٥ - ١٦٣ ق . م) وتتمثل هذه الحريات فى :

---

1 - Tarn (W.), op. cit., P - 84.
2 - Tarn (W.), op. cit., P. 85.
3 - Tarn (W.), Jbid., P. 86.
4 - I. G., I V, 96.
5 - I. G., XII. 3, 251.

أ - منح بعض المدن الحرية فى إختيار السياسة :-

التى تناسب حياتها وظروفها حتى ولو كانت سياسة خارجية . وكانت الحرية تعنى الإعتراف بحكومة مستقلة أى الحكم الذاتى وأصبح المصطلح " autonomy " غالباً ما يستخدم كمترادف مع كلمة الحرية . واشتمل على الحق فى تشكيل الحكومة الذاتيه والحق فى التمثيل كهيئة سياسية مثل الدولة فى العلاقات الدولية للمدن (١) .

وكانت هذه الحرية حق يمنحه الملك للمدن ، كما أن الملك كان فى حرية تامة ليؤكد هذه الحرية أو يسحبها ، ومن هذه المدن التى طلبت وتلقت الحرية على سبيل المثال " the Ionian Kolvovl " فى حكم انطيوخس الأول " وميليتوس " فى حكم " انطيوخس الثانى " وأزمير Smgrna " فى حكم سلوقس الثانى " (٢) .

وفى سنة ٢٢٩ ق.م حصلت " سلوقية فى بيرية " على حريتها من سلوقس الثانى ، وتعاملت كمدينة حرة فى علاقتها مع أثينا (٣) . ولقد مُنحت هذه الحرية للمدينة للمرة الثانية من قبل " انطيوخس جريبوس Antiochus Grypus " فى سنة ١٠٩ ق.م (٤) . و" إريثراى Erythrae التى لم تكن إلا مدينة حرة (٥) ، تتمتع بحق سن القوانين وعدم وجود أية حامية وعدم دفع أية جزية (٦) . كما يؤكد " روستزف بأن سلوقس " وخلفاءه لم يأخذوا من المدن

1 - Rostovtzeff (M .), The Social and Economic History of the Hellenistic world , vol . 1 , P - 527 .
2 - Jbid ., P . 526 .
3 - Ditt ., 475 .
4 - O . G . I .S ., 257 .
5 - O . G . I . S . , 223 ; Tarn (W .) , Alexander the Great . Cambridge 1952 , P - 211 .
6 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 144 .

حقهم فى الحكومة الذاتية أبدا وهذا يعنى الحق فى الإبقاء على دستورهم وقوانينهم (١) .

ويظهر من أحد النقوش أن ثالث الملوك السلوقيين وهو " أنطيوخس الثانى " سيعيد الحرية الكاملة لكل المدن الآيونية (٢) . إدعى " أنطيوخس الثالث أن جميع المدن الإغريقية كانت من الناحية الشكلية رعيته ، وأن الحرية منة وفضل منه عليها (٣) .ويؤكد روستزف بأن منح المدن حكومة إستقلالية كان من المحتمل أن يكون وعداً من الملك بالايُجرى أية تعديلات أو تغييرات فى الدستور القائم فى المدينة وألا يندخل فى شئونها الداخلية (٤) . ولكنها كانت مضطرة لتنفيذ أوامر الملك ودفع الجزية والضرائب لخزانة الملك (٥) .

ب - منح بعض المدن إمتيازات جديدة مثل حق " الحصانة المدنية " : -

فقد منحت بعض المدن حصانة مدنيةتحميها من تدخل الدولة فى أمورها الداخلية والخارجية ومنحت هذه الحصانة للمدن الأتية : أرواد سنة ١٢٧ ق.م ، " وصور " سنة ١٢٥ ق.م " وطرابلس " سنة ١١١ق .م (٦) . اما عن منح القداسة والحصانة " Asylia " للمدن فكانت على هذا النحو : -

١ - عندما يقوم نزاع أو حروب أهلية بين أفراد الأسرة المالكة كانت تقوم المدن السورية بمساعدة ومؤازرة هذا المنازع أو ذاك ، ومنذ عام ١٤٠ ق .م مضاعد " كان كثير من المدن يتحصل

---

1 - Rostovtzeff (M .) , op . cit ., P . 527 .
2 - Rostovtzeff (M .) , Jbid ., P . 144 .
3 - Polyb ., XVIII , 51 , 2 ; Livy ., xxx III, 36 , 6 .
4 - Rostovtzeff (M .) . op . cit ., P - 528 .
5 - Rostovtzeff (M .) , Syria and the East . C . A . H . . VII , P . 178 .
٦ - نقولا زيادة (المرجع السابق) ص ٧٨ .

على ثمن مساعدته من بعض الملوك على لقب " المقدسة التى لا تنتهك حرمتها " (١). ومعنى ذلك حصولها على حصانتها من كل أشكال الهجوم والإعتداء منه عليها وأن يكون لها الحق فى إيواء من أساءوا إليه، ويحق لها أن تبدأ فى سك عملتها مستخدمة فى تأريخها الحُقب التى نالت فيها حريتها.

٢ - إعلان قداسة المدينة حينما يعجز الملوك فى الاستيلاء عليها، وحدث ذلك مع " زانثوس Xanthus " بعد أن عجز أنطيوخس الثالث فى الإستيلاء على زانثوس، أعلن قداسة المدينة لكى يصون ماء وجهه حين تراجع عنها (٢).

٣ - بدأت هذه الحصانة والقداسة فى كثير من المعابد حيث أنها صارت منذ زمناً طويلاً ملاذاً لمن يلجأ إليها، ثم منحت المعابد فى أثناء الحقبة الهلنستية هذه الحصانة (٣). ثم مُنحت لمدن بأكملها وما يحيط بها من أرض وكانت جزيرة تينوس أولاها حوالى سنة ٢٧٠ ق.م.، وأعقبتها جميع المدن الإغريقية التى أصبحت " مقدسة " (٤)، أى بمأمن من الحرب عن تراض من الملوك الهلنستيين (٥)، وظهرت بعد تينوس أزمير، وأعقبتها ماجنيزيا على نهر الميناندر، ثم ألاباندا وتيوس Teos، فميلتوس، وخلقدونية وغيرها (٦).

---

1 - Tarn (W .), op cit ., P . 154 ; Tarn (W .) , J . H . S . ., 1924 , P - 141
2 - Tarn (W .), Hellenistic Civilisation . P - 83 .
3 - S . G . D . I . , 2532 .
4 - I . G . , Ix, 1 , 97 , xII , 5 , 867 A , B .
5 - Seyring (H .) , Les Rois Seleucides et la Concession de l'a sylie , Syria , 20 , 1939 , P - 35 .
6 - Tarn (W .), op . cit ., P - 83 .

جـ - عند تأسيس مدينة Polis كان الملك يمنح المدينة دستوراً (١) .

وعليه أيضاً أن يختار القانون الذى تجرى عليه أحوال المدينة كما حدث فى دورا - يوربس (٢) . وكان يستطيع إصدار الأمر بتبنى قانون إحدى المدن الشهيرة مع إمكانية تعديله أو عدم تعديله (٣) .

تعدد حقوق المواطنه : -

لما كانت المدن السلوقية تهدف إلى التقرب من بعضها البعض والقضاء على ما كان لها من عزلة مذيمة ، فقد لجأت فى ذلك إلى منح حق المواطنة الشرفية لعدد ضخم من الرجال وسلالة من بعده وذلك من أجل أن يصبح لكل مدينة أصدقاء فى مدن أخرى كثيرة كانوا بها مواطنين لتلك المدينة الأولى (٤) . وكان فى إمكان الرجل أن يكون مواطناً بأى عدد من المدن (٥) . ويرى " تارن " أن ذلك لم يكن يحدث فى وقت واحد فى القرنين الثالث والثانى ق .م . فالرجل لا يكون مواطناً عاملاً إلا بمدينة واحدة فقط ، أما باقى حقوق المواطنة مهنى شرفية (٦) .

أما فى القرن الأول ق .م فكان الفرد يستطيع ممارسة مواطنتين عاملتين . والدليل على ذلك اننا نرى " بومبى Pompey " يحظر فى بيثينيا " Bithynia " ممارسة تلك المواطنة المتعددة ، ولكنه لم ينجح فى إيقافها .

والدليل الثانى هو أن ديو Dio (٧) كان مواطناً بمدينة " بروسا " Prasa " ومواطناً فى "

---

1 - Rostovtzeff (M .) , syria and the East , C . A . H ., VII , P - 181 .
2 - Jbid , P . 186 .
3 - Tarn (W .) , op . cit ., PP -145 - 6 ; Tarn (W .) , Bactria ,P - 9 .
4 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 84 .
5 - Cumont , L'Egypte des Astrologue , Bruxelles 1934 ,P - 74 .
6 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 84 .
7 - Tarn (W .) , Jbid ., P - 85 .

نيتوميديا Nicomedia " وفى أباميا Apamea ، فلما تولى " تراجان " وأراد إلغاء المواطنة المتعددة ، وجد أن ذلك من الصعب لأنه لكى ينفذ مأربه سيؤدى إلى تمزيق نظام المجتمع كله ، لأنه لكى ينفذ غايته سيؤدى إلى تمزيق نظام المجتمع كله ، لأن حقوق المواطنة المتعددة كانت شائعة فى بيثينيا " Bithynia " ، وبناء على ذلك أخفق فى تطبيق الحظر إلا على المستقبل (١)

كيفية منح حقوق المواطنة : -

كان من المتبع فى منح حقوق المواطنة أن يرسل الملك السلوقى رسالة إلى مجلس المدينة مقترحاً بمنح أحد أصدقائه حقوق المواطنة ، ثم يرد مجلس المدينة بجواب على تلك الرسالة بمنح حقوق المواطنة إلى هذا الإنسان . ولا أدل على ذلك من الرسالة (٢) التى أرسلها سلوقس الرابع إلى مجلس مدينة سلوقية بيريه ، وهى عبارة عن نقش وجده بعض الفلاحين الذين كانوا يعملون فى أكروبول المدينة يبلغ عرضه حوالى ٣٥ سم وطوله حوالى ٩٨ سم تقريباً ، وقد نقله بوست M ' Prost إلى أنطاكية فيما بعد . وهو مؤرخ بعام ١٦٨ ق .م وينص على اقتراح من الملك سلوقس الرابع إلى مجلس مدينة " سلوقية بيريه " بمنح أحد أصدقائه المبجلين المدعو" امفيلوخس Amphilochus ' حقوق المواطنة فى " سلوقية بيرية ، مع قرار بإقامة تمثال له فى إحدى الساحات العامة .

ويتضح من ذلك أن الملك كان يرسل خطابه إلى حاكم المدينة والقضاء فى المدينة مثال رسالة سلوقس الرابع ، فعنوان الرسالة : " إلى ثيوفيلس والقضاة ومدينة السلوقيين فى بيرية " (٣) .فيتلو الحاكم فاتحة القرار كما يلى : " ربما أننا قد تلقينا أمرا من الملك فيما يتعلق بامفيلوخس أحد أصدقائه المبجلين (٤) . ثم يقدم بعد ذلك تلخيص الدوافع الأخرى لإتخاذ

---

1 - Tarn (W .) , op . cit ., P - 85 .
2 - Welles (B .) , Royal Corres pondance of the Hellenistic Period , Letter (45) ,P - 186 .
3 - Jones (A . H . M .) , Cities of Eastern Romanprovinces ,oxford 1937 , PP . 246 - 7 .
4 - Jones (A . H . M .) , Jbid .

القرار ومنها : رغبة امفيلوخس فى سكنى المدينة ، وحسن نيته تجاهها (١) . وهذا النقش يثبت أن مدينة " سلوقيه بيريه " كان لها مجلس يصدر القرارات وقضاة ينفذونها (٢) .

أما رد المدينة على هذه الرسالة لا يخفى تبعيتها العمياء للسلطة الملكية حيث كتبت على مقدمة التمثال المقترح : إن المجلس يرحب بأمر الملك ويوافق على منح حقوق المواطنة لامفيلوخس بعد تلخيص الأسباب والدوافع (٣) .ولكن هناك رأى أخر لـ " شيغمان " يخالف الرأى السابق فيقول أن " الملك لا يستطيع أن يتصرف مباشرة بالقطاعات التى تدخل فى صلاحيات المدينة ، أن يهدى " ارسيتولوخ " حقوق المواطنة بمرسوم منه مثلا . إلا أنه يستطيع أن يقترح على سلطات المدينة اتخاذ هذا القرار أو ذاك ولكن حق القرار لهذه السلطات فقط (٤)" .

أشكا ل حقوق المواطنة : -

كان يحق للمواطنين المشاركة فى إدارة شئون المدن عن طريق انتخاب الحكام والقضاة من المواطنين ، كما كان الحال فى مدينة انطاكية ، ويتضح كذلك فى نظم مدينة " دورايوربس " حيث كانت للمدينة مجلسها وقضاتها ، وكان رئيسها قائدا بالإنتخاب أو التعيين من قبل الملك (٥) .

---

١ - إ . ش . شيغمان (المرجع السابق) ، ص ٢٢ .

2 - Jones (A . H . M .) , op . cit ., loc . cit .
3 - Jones (A . H . M .) , Jbid ., P - 247 .

٤ - إ . ش . شيغمان (المرجع السابق) ص ٢٦ .

5 - Hadad (G .) , The P opulation of Antioch in Hellenistic Roman Period - A . A . S ., Tome I , Damas 1951 , P . 20 .
6 - Rostovtzeff (m .) , Syria and the East , (C . A . H . , vII , P - 186 .

ولقد أقام انطيوخس فى ساحة (السوق) الأجور الجديدة فى انطاكية بولوتريـون أو داراً لمجلس الشورى (١) ، ولعلها كانت شبيهة بالبولوتريون التى شيدها فى " ميليتوس " - تكريماً للملك انطيوخس - تيمارخوس وهرقليدس وهما اثنان من أثرياء ميليتوس كانا من وزراء الملك أصحاب وقد قيل إن دار مجلس الشورى التى أقيمت فى ميليتوس كانت صورة من تلك التى أقيمت فى أنطاكية ، أو أن هذه كانت صورة من تلك (٢) .

كان يحق للمواطنين المشاركة فى الولائم المقدسة المقامة على شرف الملوك ، ويتضح ذلك فى النقش الوارد من " أرساما " (القرن الأول ق.م) والذى نشره فى عام ١٩٦٢ ف . ك . يرنير الذى يحتوى على التعداد الوارد فى Nomos للأشخاص الذين لهم المشاركة فى الولائم المقدسة على شرف تأليه أسلاف الملك انطيوخس الأول (٣) .

ولقد حدد انطيوخس الأول واجبات الكاهن فى المهرجان المقدس على الشكل التالى : " فليقم هو ويمة عامة لكل محاربى الحامية والمواطنين مالئا طاولات الملك بأشهر المأكولات أما الأقداح فليملأها حتى الحمام بأنواع الخمور . وليشاهد مع قائد الحامية كيف تحمى الجيوش البلاد وسكانها ، فليهب هذا العيد السعادة للجميع (٤) " .

ومن خلال هذا التعداد يبرز مجموعتين متوازيتين (Ph) rouron Kai polou okhlonto
epikhorion K Phula khorion (S) ta tian

1 - Malalas , Jhon , Chonicle . ed . by L . Dindar F . Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae . London1947 .PP - 205 . 14 - 19 ; 234 , 2 F ; Libanius . Antiochus 12 vols ., Leipzig - Teunber 1903 - 1912 , 25 .

2 - Dinsmoor (W . B .) . Architechture of Ancient Greece , London 1950 , P - 297 .

٣ - إ . ش . شيغمان (المرجع السابق) ص ١٠ .

٤ - إ . ش . شيغمان (المرجع السابق) نفس الصفحة .

ظهر جوادة (١)، وهو يحاو لإعادة فتح :" بارثيا Parthia " كما مات ابنه سلوقس الثالث فيعام ٢٢٣ ق.م. دون أن يتم تسوية الحساب مع " أتالوس الأول (٢) حيث قتله عددا من ضباطه بزعامة (نيكانور) (٣).

وبعد موت " سلوقس الثالث " نادى " أخايوس " (Achaeos) بأنطيوخس ملكا فى سنة ٢٢٣ ق. م حيث أن " سلوقس الثالث " قدعهد إليه بحكم بابل فى عام ٢٦٦ ق. م (٤). وعندما تولى " انطيوخس الثالث " الملك، كانت المملكة السلوقية دولة محطمة واهية القوى. لذلك عزم " انطيوخس الثالث " على إعادة بنائها واسترداد مجدها، فاستبقى " هيرمياس " فى منصبه كبيرا للوزراء، وأسند إلى " أخايوس " مهمة رد أتالوس على أعقابه، وأسند ولايتى ميديا وفارس إلى حاكمين شبه مستقلين وهى مولن (Molon) وشقيقه الاسكندر (٥).

وبعد ثورة مولون وشقيقه الإسكندر فى سنة ٢٢٢ ق.م (٦) توجه الملك على رأس جيشه بإتجاه الشرق أولا : ليسترد المقاطعات الإيرانية والقضاء على مولون وشقيقه، وكان النجاح حليفة فى آخر سنة ٢٢٠ ق. م.

وثانياً : عبور جيشه جبال " هندكوش " ونزوله وادى كابل وتوغله جنوبا حتى أصبح على أبواب الهند (٧).

وبمشارف عام ٢٢٠ ق.م كان ابن عمه " أخايوس " قد استرد من " أتالوس " كل ما كان قد

---

١ - مفيد رائف العابد : (المرجع السابق)، ص ٩٠.

2 - Tarn (W.), op. cit., loc. cit.

٣ - مفيد رائف العابد (المرجع السابق)، ص ٩٠.

4 - Tarn (W.), op. cit, loc. cit.

5 - Polybius. V, 40.

٦ - مفيد رائف العابد : (المرجع السابق)، ص ٩٢.

7 - Bevan (E.), op. cit., vol. TT, P. 23;

* فيليب حتى (المرجع السابق)، ص ٢٦٤، ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ج١، ص ١٤٢ - ١٤٣

كسبه من ممتلكات السلوقيين بآسيا الصغرى ، ماعدا بعض المدن فى إقليم طرواده (١) . ومـا إن أصبحت له السيادة التامة على مملكته ، وبعد وفاة " يورجتيس " انتهز الفرصة لتخليص سورية الجنوبية (فلسطين) من يد " بطلميوس فيلوباتور " . ولكن الحصون السورية عاقته ، واستطاع " سوسيبيوس " وزير بطلميوس إيقافه عن مواصلة الحرب بأن تظاهر بخدعة وهى ان انطيوخس يستطيع أن يحصل على جوف سوريا بمفاوضات سلمية ، فى مقابل هدنة لمدة أربعة شهور . وأتاح " سوسيبيوس " بذلك لنفسه فرصة استقدام بعض القواد من البلاد اليونانية مثل " اندروماخوس " و " بولوقراتيس " ، وجيش بإيجاز من فيلوباتور نحو عشرين ألفا من المصريين ، وسلحهم ودربهم على النهج المقدونى ، وكون منهم فيلق مشاة كامل العدة (٢) . وانتهت هذه الحرب المسماة بالحرب السورية الرابعة بمعركة (رفح) فى ٢٢ يونية عام ٢١٧ ق . م . وفيها انتصر " فيلوباتور " واحتفظ بسوريا الجنوبية وفينيقيا (٣) .

ولكن " انطيوخس " لم يستسلم لهزيمة فى رفح ، بل ساد قدما فى إعادة بناء المملكة السلوقية . واضطر انطيوخس إلى التحالف مع أتالوس ، للقضاء على ابن عمه " أخايوس " الذى تعاظم خطره بشكل مريع يهدد بقاء امبراطورية انطيوخس . وفى عام ٢١٦ - ٢١٥ ق . م . حاصر " انطيوخس " " أخايوس " فى سارديس ، وسلمه " بوليس الكريتى " إلى " أنطيوخس " الذى أمر أن تنفذ فى ابن عمه العادة المحلية المتبعة فى معاقبة الخارجين عن القانون وهى تقطيع الأطراف والرأس وصلب الجسد (٤) . واسترد انطيوخس معظم الممتلكات السلوقية فى آسيا الصغرى (٥) .

---

1 - Tarn (W .) , op .cit ., P . 21 .
2 - Polybius , V, 57,1- 8 ; Jou geut (P .) , op . cit ., - 217 ; Cary (M .) , op .cit ., P . 92 , Tarn , Jbid ., P . 22 .
3 - Tarb (W .) , op . cit ., P - 22 ;

* فيليب حتى (المرجع السابق) ، ص ٢٦٥ .

٤ - مفيد رائف العابد (المرجع السابق) ، ص ١٠٤ .

٥ - ابراهيم نصحى (المرحع السابق) ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

هيرابوليس وأربعة أشخاص من سلوقية ، وأحد عشر شخصا من صور (١) .

و - الشكل السادس والخير من أشكال حقوق المواطنة : -

هو حق المواطنة لليهود ، حيث كانوا يتمتعون بحرية دينية وقضائية إذ كانت محكمة خاصة بهم (٢) .

---

١ - إ . ش . شيفمان (المرجع السابق) ص ٢١ .

2 - Hadad (G .) , op .cit ., P - 28 .



الفصل السابع

الشكل الحضارى

الســوق الاغريقيــة

"ΑΓΟΡΑ´ - Agora"

(منذ أقدم العصور حتى العصر الهيلنستى)

من المعـروف أن السـوق كان مـن السمات الأساسية للمدينة الحرة الاغريقية (Polic – Πολίς) عبر العصور حيث كان المتنفس التجارى والثقافى لسكان العالم الاغريقى .

ويقترن اسم السوق أو مفهوم السوق ببداية الحضارة ، حيث بدأت فترات تكوين الحضارات الأولى ببداية تكوين المجتمعات التى كان من متطلبات بقائها التبادل التجارى والمقايضة ، وهى أولى مراحل الحياة التجارية ، وكانت تستوجب تحديد مكان يكون ملائماً ومعروفاً لدى سكان المدينة أو القرية الصغيرة ، وكان غالباً ما يتوسط منازل السكان ، وتحدد له ساحة واسعة بقدر الامكان توفى بالغرض التجارى (١) .

ولما كانت المدينة الحرة الاغريقية قد نشأت وليدة لظروف طبيعية بحتة (٢) ، فإن السوق كان سمة ضرورية وبارزة لمكوناتها ، خاصة وأن اعتماد الفرد العادى على حياته الإقتصادية كان يتطلب احتكاكه التجارى بباقى السكان فى السوق – سواء بالمقايضة

---

(1) Martin (R), Recherches sur l'Agora grecque, 1951; Wycherley (R.E), How the Greeks built cities 2, 1962.

(٢) نشأت المدينة الحرة الاغريقية بشكلها السياسى المميز (المدينة الدولة – Polic) نتيجة لظروف طبيعية بحتة ، قسمت بلاد اليونان إلى وحدات سياسية مستقلة . راجع

لطفى عبد الوهاب يحيى (اليونان) ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ ، ص ٤٠

M. Cary, The Geographic Background of Greek and Roman History, Oxford. 1949.

أو بالبيع والشراء . ولا يفوتنا أن ننوه بأن استخدام العملة كان الركيزة الأولى فى تطوير مفهوم السوق والذى أدى بالتالى إلى شيوعه واتساعه

ولقد كان من شأن تطور عجلة التجارة وازدهارها وانتعاشها ، وخاصة التجارة الخارجية ، أن أوجد روحاً من التنافس التجارى بين الأسواق القديمة ، والسعى إلى السيطرة على السوق العالمى ، مما أدى إلى تطور السوق وظهور أسواق لها صفة العالمية فى العالم القديم مثل « ميجارا – Megara » (Μεγάρα)[١] و « يوبويا – Euboia » (Εὐβοία)[٢] و « مصر – Egypt Αἴγυπτος[٣] .

ماهية مفهوم كلمة : « Ἀγορά – Agora » :

عرف مفهوم كلمة « أجورا – Ἀγορά » – فى المصادر الاغريقية القديمة – بمعنى السوق الذى يوجد فى مركز المدينة الاغريقية [٤] ، وهو يعنى مكان تجمع الأفراد ، ليس من أجل غرض المناقشة والجدل فحسب بل من أجل البيع والشراء ، وكذلك كل أنواع الأعمال [٥] ، وربما كانت كلمة مفهوم الشراء لها صفة الأغلبية لماهية ἀγορά حيث اشتق منها الفعل ἀγοράζω أى اشترى .

نشأة السوق الاغريقى :

سبق أن نوهنا أن نشأة السوق الاغريقى كانت مصحوبة بمرحلة تطور الحضارة وبداية تكوين المجتمعات الأولى ، وأن نشأة السوق الاغريقى بدأت تظهر كنواة فى بداية تكوين التجمعات الاغريقية إلى أن أصبح السوق الاغريقى « Ἀγορά – Agora » سمة بارزة من سمات تكوين المدينة الحرة الاغريقية . فقد كانت من سمات تكوين المدينة

---

(1) E.L. Highbarger, The History and Civilization of Ancient Megara (U.S.A.), 1927.
(2) Boardman (J), B.S.A., 1952, p. 1 ff; Wallace (W), The Euboeam League and Its Coinage, 1956.
(3) M.I. Finley, The Ancient Economy, 1974, pp. 112 ff.
(4) Oxford Classical Dictionary, Second Edition, Oxford, 1978, p. 28.
(5) A Lexivon Liddel and Scott's Greek-English Lexicon, Oxford, 1974, pp. 6-7.

الحرة الأغريقية أن يكون بها سوق عام Ἀγορά - Agora ، يتلاقى فيه سكان المدينة أو زوارها من الأجانب الذين وفدوا لغرض تجارى فى أغلب الأحيان . وأن ذلك السوق لم يكن وليد فترة محددة وإنما كان وليد تطور حضارى وسكانى نشأ بنشأة المدن وتطورها - حتى فى مراحل تكويناتها الأولى منذ فترة تكوين مجتمعات القرى - حيث كان يمكن جمع المواطنين فى سوق القرية أو ساحتها الشعبية « Agora » لابلاغهم بقرارات الملك التى يتخذها بعد استشارة مجلس النبلاء (١) .

ماهية السوق :

يبدو أن مفهوم السوق لدى الفرد العادى كان يقترن بالمفهوم التجارى ، وذلك طبقاً لما ظهرت به معظم مفاهيم السوق القديم فى العالم الاغريقى ، حيث أن السوق نشأت بنشأة المدن الحرة الاغريقية ، وأصبحت سمة مميزة لنشأتها - خاصة وأنها كانت المطلب الأساسى لسكان تلك المدن ، من أجل تطور النشاط التجارى والاقتصادى الذى بدأ بنظام المقايضة ، وتطور بمعرفة وتداول العملة ، فأصبحت ماهية السوق الأولى تجارية بحتة .

إلا أن ذلك المفهوم بدأ يتطور بتطور الحياة الثقافية والفلسفية لسكان المدن الاغريقية التى بدأت بتنافسها السياسى ، وتطورت إلى تنافس ثقافى فلسفى ، فى مجال الأدب والشعر والنثر والخطابة والمسرح (التراجيدى والكوميدى) ... الخ ، ومن ثم فقد كان من الضرورى لترسيخ وتطوير ذلك التنافس أن يهيأ له المسرح الملائم لذلك فبدأت فكرة نشأة المسرح الشعبى فى مكان تجمع السكان داخل المدن ، أى فى الأسواق (٢) ، فأصبح السوق المتنفس الوحيد للمتفلسفين الذين اتخذوا من السوق موقعاً مميزاً لعرض مبادئهم ونظرياتهم الفلسفية ، مما أوجد روح الجدل والمنافسة بين

(١) كتو (الاغريق) ترجمة عبد الرازق يسرى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٦٢ ، ص ٦ .

(٢) أما عن مراحل ظهور المسرح الاغريقى العام بأشكاله المختلفة - فهى دراسة خارج نطاق بحثنا - وإن كانت الدلائل تشير إلى أن المسرح قد بدأ من خلال الأوركسترا والرقص الشعبى - كما أن تطور أشكاله قد مرت بمراحل متعددة حتى شكله شبه ونصف الدائرى فى اطاره المعمارى المميز والجديد (راجع) :

- Cf., Pollux, John William Donaldson, The Theatre of the Greeks, Cambridge 1860; Bieber (M), History of the Greek and Roman Theatre 2 (U.S.A., 1961) - bibliography, 325 ff.

الحاضرين الذين كانوا يتبارون فى عرض نظرياتهم الفلسفية والجدل فى صحتها . وكان من شأن هذا التطور فى مفهوم السوق الثقافى والأدبى نشر الشعر والأدب ، حيث تكاثرت أماكن الشعراء والأدباء فى الأسواق وفى جذب الجماهير إليها . وإزاء هذا التطور أصبح من الضرورى أن يكون هناك مكان محدد ذو معالم أساسية للعرض الثقافى الأدبى ، فنشأ ما يشبه المسرح البدائى على هيئة مصطبة مرتفعة ، وبدأت مراحل ماهية السوق الثقافى تتمثل فى ظهور المسرح النقدى التراجيدى والكوميدى الذى بدأ يظهر مساوئ الأنظمة الحاكمة عن طريق المسرحيات الهزلية والنكات الهادفة . ثم بدأت مراحل الخطابة تأخذ مجراها عبر السوق الاغريقى داخل المدن الاغريقية بشكل حماسى جعل من الضرورى على الفرد أن يلم بشئون مدينته السياسية والاجتماعية [١] . فقد كانت دولة المدينة هى دولة السوق العام (Agora -ἀγορά) ، تلك المساحة التى كانت بمثابة قلب الحياة الاجتماعية والتجارية ، تحيط بها أروقة (Stoa) مسقوفة تقى الناس من الأمطار وتقيهم من حرارة الشمس ، ويستخدمها كذلك الفلاسفة والخطباء وأصحاب النظريات - وآية ذلك أن احدى المدارس الفلسفية فى أثينا أطلقت على نفسها اسم الرواقية نسبة إلى الرواق [٢] .

مراحل تطور نشأة السوق الاغريقى

كانت لأعمال الكشوف الأثرية التى قامت بها البعثات الأثرية من مختلف الجامعات والهيئات المختلفة فى بلاد اليونان الفضل فى اكتشاف السوق القديم فى المدن القديمة الأثرية . وباستعراض آثار الحضارات القديمة فى بلاد اليونان منذ القدم ، ابتداء من الحضارة المينوية فى « كريت » وما حوته من معالم للسوق الاغريقية فى آثار مدينة « كنوسوس » القديمة [٣] ، وفى الحضارة الموكينية حيث كان السوق سمة

(1) Ernest Parker, Greek Poletical Theory, London, 1960, pp. 12 ff; سيد أحمد الناصرى (الاغريق) ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، ص ١١ ، ١٢ .

(٢) سيد أحمد الناصرى : (المرجع السابق) ، ص ١٠٣ .

(3) Cf., John Pendlebury, The Archaeology of Crete, 1939; Franes Welkins, Ancient Crete, 1966; Anna Michailidou, Knossos, Athens 1985.

بارزة لمدينة « موكيناى » القديمة [١] كذلك فى الجانب الشرقى لحوض بحر ايجه وفى آثار مدينة طروادة الشهيرة بطبقاتها الكشفية [٢] . وقس على ذلك معالم السوق فى كثير من مدن بحر ايجه وشبه جزيرة البلقان [٣] ، وإذا كانت تلك المعالم قد ظهرت منقوصة خلال تلك الفترة الباكرة لسوء شديد فى حالة الآثار ، فإنها بدأت تظهر بشكل شبه متكامل فى الفترة اللاحقة . وهذا يطرح السؤال نفسه هل مر السوق الاغريقى بمراحل تطور جوهرى ظاهرة ؟

يتضح من الدراسة أن عمليات الحفر والتنقيب عن الآثار كشفت عن مراحل تطور السوق الاغريقية فى المدن خلال حقبات التاريخ الاغريقى المختلفة ، فكانت سمات السوق فى العصر الكلاسيكى للحضارات الباكرة تختلف عن سماته فى القرن الخامس قبل الميلاد وكذلك فى العصرين الهلينيستى والرومانى ، وذلك نتيجة طبيعية لمدى تطور المدينة الحضارى .

وإزاء ذلك فإننا سنتناول مراحل تطور السوق الاغريقى خلال فترات التاريخ الاغريقى المختلفة وحتى العصر الهيلينستى على هذا النحو :

السوق الاغريقى فى الفترة القديمة الكلاسيكية

ومعلوماتنا عن السوق خلال تلك الفترة تعتبر طفيفة نتيجة لسوء حالة الآثار ، وإن كانت الآثار (وهى إحدى مصادر تاريخ الاغريقى) قد أمدتنا بمعلومات قيمة ، خاصة وأنه لم تتوافر مصادر أخرى وثائقية بصفة كاملة خلال تلك الفترة [٤] ، هذا إذا ما

---

(1) Cf., Lord William Taylor, The Myceneans (Ancient Peoples and Places No. 39) London, 1964, pp. 135 ff; George Mylonas, Mycenae, Athens 1985.

(2) Andrew Lang, Tales of Troy and Greece, 1962; C. Blegen, Boulter, Caskey, Rawson, Sperling, Troy I-IV (1950-85); C. Wblegen, Troy and the Trojans (1963).

(3) Cf., R.E. Wycherley, How the Greeks built cities, 1962.

(١) تشمل المصادر الوثائق (الآثار - النقوش - البردى - الاستراكا - العملة) وهى فى حكم المصادر الأولية (الأساسية) وذلك بالقياس للمصادر الأدبية (المكملة) راجع (عاصم أحمد حسين - المدخل إلى تاريخ وحضارة الاغريق - القاهرة - ١٩٩٣ - ص ٣ وما بعدها) .

استثنينا المصادر الأدبية الأخرى . فقد ظهرت أطلال المدن بعد اكتشافها ، وبرغم ترميم الكثير منها ، فإن جانباً كثيراً منها ظل غير واضح المعالم ، ومنها الأسواق ، فقد اختلط الأمر فى اكتشافها وتحديد مكانها بين أطلال ربوع المدن المندثرة ، وفى كثير من الأحيان لم يتمخض عن اكتشاف بعض الأسواق فى تلك المدن عن معالم دقيقة وذلك نتيجة لاندثار كثير من الأسواق تحت أنقاض الحقبات الأثرية المتعاقبة ، ومع ذلك فإنه يبدو أن السوق كان يتكون من بعض المصاطب المتجاورة فى شكل مستطيل أو دائرى للعرض التجارى .

السوق فى القرن الخامس قبل الميلاد

ويبدو أن مراحل تطور السوق قد اكتملت نسبياً خلال القرن الخامس قبل الميلاد وهى الفترة الأخيرة من العصر الكلاسيكى ، حيث أصبح السوق الاغريقى فى أكمل صوره الحضارية ، من حيث الصفة المحلية والعالمية .

وقد كشفت لنا أعمال الحفر والتنقيب فى كثير من المدن الاغريقية عن مراحل متقدمة من تطور السوق الاغريقى - بيد أن آثار مدينة « أثينا » تفضل عن آثار غيرها من المدن من حيث الكشف عن كثير من تكوينات السوق فى صورة أوضح نسبياً عن مثيلاتها فى تلك الفترة مما حدا بنا إلى أن نعرض فيما يلى ملامح السوق فى أثينا .

- ملامح من السوق فى أثينا فى القرن الخامس قبل الميلاد :

يمتاز القرن الخامس قبل الميلاد بوفرة مصادره نسبياً عن باقى قرون العصر الكلاسيكى لبلاد اليونان . وتمدنا مصادر ذلك القرن بصور من ملامح السوق العام وخاصة فى أثينا حيث كان شكل السوق يشبه بوجه عام مربعاً على كل من جانبيه رواق (Stoa -Στοὰ) ، مفتوح من جهة السوق ، وعلى حوائطه الداخلية نقوش زاهية الألوان ، تمثل بعض مناظر القتال بيه الآلهة والمردة أو بين المواطنين وجيرانهم ، الذين فى الناحية الأخرى من الجبل . وتتصل إلى السوق أزقة تتخللها حوانيت الحلاقين والمصانع المختلفة ، ومحلات الخزافين وغيرهم من الصناع . وعلى جانبى السوق الآخرين أقيمت مبان عامة ، على أحدها معبد ذو محراب كبير ، أمامه حملة تماثيل

وقرابين النذور ، وعلى الجانب الآخر البريتانيوم (Πρυτάνειον Prytaneium)[١] أو مبنى الحكومة حيث كان الرئيس اليومى وبعض الموظفين يتناولون طعامهم ، وكذلك ينامون ، وربما كان هناك أيضاً ، سجن وخزانة عامة . وقد تركت نصف ساحة المربع تقريباً خالية مفتوحة للشعب ، حيث كان يتوافد ويتجمع لحديث الصباح ، أما النصف الآخر ، فقد كان مكتظ فى غير نظام « بتخاشيب شتى » وصواوين ومظلات خشبية ، وألواح وأكواخ ، وكل نوع من أنواع المحلات التى كانت تقام مؤقتاً ، وتتخذ بأهمال على شكل « دوائر » أو صفوف ، حسب طبيعة البضائع التى كانت تبيعها ، ويبدو أن أكثر هذه المبيعات كانت تتألف من الأغذية التى لا يمكن أن تباع حيث تصنع ، شأنها فى ذلك شأن الأحذية والأوانى ، ولذا وجب حملها إلى السوق ، وهى الدقيق وربما الخبز كذلك ، والخضر والجبن والعسل والفواكه والثوم والنبيذ ، واللحم والسمك المعروض على صفائح من الرخام البراق ، وبعد ذلك كانت توجد مناضد صرافى النقود ، ثم محلات العطور والبخور التى وصلت من بلاد العرب عن طريق مصر وكانت ذات أثمان مرتفعة وباهظة ، وأخيراً سوق العبيد حيث كان بيعهم من خلال المزادات العلنية أمام الجمهور ، وفى أحد أركان السوق كانت تنزوى محلات بيع الكتب ، ومع ذلك كان الأمر لا يخلو من وجود الأصدقاء المثقفين فى مهاترات فلسفية نحو موضوع أو أكثر من المواضيع بين التراجيدى والكوميدى حتى بلوغ وقت الغداء[٢] .

وربما كان من أهم ملامح السوق « مراقبو الأسواق » (Ἀγορανόμοι – Agoranomoi) وكان من أهم مهامهم المحافظة على النظام فى السوق ، وفض المنازعات من خلال (Ἀστυνόμοι – Astynomoi) – ومراقبة الموازين والمكاييل من خلال الـ (Μητρονόμοι – Metronomoi) ، ومنع الغش وجمع إيجار التخاشيب والصواوين . وكان عليهم أيضاً من خلال الـ (Σιτοφυλακές – Sitophylakes) حماية الأفراد من التلاعب فى الأسعار ، وذلك بالنسبة للمواد

(١) وهو مقر الـ (Πρυτάνεις – Prytaneis) الرؤساء ، وقد قام (كلايسثنيز – Cleisthenes) باعادة تنظيمه بعد عام ٥٠٨/٥٠٧ ق.م .

– See, Aristotle, Ἀθηναίων Πολιτεία , 43 - 4.

(٢) الفريد زيمرن : (الحياة العامة اليونانية – السياسية والاقتصادية فى أثينا فى القرن الخامس) ترجمة عبد المحسن الخشاب ، القاهرة ١٩٥٨ (الطبعة الخامسة) ، ص ٣٣٧ – ٣٣٨ .

الضرورية التى لا غنى عنها (١) ، وخاصة تجارة الحبوب . ويشير « أجزينوفون Xenephon » إلى أن مراقبى السوق كانوا يزنون الخبز ليضمنوا تساوى وجهه وظهره فى الوزن كما هو مقرر (٢) . ويبدو أنهم كانوا يقومون أيضاً بجمع الضرائب المختلفة المتعلقة بنشاط السوق (٣) .

ويلاحظ أن الرجال اليونانيين كانوا يقومون بشراء حاجياتهم من السوق بأنفسهم ، إلا إذا كانت حالتهم تسمح باقتناء عبيد . ومرد ذلك إلى أن النساء الأحرار كن لا يقمن اطلاقاً بشراء ما يلزمهن ، مما استوجب على أزواجهن القيام بذلك – حتى أثناء قيامهم فى الخدمة كحراس مثلاً (٤) .

وأقدم مصدر وصل إلينا عن معاملات السوق ، عبارة عن خطاب مدون على لوحة صغيرة من الرصاص بمتحف برلين ، تحوى بضعة سطور بأحرف متاكلة تماماً ، ويعتبر أقدم خطاب يونانى وصل إلينا حتى الآن (٥) – ومضمونه على النحو التالى :

« احمله إلى سوق الخزافين ، وسلمه إلى « ناوسياس » (Ναυσίας) ، أو إلى « ثراسيكليس » (Θρασύκλης) أو إلى أبنى » .

– يبعث « منسيرجوس Mensiergos » (Μνησίεργός) ، بمحبته لكل من فى البيت ويرجو أن يجدهم – فى أحسن حال ، كما كان هو عندما تركه .

– أرجو أن ترسل لى سجادة من جلد خروف أو جلد ماعز ، رخيصة بقدر ما تستطيع ، خالية من الشعر ، وبعض النعال المتينة وسأدفع لك الثمن فيما بعد » .

---

(١) كان مكتب « مراقبو السوق » معروفاً فى أكثر من ١٢٠ دويلة إغريقية (بوليس) ، وكانوا يرشحون عن طريق القرعة لمدة عام . وقد كانوا فى أثينا عشرة ، خمسة منهم للمدينة وخمسة للميناء « بيرايوس – Piraeus » وقد زادوا بعد ذلك نظراً لاتساع مهام السوق : (راجع) :
– Arist. Ar. Ach, 896; Cf., les Agoranomes, Studia Hellenistica, 24, 1980, p. 253, f.

(2) Xenephon, Symposium, 2-30.

(3) Meritt (B.D), Wade-Gery (H.T), McGregor (M.F), The Athenian Tribute Lists, 4 Vols. (Cambridge, Mass. 1939-53).

(4) Arist. Lys., 555-564.

(5) Cf., Johresshefte des Osterr, Arch. Jnst., Vol. XII, pp. 94 ff.

Φέρεν ἐς τὸν κέραμ—
ον τὸγ χυτρικόν·
ἀποδόναι δὲ Ναυσίαι
ἢ Θρασυκλῆι ἢ θ' υἱῶι·
μνησίεργος
ἐπέστελε τοῖς οἴκοι
χαίρεν καὶ ὑγιαίνεν
καὶ αὐτὸς οὕτως ἔφασκε ἔχεν·
Στέγασμα εἴ τι βόλεστε
ἀποπέμψαι ἢ ὤας ἢ διφθέρας
ὡς εὐτελεστάτας καὶ μὴ σισυρωτὰς
καὶ κατύματα : τυχὸν ἀποδώσω.

ويعكس لنا هذا الخطاب صورة من المعاملات التجارية التى كانت سائدة من خلال السوق الاغريقى متضمنة الشراء ونوعيته وأسعاره ، حيث نستمد من الخطاب خلال الفقرة الأخيرة ، أن كاتب الخطاب يؤكد ضرورة شراء سجادة ذات مواصفات خاصة (من جلد خروف أو ماعز) - كذلك يحدد سعرها بأن يكون مناسباً رخيصاً . ويستدرك شيئاً ضرورياً قد نسيه ، وهو أن تكون (خالية من الشعر) وهذا يعطينا انطباعاً صادقاً لما كان يباع فى السوق من سجاد ذات نوعيات مختلفة وبأسعار مختلفة . ويضيف كاتب الخطاب طلباً جديداً من صديقه لشراء « بعض النعال المتينة » وينهى خطابه بتأكيد وتذكرة لصديقه بالتزامه بدفع الثمن فيما بعد ..... !!

واستناداً إلى ما تقدم فإن أعمال الكشف والتنقيب على آثار المدن الاغريقية القديمة قد أمدتنا ببعض مراحل التطور فى السمات المميزة للسوق الاغريقى . وقد كانت آثار مدينة « أثينا » أبلغ دليل على كشف كثير من ملامح السوق الاغريقى خلال القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث كانت لها ملامحها الظاهرة من خلال :

مبنى الاستقبالات : Tholos * : θόλος

ولقد أماطت أعمال الكشف والتنقيب عن الآثار اللثام عن كثير من خبايا أسرار تاريخ الاغريق وآثارهم خلال العصر الكلاسيكى وتطوره حتى القرن الخامس ، حيث أمدتنا الحفائر بآثار على درجة كبيرة من الأهمية ووضعت النقاط على الحروف لكثير من التساؤلات حول مضمون ماهية ومفهوم السوق الاغريقى .

فقد ظهرت معالم السوق الاغريقى باكتشاف أطلال مبنى دائرى (θόλος) بالسوق العام لأثينا يرجع إلى عام (٤٧٠ ق.م.) ملحق به مطبخ [1] ، ويبدو أن « سقراط » كان يوماً ما يأكل وينام فى هذا المبنى عندما كان يعمل كأحد أعضاء اللجان خلال تلك الفترة . ويعتبر ذلك المبنى من المعالم الأساسية التى أضافت لنا الجديد نحو ماهية السوق الاغريقى والذى يبدو من مضمونه أنه كان خاصاً باستقبال الزائرين من رواد السوق . وإن كان قد عرف الـ « Tholos » بمفهوم المحراب الصغير [2] .

رواق الفنون : Stoa Poikile : Στοά Ποικίλη

ويعتبر هذا المبنى من أجمل المبانى التى أكتشفت فى القرن الخامس قبل الميلاد [3] ، وإن كانت عمليات الكشف والتنقيب عن الـ (Stoa Poikile) لم تتمخض بعد عن صورة كاملة وذلك لوقوعها تحت الخطوط الحديدة الكهربائية لأثينا . بيد أنه قد كشف عن بعض منها وأهمها كتلة من الحجر الجيرى لاحدى القطع المعمارية ترجع إلى عام (٤٦٠ ق.م.) وهى (مهشمة المعالم) بسبب تداخل قضبان من الحديد فيها ، وكانت فيما يبدو تستخدم فى تعليق الرسومات الزيتية المشهورة لكبار الفنانين أمثال

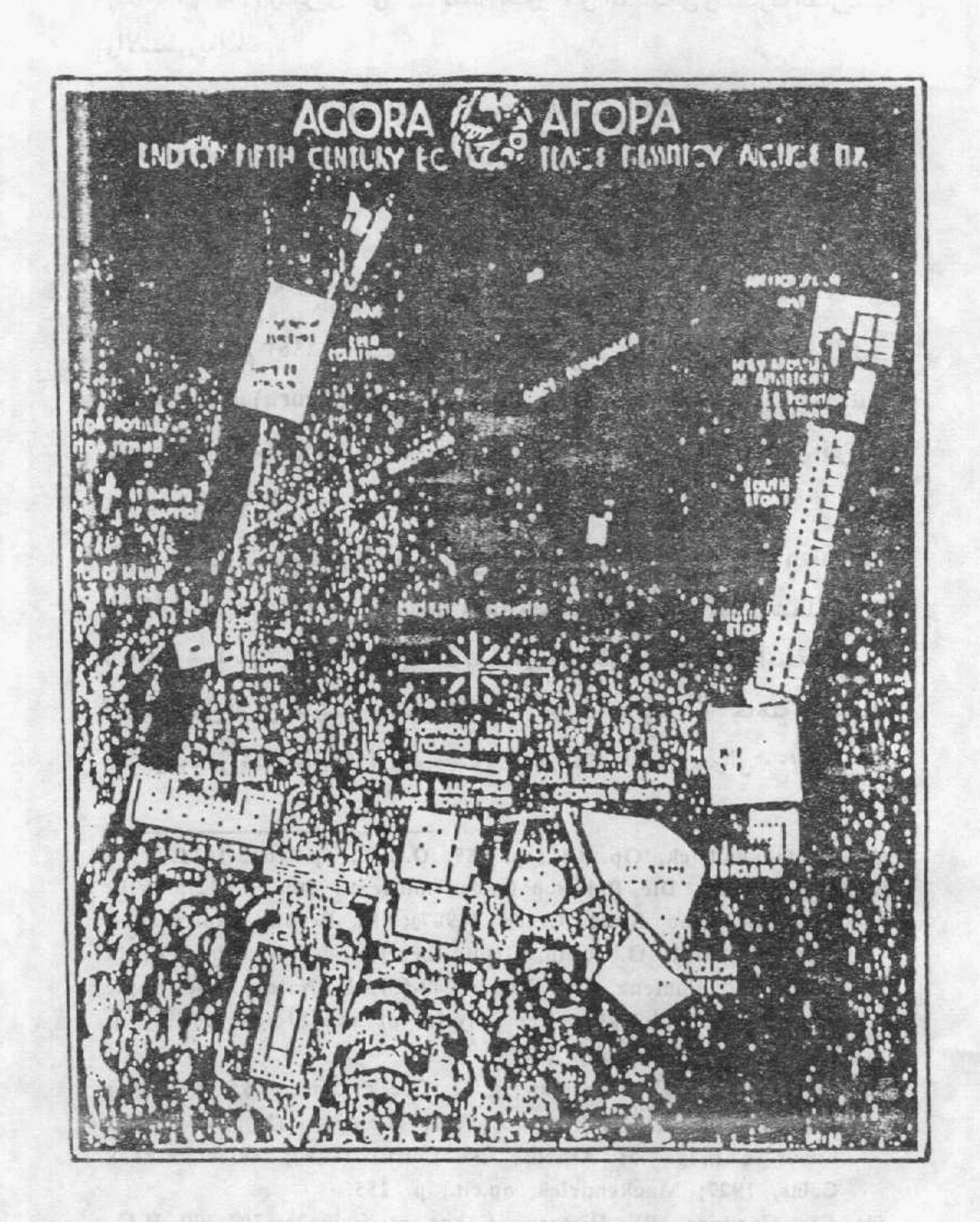
(*) الاصطلاح ثولوس (Tholos θόλος) والجمع (Tholoi θόλοι) يستعمل للدلالة على مبنى دائرى – وعند استعماله للمقابر يشير بصفة خاصة إلى أقبية الدفن الضخمة التى أنشئت طوال العصر الموكينى (١٥٨٠ – ١١٠٠ ق.م.) ، وفى أثينا كان المبنى الدائرى الذى يتناول فيه الـ (Πρυτάνεις) الطعام يدعى ثولوس Tholos .

راجع : الموسوعة الأثرية العالمية (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٧ ، ص ٣٦٧ .

(1) Paul Mackendrick, The Greek Stones Speak, London, 1956, p. 253; A Lexicon Lid. And Scot., p. 320.

(٢) لطفى عبد الوهاب يحيى (اليونان) المراجع السابق ، ص ٢٧٥

(3) Lexecon Lid. and Scot., p. 652.



رسم كشفى لاثار السوق فى أثينا فى القرن الخامس قبل الميلاد *

* Cf., Mackendrick, p. 254.

(Polygnotus) وآخرين - وكانت تمثل صوراً من القصص والمعارك التاريخية والأسطورية[١] .

ويبدو أن مفهوم الـ (Stoa) فى العصر الهلينيستى كان يمثل مأوى للفلاسفة من أمثال الحكيم (Zeno) وهو الذى أخذت المدارس الفلسفية أسمه من الرواق الذى صممه عام (٣٠٠ ق.م.)[٢] ، وذلك ما أضفى على ماهية السوق الصفة الثقافية الفلسفية .

دار سك العملة : Νομισματοκοπεῖον

وفى عام ١٩٥٣ أثر الكشوف الأثرية للسوق فى مدينة أثينا وجد فى الجنوب الشرقى من الـ (Agora) مبنى يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وفى هذا المبنى وجدت بقايا لأتونين ، وحوض مياه (حمام) كانت أرضيته على شكل قرص من البرونز ، ويبدو أنه كان للتخلص فيه من العملات الأجنبية .

ويرجح المستكشفون أن هذا المبنى كان داراً لسك العملة الأثينية (Athenian Mint) وهو مبنى له أهمية تاريخية هامة حيث أن العملة التى تحمل شعار البومة (Κουκουβαγία - Owe) كانت تسك فى هذا المبنى وكانت هى العملة الرئيسية لاغريق شرق البحر المتوسط لمدة تربو على ٢٠٠ عام - كما يبدو [٣] . خاصة وأن العملة قد عرفت فى أغلب الظن ولأول مرة شرق البحر المتوسط من حوالى ٧٠٠ ق.م.[٤] .

---

(1) P. Mackendrick, Op. Cit., p. 255; O.C.D., pp. 1015-1016.

(2) A. Schmekel, Die Philosophie der mittleren Stoa (1892); W.L. Davidson, The Stoic Creed (1907); E. Bevan, Stoics and Sceptics (1913); O. Reith, Grund Begriffe der stosichen Ethik (1913); M. Pohlenz, Die Stoa (1949-55); B. Nates Stoic Logic (1951); S. Sambursky, The Physics of the Stoics (1959); J. Rist, Stoic Philosophy (1969).

(3) Greek Coins, Cf., Seltman (C.T), Greek Coins, 1955; Hirmer (M), Kraay (C), Greek Coins, 1966; Thompson (M), New Style Silver Coinage of Athens, 1963; Hill (G.F), Select Greek Coins, 1927; Mackendrick, op.cit., p. 255.

(4) Cf., Gardner (P), History of Ancient Coinage 700-300 B.C., London 1918.

وأن تنافس العملة الاغريقية قد جعلها تتميز بصفة العالمية وخاصة عملة (يوبويا - Euboea) [١] .

ولقد قوى من ذلك الإستنتاج أنه وجد بالقرب من هذا المبنى نقش يحمل مرسوماً خاصاً بسك العملة [٢] . مما يضفى على ماهية السوق سمة جديدة من الناحية الاقتصادية .

مبنى الادارة العسكرية : Strategeion * : Στράτεγειον

وفى عام ١٩٥٤ تحول الباحثون إلى جنوب غرب الـ (Tholos) حيث اكتشفت مبان مدنية أخرى على درجة كبيرة من الأهمية مثل مبنى الـ (Strategeion) وهو مبنى معمارى يرجع إلى القرن الخامس الميلاد ، ومصمم على شكل حرف (T) ، وأغلب الظن أنه كان يستخدم مقراً لعقد اجتماعات للنظر فى بعض المسائل الهامة المتعلقة بمصالح الدولة [٣] . ويحتوى هذا المبنى على عدد من الحجرات الصغيرة ، بالاضافة إلى حجرة كبيرة بدون أبواب يبدو أنها هى التى كانت تستخدم فى عقد الاجتماعات للنظر فى شئون الدولة . وإزاء وجود ذلك المبنى ضمن اكتشافات منطقة السوق ، فإنه بذلك يضفى سمات جديدة من سمات السوق الاغريقية من الناحية السياسية خلال القرن الخامس قبل الميلاد .

---

(1) Cf., Wallace (W), The Euboean League and its Coinage, 1956.

(٢) وقد نسب ضرب العملة المسكوكة إلى « فيدون » من أرجوس ، وإلى « ميداس » من فريجيا ، وإلى كاندولس أو كرويسوس من ليديا (راجع) الموسوعة الأثرية العالمية (اشراف / ليونارد كوتريل) ترجمة / محمد عبد القادر محمد ، زكى اسكندر ، مراجعة / عبد المنعم أبو بكر (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٧ ، ص ٥٢٤ .

(*) عرف الـ (Strategoi – Στρατηγοι) بالقادة العسكريين عند الاغريق وإن كانوا قد عرفوا فى أثينا إبان القرن الخامس قبل الميلاد بالقادة السياسيين .

– Cf., Jones (A.H.M), Athenian Democracy (1957), pp. 124 ff.

(3) Mackendrick (P), op.cit., pp. 255-56.

مبنى Stoa I : Στοά

أظهرت أعمال الحفر والتنقيب المتواصلة عن اكتشاف مبنى يرجع إلى أواخر القرن الخامس (٤٢٥ – ٤١٠ ق.م.) أطلق عليه اسم (Stoa I) (١) ، وهو عبارة عن مبنى مستطيل مغطى ، به صفان من الأعمدة ، وتوجد على امتداده خلف الأعمدة ست عشرة حجرة بدون أبواب ، وفي كل منها سبع أرائك ، مما قد يشير إلى أن هذا المبنى كان بمثابة استراحة أو مطعم يمكن فيه خدمة حوالى مائة شخص جالسين فى وقت واحد .

ومن المحتمل أن هذه الحجرات قد أعدت لخدمة المحلفين والقضاة الذين كانوا يزاولون عملهم فى مبنى قريب كان يقع إلى الغرب ، ومخصصاً لانعقاد هيئة محكمة عرفت باسم (Heliaea (٢) Ἡλιαία–) والتى كانت مقراً لـ (Thesmothetai – θεσμοθέται) منذ القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد (٣) .

وهناك احتمال آخر وإن كان بعيداً نسبياً عن الاحتمال الأول – ولكنه يبدو معقولاً نظراً لاتساع ماهية السوق الاقتصادية – وهو أن مبنى بمثل هذا الحجم ويقبل مثل هذا العدد من النزلاء يوحى بالاعتقاد بأنه كان بمثابة (فندق) أو استراحة لزوار قادمين من خارج المدينة . ويرجح أنهم كانوا من التجار الذين قدموا لبيع سلعهم خلال يوم أو يومين ويحتاجون للاقامة قرب السوق لمزاولة عملهم بصفة مباشرة وسريعة . ويبدو أن المشرف على السوق هو الذى كان يدير تلك الاستراحة ، وأن الاقامة فيها كانت نظير أجر يومى .

الساعة المائية (الكليبسيدرا : Klepsydra *) : Κλεψύδρα

ومن المبانى الجديدة التى ظهرت فى السوق فى أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد ، بناء يواجه شمال منحدر « الاكروبوليس – Acropolis » ويقع خارج منشآت

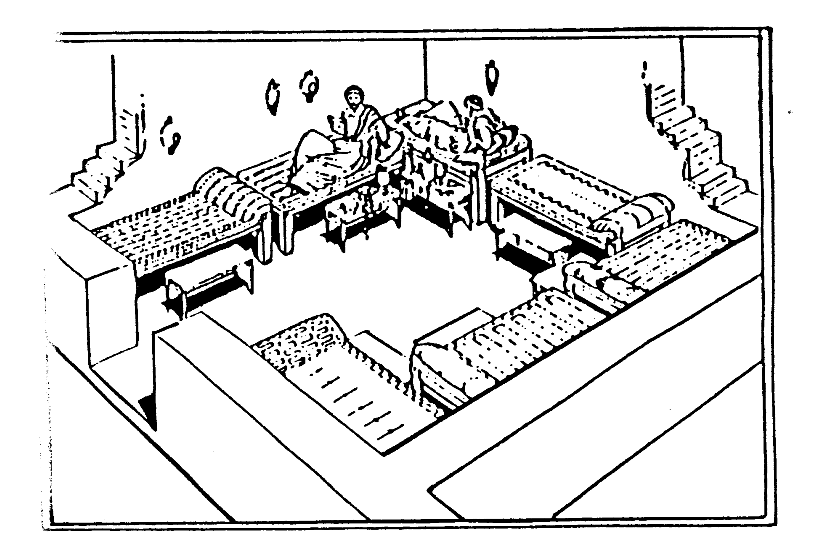
---

(1) Cf., P. Mackendrick, op.cit., p. 256.

(٢) كان الـ – « فى أثينا يمثلون الستة الأدنى من الاراخنة التسعة . (راجع) :
– Hommel (H), "Heliaia", Philol. Suppl. XIX, 1927.

(3) Cf., Aristotle, Ἀθηναίων Πολιτεία , 59.

(*) كانت تستخدم فى المحاكم لتحديد وقت الخطب .



السوق الأثينى

رسم تخيلى لحجرة من حجرات « الستوا « Stoa I * تحوى
عدد سبعة أريكات لتناول الطعام والراحة

* Cf., Mackendrick, p. 257.

السوق (Agora) ولكنه يتصل بها من خلال سلالم أثرية فخمة . وقد عرف باسم « الكليبسيدرا – Klepsydra » (Κλεψύδρα) [١] . أى الساعة المائية والتى كانت تتكون من (أ) وعاء حيث كانت المياه تتدفق منه من عدة ثقوب (ب) إناء آخر لتجميع المياه التى إذا ما وصلت إلى مستوى معين تدفق إلى الإناء الآخر مع توقيت زمنى للحركة [٢] . ويضفى هذا المبنى قيمة جديدة للسوق خلال تلك الفترة من الناحية الثقافية والحضارية .

كما أن أعمال الحفر والتنقيب كشفت عن أكثر من (٢٨٠٠ قطعة) من كسر مختلف الأوانى الفخارية ، وحيث أن هذه القطع ترجع إلى القرن الأولى قبل الميلاد فمن المرجح هنا أن الكليبسيدرا لم تستخدم بعد أن أخضع (صلا – Sulla) أثينا عام ٨٦ ق.م. [٣] .

كذلك أمدتنا أعمال الحفر والتنقيب فى الركن الجنوبى الشرقى للسوق (ἀγορά) بكسرات عليها قائمتان احداهما أجزاء من قائمة مبيعات ، والأخرى قائمة بأسماء رماة السهام المصابين من أبناء أثينا خلال فترة الحرب البلبونيزية التى حدثت بين الاغريق فى شبه حزيرة البلبونيز بزعامة قطبى الصراع (أثينا × اسبرطة) فى الفترة من ٤٣١ إلى ٤٠٤ ق.م. [٤] .

وقد كشفت أعمال الحفر والتنقيب شمالى الـ « Stoa » وعلى بعد مائة قدم من المعبد القديم المكتشف هناك [٥] – عن تماثيل وتعويزات رخامية ورؤوس فتيات صغيرات

---

(1) P. Mackendrick, op.cit., p. 256.
(2) See, Heron of Alexandria, Vol. I, 506-23; Schmidt (Teubner, 1899), and the Elaborat Clocks of Ctesibius (Vitruvius, De Arch. 9.8.2 ff; Kubitschek (W), Grundriss der antiken Zeitrechnung, 1928, pp. 188 ff.
(3) Laffi (U), Athenaeum, 1967, 177 f., 255 f.
(4) See, Thucydides, History of the Peloponnesian War, Trans., by Rex Warner, London 1977.

(٥) ربما كان هذا المعبد القريب من السوق يحوى قبر Iphigenia (ἰφιγένεια) وهى فى الأساطير ابنة « أجا ممنون » .

– Cf., Clement (P), L'Antiquité Classique, 1934.

تتراوح سنهن ما بين الخامسة والعاشرة ، ويشير المكتشفون إلى أن هذه التماثيل كانت لفتيات كن مساعدات لكاهنة الربة « Artemis » فى مدينة « Brauron » (١) .

السوق الاغريقية خلال القرن الرابع قبل الميلاد

ومما يجدر بالملاحظة أنه فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد بدأت معالم السوق الاغريقى تظهر بين مخلفات كثير من المدن بصورة أوضح من الماضى . وقد أمدتنا أعمال الحفر والتنقيب فى المدن الاغريقية بكثير من ملامح السوق وتطورها . وإزاء ذلك فقد رأينا أنه لمن الأوفق عرض أهم معالم السوق فى بعض المدن التى ظهرت بها سمات مميزة تضيف الجديد لما سبق كشفه من سمات أثرية جديدة للسوق .

أبيداوروس : Epidaurus : Ἐπιδαύρυς

ربما كانت آثار مدينة Epidaurus (٢) من السخاء الذى عكس كثيراً من جوانب حضارة الاغريق القديمة ، ومع ذلك فإن معلوماتنا طفيفة نسبياً عن ملامح السوق (Agora) فى هذه المدينة ، غير أن أهمية الآثار المكتشفة هناك تحدونا إلى عرضها .

فإلى الشرق من مدينة (Tiryns Τίρυνς) بحوالى تسعة عشر ميلاً توجد « أيكة اسكليبيوس المقدسة » (Asclepius – Ἀσκληπιός) (٣) فى « Epidaurus » وهى من أهم الملامح الرئيسية لهذه المدينة ، خاصة وما كانت تتمتع به تلك الغيضة من شعبية كبيرة بين الاغريق بدليل تكالبهم عليها ، طالبين الشفاء من الأمراض المختلفة (٤) .

---

(1) Mackendrick, op.cit., p. 295.

(٢) إحدى المدن الاغريقية على الخليج الساورنيكى . (راجع) :

- Defrasse (A), Epidaure, 1895; Herzog (R), Die Wunderheilungen von Epidauros, 1931; Iakovidis (S.E). Epidaurus, Athens, 1984, p. 127 f
- P. Kavvadias, Tό ἱερον τοῦ Ἀσκλήπιου ἐν Ἐπίδαυρῳ 1900.

(3) Schazmann (P) and Herzog (R), Kos, Col. I, Asklepieion, 1932; Edelstein (L), Asclepius (2 Vols., U.S.A. 1945); Kavvadias, To 1900.

(4) Festugière (A.J), personal Religion among the Greeks (Asclepius), 1932.

وقد كان هذا الاكتشاف مفخرة للأمة اليونانية . ففى عام ١٨٨١م كلفت الجمعية المعمارية الفنية اليونانية السيد « كافادياس » « P. Kavvadias » بالقيام بمسح شامل لآثار تلك المنطقة ، وتمخض ذلك عن كشوف مخلفات هامة وعظيمة ، أفصحت عن كثير من جوانب تاريخ اليونان الثقافى .

ومن عام ١٨٨٦م حتى عام ١٨٨٧م استطاع « كافادياس » أكتشاف ستة وعشرين مبنى فى « Epidaurus » تشمل المسرح الاغريقى ومعبد «Asclepius» ، ومبنى دار المحاسبة ، والمبنى الدائرى الطريف « Tholos » ، وأخيراً « الأستاد » .

دار المحاسبة :

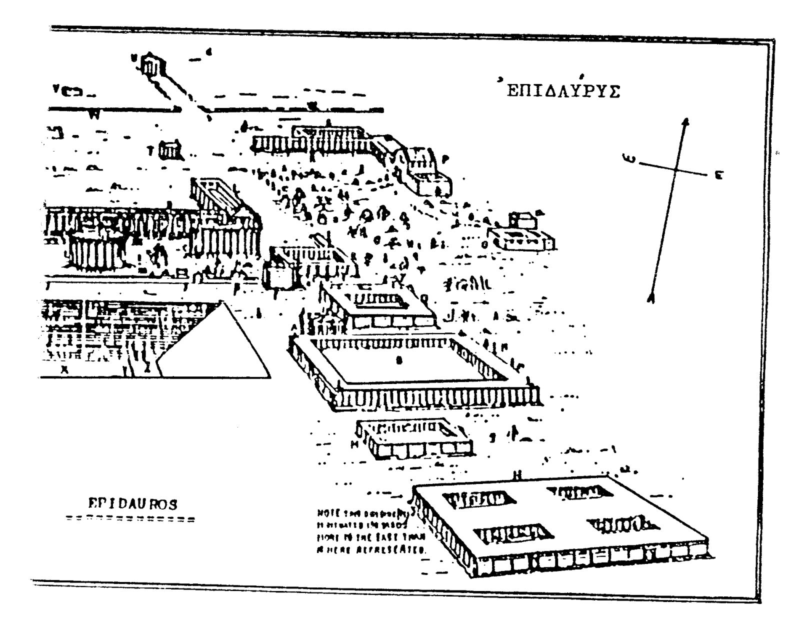
ويجب أن نشير إلى أن مبنى دار المحاسبة كان قريباً من المسرح ، كما هو مدون فى نقوش القرن الرابع قبل الميلاد [1] . وهو يعكس بعض ملامح الحياة الاقتصادية فى تاريخ الاغريق القديم . ويبدو أن هذا المبنى كان مخصصاً للمحاسبات الضريبية وكانت تشمل مدفوعات التجار الضريبية ، وكانت تحفظ به سجلات الضرائب ، وفى نفس الوقت يعتبر مقراً للإدارة والمتابعة - وإن كانت مصادرنا لا تسعفنا بالتاريخ الدقيق لانشاء هذا المبنى وإن كنا نرجح انشاءه فى أثينا بعد اصلاحات صولون .

منتجع المرضى :   Νοσοκομεῖο

ولقد اكتشف « كوفادياس » شمالى المعبد والـ « Tholos » مبنى طويلاً ذا رواق معمد عند مدخله ، ومخزنين عند نهايته الغربية ، ومن المرجح أنه كان منتجعاً للمرضى الذين كانوا يحجون إليه طالبين الشفاء من « Asclepius » [2] فقد كانوا يؤمنون به لشفائهم من عديد من الأمراض مثل العقم ، الشلل ، الصمم ، الجدرى ، حصوة المرارة ، صفرة العين ، الكساح ، العرج ، الصلع ، داء الاستسقاء ، مرض الديدان ، الأورام الخبيثة ، القرحة ، القمل ، الأمراض العصبية ، الغرغرينة ، السل ، النقرس ، والتهاب المفاصل .

(1) Inscriptions from the Athenian Agora, 1966 - (The American School of Classical Studies at Athens).

(2) C. Walton, The Cult of Asklepios (U.S.A. 1894); O. Deubner, Das Asklepieion Von Pergamon (1938); C. Rocbuck, Corinth : Asklepieion and Lerna (U.S.A. 1951).



رسم تخطيطى يوضح كثير من معالم السوق الاغريقى لمدينة

أبيداوروس * ، Epidaurus ، خلال القرن الرابع قبل الميلاد

* Cf., Mackendrick, op.cit., p. 278.

ويبدو أن كثيرين من أطباء الاغريق والعالم القديم كانوا يفدون على هذا المكان لدراسة تلك الحالات مع بعض من تلاميذهم ، والاطلاع على ما يستجد من علاجات جديدة تمارس في هذا المكان . وليس لدينا مصادر كافية عن وسيلة العلاج في هذا المكان . ويبدو أن العلاج كان نظير أجر رمزى فى بعض الحالات ، أما الحالات المستعصية فيبدو أن علاجها كان مجانياً ويخضع للدراسة والتمحيص على ضوء مناهج الطب الأبقراطى (١) .

الهيكل : Ναός

وفيما عام ١٨٩٣م اكتشف « كافادياس » فيما بين المسرح وبين الفناء المقدس أكبر مبنى وهو يعرف بالهيكل ، ومن المرجح أنه كان أيضاً يستخدم كمأوى للمرضى وزوار الآلهة ، وكان بمثابة فندق كبير (٢) . ومن المؤسف أن كثيراً من أطلاله تبدو فى حالة سيئة . ويبدو أنه قد حدث نوع من الخلط بين مأوى منتجع المرضى والهيكل فى ابيداوروس للتشابه في الغرض الطبى .

الأستاد الرياضى : Stadium Στάδιον

وفى عام ١٨٩٤م وجنوبى الهيكل كشف « كافادياس » عن الأستاد الرياضى ، وكان تصميمه على شكل رباعى ، قيس بالقدم أو اتخذت وحدة الأقدام مقياساً له ، كما اكتشف مقاعد الأستاد المبنية من الحجارة ، وكذلك منصة الحكام والقادة ، حيث وجدت منضدة كانت توضع عليها الأكاليل التى تعطى جوائز . والجزء الشمالى من أسفل المدرجات يقود إلى الـ Tholos والمعبد (٣) .

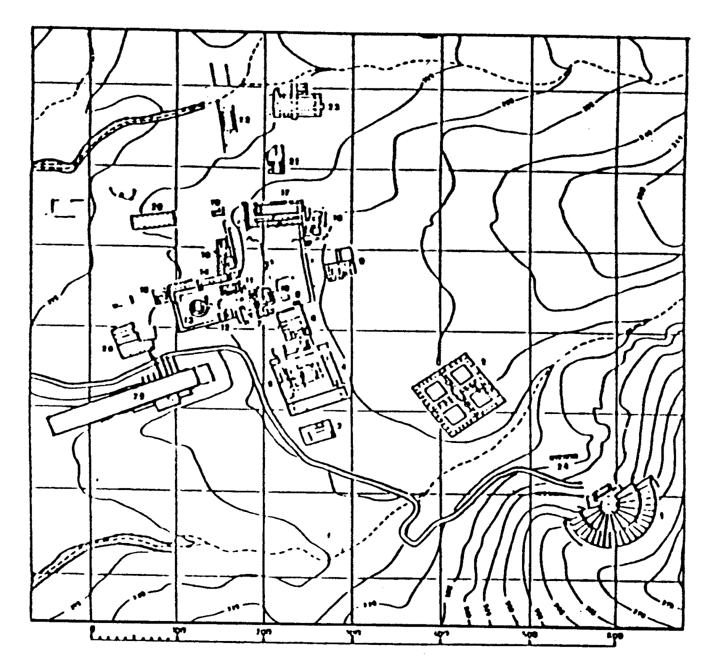
---

(١) عرف الطب اليونانى فى القرن الخامس قبل الميلاد بالطابع الأبقراطى نسبة إلى أبقراط الكوسى (راجع) :

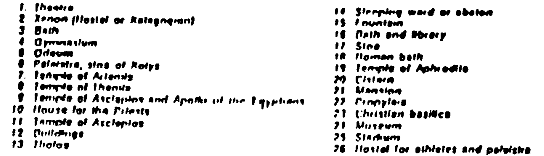
- Littré, Oeuures Completes d'Hippocrate, 10 Vols, Paris, 1939 - 1961.

(2) Kavvadias (P), Fouilies d'Epidaure, Athens, 1891.

(3) P. Mackendrick, op.cit., p. 305.



Plan of Epidaurus*



* Iakovidis (S.E), Epidaurus, Athens 1984, 131.

المسرح : Theatre : θέατρον

ويعتبر مسرح « Epidaurus » [١] من أهم ملامح بلاد اليونان فى القرن الرابع قبل الميلاد ويعكس صورة حضارية من تراث الاغريق القديم الثقافى للأعمال المسرحية سواء التراجيدية أو الكوميدية ، ويتسع المسرح بعد تجديده إلى حوالى (١٢,٠٠٠) متفرج ، والمبنى المسرحى بنى على شكل البرطمان الذى يقوم بتوزيع الصوت – وعنق هذا البرطمان الأجوف تجاه الفرقة الموسيقية [٢] ، هذا ما يمكن معه القول بأن التطور المعمارى كانت ملامحه واضحة من خلال تطور بناء المسرح الاغريقى [٣] . والذى يعطى سمة مميزة وجديدة للسوق العامة .

أضف إلى ذلك أن آثار « أبيداوروس » قد عكست لنا صوراً من التطور الحضارى المعمارى الجديد فى الطرز التى تمثلت بشكل واضح فى الأفنية والأعمدة – كذلك مدى التناسق فى توزيع أبنية السوق بشكل منظم ودقيق .

برينى : Priene

كانت من أشهر مدن أيونيا فى اسيا الصغرى وتقع تجاه ساموس وجنوبى أفيسوس بحوالى ثلاثين ميلاً .

وربما تعطينا مدينة « برينى – Priene » صورة مكملة لسمات السوق الاغريقية من خلال آثارها – حيث وجد الاسكندر عام (٣٣٤ ق.م.) فى آسيا الصغرى التخطيط الشبكى النموذجى لمدينة « Priene » (الأيونية) – وهو التخطيط الذى ابتكره هيبوداموس الملطى فى القرن الخامس قبل الميلاد وطبق فى اعادة تخطيط ببرايوكا وروودس وهاليكارناسوس وكذلك فى تخطيط الاسكندرية [٤] . ولقد كان (١٨٩٥ – ١٨٩٨) عام الاكتشافات الموسعة لهذه المدينة ، حيث كشف عن معبد (أثينا – Athena) وموقع السوق العام (Agora) – وكان يضم شرفة المعبد الصغير للإله (Zeus) ،

(1) R. Herzog, Die Wunder Heilungen Von Epidaurs (1931).

(2) Cf., Gerkan, A. Von – W. Muller-Wiener, Das Theatre Von Epidauros, Stuttgart, 1961; Iakovidis (S.E), op.cit., p. 130.

(3) Cf., Bieber (M), History of the Greek and Roman Theatre (U.S.A), 1961, pp. 220 ff.

(4) Breccia (E), Alexandrea ad Aegyptum, Bergamo, 1922, p. 67.

والـ « Stoa » ، هذا إلى جانب الأنصاب التذكارية التى كشف عنها فى سوق « برينى » وهى عبارة عن تماثيل ذهبية أو مطلية بالذهب وأخرى من البرونز . ويلاحظ أن تلك التماثيل كان يختار لها أجمل وأروع الأماكن بالسوق [1] ، ويبدو أن مشرفى وحراس السوق كانوا يتولون حراستها إلى جانب مهامهم الأخرى .

وخلف السوق (Agora) وعند نهاية المدخل الشرقى من الناحية الشمالية لـ « Stoa » وجد مبنى الجمعية الشعبية (Ekklesiasterion) ، وهو عبارة عن مكان دائرى يحوى (٦٤٠) مقعد انتظمت فى شكل دائرى حول ثلاثة جوانب لمربع يوجد فى منتصفه المذبح . وشمالى ذلك المبنى يوجد المسرح . وعند البوابة الغربية للسوق وجد معبد ما يسمى (بالدار المقدسة) وهى تضم مكاناً للتعبد وتمثالاً من المرمر للاسكندر ، وعليه تعويذة بعدم دخول أى فرد إلا بالرداء الأبيض [2] - احتراماً لقدسية المكان .

ويبدو لنا أن سمات السوق فى القرن الرابع وكما هو ظاهر من الآثار الكشفية قد ازدادت فخامة ، خاصة المبانى العامة بأبهيتها ذات العمد فى ميدان السوق وحوله ، وصار المنظر جميعه أكثر اتساقاً ونظاماً [3] ، مما ساعد على اتساع ماهية السوق الثقافية والاقتصادية والسياسية والدينية .

السوق فى العصر الهلينيستى

ونلاحظ أن السوق الاغريقى قد طرأت عليه كثير من التطورات خلال العصر الهلينيستى ، وأن حركة التجارة الخارجية وانتعاشها كانت لها مؤثراتها على انتعاش السوق وتطورها بالصورة التى تواكب عجلة التطور ، والتنافس على تحسين الصنف لكى يكون ملائماً لاحتياجات الأفراد ومناسباً لتطور الأذواق [4] ، ولقد كانت الآثار التى كشفت عنها فى مدينة « أثينا » مرآة تعكس لنا صورة شبه كاملة لمدى ما وصل إليه

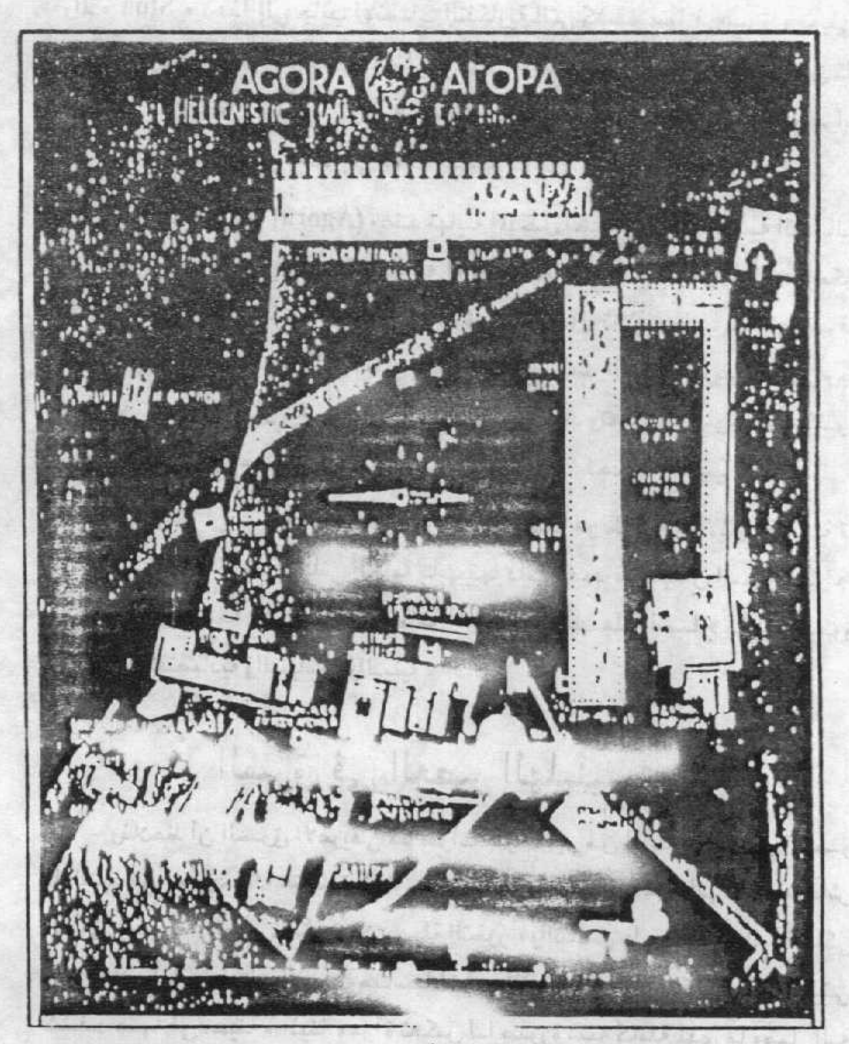
---

(1) T. Wiegand and H. Schrader, Priene, Ergebnisse, 1904; F. Hiller, Inschriften von Priene, 1906; Schede (M), Die Ruimen von Priene, 1934; G. Kleiner, PW Suppl. IX, S.V. See also R.E. Wycherley, How The Greeks built cities, 1962.

(2) Machendrick, op.cit., p. 311.

(3) Wachsmuth, Stadt Athen, Vol. II, pp. 443 ff.

(4) R. Martin, "L'Agora", Etudes Thasiennes 6 (1956).



الكشوف الأثرية في السوق الأثيني في العصر الهلينستي

* Cf., Mackendrick, p 357

تطور سمات السوق الاغريقى ، حيث ظهرت كثير من مراحل تطوره والمكملة لملامحه السابقة . وفيما يلى أهم ملامح تلك الإضافات :

مبنى الأتاليين : Attalids :

ينسب الأتاليين « Attalids » إلى برجامون (Pergamun) [١] – وكانوا قد عنوا بزخرفة مدنهم ، حيث يعذى إلى نسبهم معظم المبانى العريقة فى العصر الهلينيستى [٢] .

ولما كان « أتالوس الثانى – Attalus II » قد تعلم (١٥٩–١٣٨ ق.م.) فى أثينا ، فإنه أقام فى الجانب الشرقى من سوق (أجورا – Agora) أثينا الرواق (Stoa) التى حمل اسمه (رواق أتالوس – Stoa of Attalus) [٣] وقد كان شقيقه « يومنيس الثانى – Eumenes II » قد شيد (١٩٧ – ١٩٥ ق.م) [٤] مبنى يشبه الرواق (Stoa) على المنحدر الجنوبى للاكروبوليس فى أثينا ، وكان يقع بين مسرح « ديونيسيوس – Dionysius » وبين الرقعة التى تقع عليها نهاية الـ (Odeum Ὠδεῖον) [٥] الذى شيده (هرودس أتيكوس – Herodes Atticus) [٦] . ويبدو أن كلا الشقيقين كانت لهما مواهب عملية للبناء والتشييد مثل المتنزهات ، ومراكز البيع والشراء ، والمدرجات المسقوفة .

(١) مدينة تقع فى أسيا الصغرى ، تبعد حوالى خمسة عشر ميلاً من البحر الايجى .
- Cf., C.A.H., IX; Cardinali (G), Il regno di Pergamo, 1906.

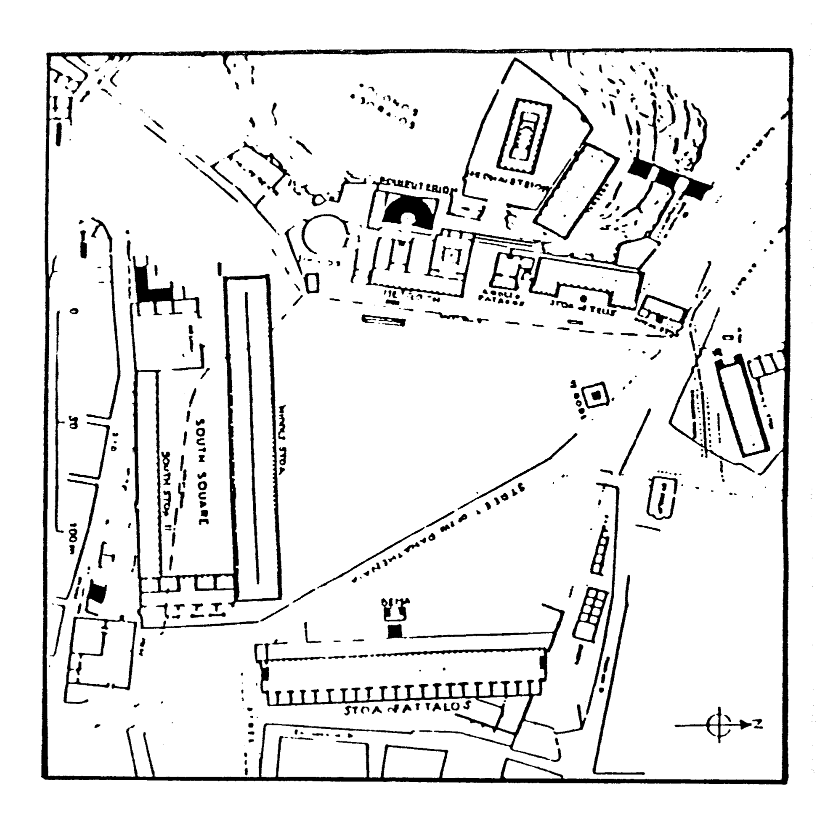
(2) Cf., hansen, Attalids, pp. 123 ff.

(3) Thampson (H.A), "Stoa of Attalus", Arch 2 (1949); 24 (1955); 26 (1957).

(4) Cf., Vezin (A), Eumenes Von Kardia, 1907.

(٥) وهو المسرح الصغير للعرض الموسيقى ، وقد كان (بركليز – Pericles) أول من وضع أساس بنائه فى أثينا . (راجع) :
- Cf., Judeich (W), Topographie Von Athen, 1931, pp. 306, 326; Hill (I.T), The Ancient City of Athens, 1953, pp. 62 ff, 110 ff; Bieber (M), History of the Greek and Roman Theatre (U.S.A), 1961, p. 220.

(٦) من كبار رجال الأدب الأثينيين الأثرياء وقد اشتهر بمنحه السخية الباهرة للمدن الاغريقية ، وقد كرمه الامبراطور انطونينوس (١٣٨ – ١٦١) :
- Cf., Graindor (P), Herode Atticus et sa famille, 1930; Cary (M), History of Rome, pp. 673, 691.



(Plan of the Agora in Athens in the Hellenistic Period)

Oswyn Murray, Life and Society in Classical Greece, (The Oxford History of Greece and the Hellenistic World, 1991), p 243

ويلاحظ أن الـ (Stoa) المتوسط فى آثار سوق (Agora) أثينا تقع فى مواجهة (رواق أتالوس) Stoa of Attalos يساراً ، وهى تشبه فى معمارها للرواق الخاص (فيليب الخامس - Stoa of Philip V) فى ديلوس . وكانت هذه الرواق (Stoa) المتوسطة هدية من زوج شقيقة (أتالوس - Attalus) صديق الدراسة فى أثينا والذى لقب باسم (أرياراثيس الخامس - Ariarathes V) لكابادوكيا - Cappadocia فى الفترة من ١٦٣ - ١٣٠ ق.م. (١) .

ويجب أن ننوه بأن كثيراً من الكشوف الأثرية الاغريقية فى منطقة البلقان ، أو منطقة جزر بحر ايجه ما زالت موضع الدراسة والترميم ، وأنها تخضع لجدولة زمنية طبقاً لأهميتها وإلى امكانات المساعدات العلمية والمادية . وهذا ما سيضيف الكثير إلى دراستنا مستقبلياً .

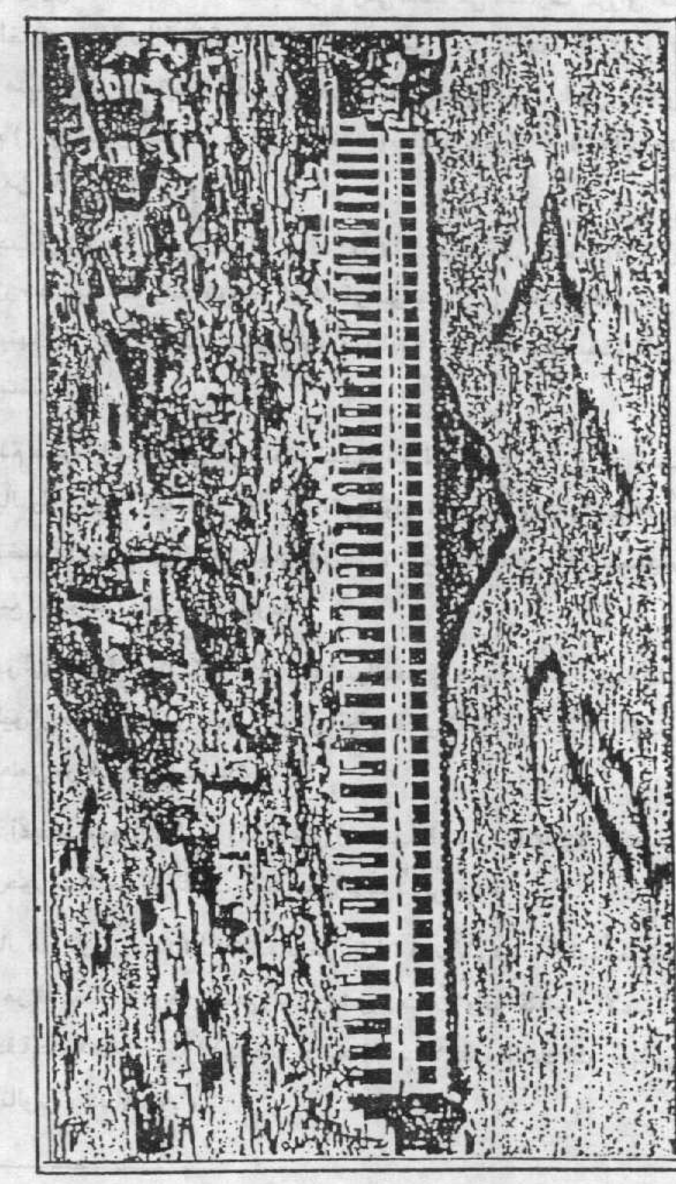
وتقدم حكومة اليونان فى كل عام عرضاً شاملاً لبرنامجها الأثرى إلى الجهات الرسمية بالدولة (وزارة الثقافة والآثار) ، التى تتولى تنسيقها ورفعها إلى الجهات الدولية ، متضمنة الانجازات التى تم إنجازها والتى لا زالت تحت الدراسة والتمحيص - وبذلك تخضع للإشراف والمساعدات الدولية .

ويبدو أن منظمة اليونسكو العالمية بالإشتراك مع بعض الهيئات الدولية تشرف على اثار اليونان بشكل مباشر وبتصريح من الحكومة اليونانية مع الالتزام بالإشراف الإدارى والعلمى من قبل الجهات المختصة .

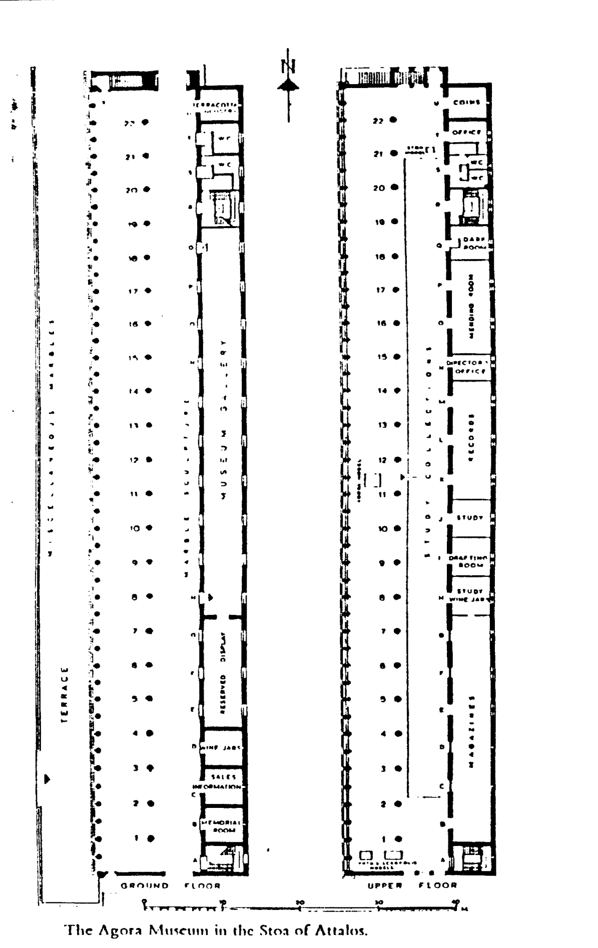
ولقد أعيد بناء رواق أتالوس وكذلك منازل متحف السوق « Agora » وحجرات التخزين ، وحجرات العمل ، والمكاتب بشكل يعتبر مقبولاً إلى حد ما .

وأبعاد هذا الرواق « Stoa » تحدد بمقدار ٣٨٢ قدماً طولاً و ٦٤ قدماً عرضاً - وبها صفان من الأعمدة المزدوجة ، تضم واحد وعشرون محلاً ، ولقد اكتشفت الأعمدة عن طريق الصدفة عام ١٨٥٩ - ١٨٦٢م وكانت دليلاً قاطعاً لا تقبل الشك على أنها رواق « Stoa » أتالوس « Attalus » .

(1) Simonetta (B), Notes on the Coinage of Cappadocian Kings, Num. Chron., 1961, 9 ff; 1964, 83 ff.



معالم آثار الـ « استوا » - Stoa - أثينا بعد اكتشافات عام ١٩٥٦م.



The Agora Museum in the Stoa of Attalos.

ونحن لا ننكر المجهود الضخم الذى قام به عالم الأثريات (Homer A. Thompson) ومساعده المهندس (John Travlos) وما أنجزاه من عمل عظيم فى اعادة ترميم أعمدة رواق أتالوس وكشف خفايا ما تحويه السوق (Agora) وعمليات الترميم الواسعة وخاصة الأعمدة المزركشة وترميم الأرضية المكسوة بالفسيفساء المعروفة باسم الـ (Terrazzo) وترميم مخازن السوق وحجراته [١] .

أما أسفل الجزء الشمالى من السوق فقد كشفت بعض المقابر التى ترجع إلى العصر الموكينى وقاعة ترجع إلى القرن الخامس أو الرابع ، من المرجح أنها كانت قاعة المحكمة ، كما وجدت بعض قاعات بها مقاعد مصنوعة من البرونز ويبدو أنها كانت مخصصة للمحلفين والقضاة بالمحكمة ، كما اكتشفت صناديق من البرونز يبدو أنها كانت خاصة بالاقتراع ، وقد وجد فى كل منها جزء مفتوح من المنتصف . ويبدو أن مثل هذه الصناديق كانت تستخدم لغرض أجراء عملية الاقتراع أو التصويت ، حيث وجدت كوة بها كثير من كسر الفخار ترجع إلى عام (٥٢٠ - ٤٨٠ ق.م.) . كما نلاحظ أن المحلات الهلينيستية كانت تقدم وتبيع سلعاً مختلفة [٢] . ويبدو أن سوق أثينا كان يعرف نظام تغيير العملة طوال فترة استخدامها [٣] .

ثاسوس : Thasos * :

وربما تعطينا آثار « ثاسوس – Thasos » الكثير من الملامح الحضارية لتاريخ الاغريق القديم وبخاصة « السوق – Agora » خلال العصر الهلينيستى . ولقد كانت

---

(١) فى سبتمبر ١٩٥٦م قام بطريق أثينار خمسمائة وألف زائر وجموع غفيرة من اليونانيين تحت لواء الملك « بول » والملكة « فردريكا » بافتتاح الـ « Stoa » . راجع :

- Thompson (H.A), "Stoa of Attalus", Arch 2, (1949) 124-130; See also Hesp 23 (1954) 55-57; 24 (1955) 59-61; 25 (1956) 66-68; 26 (1957) 103-107.

(2) P. Mackendrick, op.cit., pp. 357-8.

(3) Sitta Von Reelem, Exchange and markets in Ancient Athens, (Duckworth, London 1994).

* ترجع جزيرة « ثاسوس – Thasos » شمال بحر ايجه . (راجع) :

– Lazadrides (D.I), Thasos, Salonika, 1958.

للبعثة الفرنسية للآثار الحظ الأكبر فى كشف بقايا أطلال تلك المنطقة ، حيث بدأت تظهر بشكل واضح معالم آثار تلك الفترة بعد الحرب العالمية الثانية ، فى صورة شبه متكاملة .

وقد ركزت البعثة الفرنسية جهودها الكشفية فى اظهار أهم معالم السوق (Agora) مثل مبنى الرواق « Stoa » الذى كانت ملامحه المميزه من خلال دعائمه الخشبية الهائلة التى تتشابه مع رواق زيوس « Stoa of Zeus » فى أثينا ، وكذلك مع رواق فيليب « Philip » فى مجالوبوليس « Megalopolis » [١] ، وأيضاً مع رواق « Artmis » فى « Brauron » [٢] فى أتيكا ، ومع رواق « أنتيجونوس – Antigonus » فى ديلوس [٣] ... وغيرها .

ومن أهم المخلفات الأثرية التى كشف عنها فى السوق (Agora) فى هذه الجزيرة ، مجموعة من النقوش أهمها تلك التى تحمل أسماء المشاهير من الأبطال مثل « Theognés » الذى فاز فى الألعاب الأوليمبية ١٣٠٠ مرة [٤] .

وقد كللت ثمرة المجهودات الكشفية لمدينة « ثاسوس – Thasos » تلك الأسوار المنيعة التى كانت تحيط بالمدينة والتى توجت باثنى عشرة برجاً للمراقبة ، وتسعة أبواب ضخمة ، هذا إلى جانب الكشف عن مسرحها الذى كانت تقام به حفلات الشعر الغنائى [٥] . وتعتبر تلك السمات نقطة ارتكاز لآثار « ثاسوس » وإضافة فى تطور معالم السوق الاغريقية خلال الفترة الهلينيستية .

---

(1) Gardner (E.A), Excavation at Megalopolis, 1890-1, S.P.H.S., Suppl. Papers I, London 1892; The Excavation at Megalopolis, 1890-1 (The British School at Athens).

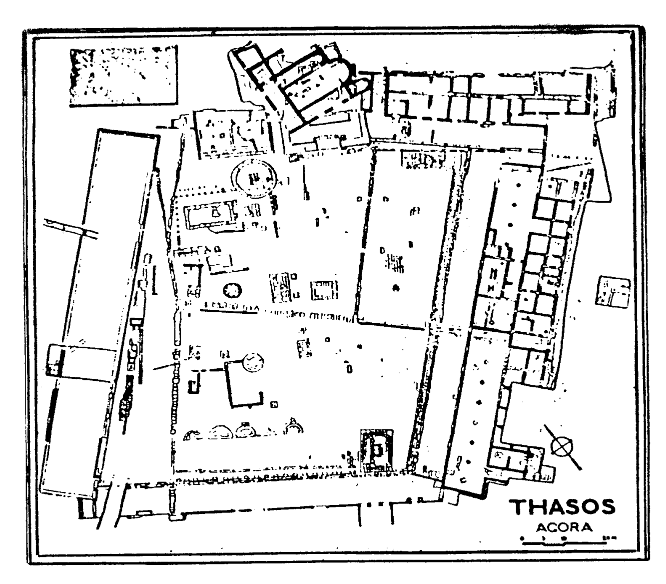
(2) Papadimitriou (J), Anaskaphai en Brauroni Tes Attikes, Athen, 1960.

(3) I.G., The Exploration, Archéologique de Délos (25 Vols, 1959-61); P.W., Delos, 2459 ff; Laidlaw (W.A), A History of Delos, 1933.

(4) Hicks (E.L) and Bent (J.T), Inscriptions from Thasos (The Journal of Hellenic Studies, Vol. VIII, 1987, pp. 409 ff.

(5) Guide de Thasos (Ecole Francaise) Athens 1967; Inscriptions Graecae, XII, 8.

Thasos – ساسوس



معالم السوق الاغريقى فى « ثاسوس » بعد اكتشافات ١٩٥٩م .

---

(١) تمدنا الحفائر بكثير من ملامح مدينة « Thasos » حيث كانت محاطة بأسوار منيعة ومتوجة باثنى عشر برج وتسعة أبواب ضخمة – هذا إلى جانب مسرحها الذى كانت تجرى فيه حفلات الشعر الغنائى (راجع) :

– Cf., Inscriptiones Graecae, XII. 8; Casson (S), Macedonia, Thrace and Illyria, 1926; Lazarides, Thasos, 1958; Guide de Thasos (Ecole Francaise, 1967).

مورجانتينا : Morgantina * :

كذلك تمدنا آثار Morgantina [1] ببعض الملامح للسوق الاغريقى خلال الفترة الهلينيستية ، وقد أماطت اللثام عن هذه المنطقة تلك الكشوف التى قام بها العالم الأثرى « Paolo Orsi » منذ عام ١٩١٢ ... وكشوفه حول مدرجات السوق (Agora)[2] التى تعتبر من أهم ملامح تلك المدينة . ويبدو أن هذه المدرجات كانت تستخدم لاجتماعات أهل المدينة ، ويعطينا المساح الجيولوجى تقريره حول تلك المبانى بأنها ذات تقنية فنية معمارية عالية – فالدرج والحوائط كانت مخططة بعناية بشكل متوازن ، واستخدمت فيها المساقط الرأسية والأفقية .

ويضم الرواق Stoa الواقع فى الجزء الشمالى من السوق (Agora) مجموعة من الحوانيت لم ينته بناؤها بعد ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى هجوم الرومان على صقلية (Sicily) عام (٢١٢ ق.م.) [3] وما تبع ذلك من آثار على المنطقة .

ولقد اكتشف المنقبون فى المنطقة مبنى طولى الشكل – يبلغ طوله خمسة أضعاف اتساعه عرضاً ، ويبدو أنه كان مستودعاً للبضائع والسلع ، كذلك وجد فى الجزء الجنوبى الغربى من السوق (Agora) مجموعة من الصناديق المملوءة بالعملات البرونزية ترجع إلى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ، ووجد خلف السوق (Agora) المذبح الدينى . كما وجد مبنى آخر ربما كان مكاناً مخصصاً لبيع اللحوم (سوق اللحوم) . وقد تتابعت الحركات الكشفية بعد عام ١٩٦١ لمدينة « Morgantina » وانحصرت فى الكشف عن مسرحها العام ، الذى يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد [4]

---

* تقع مورجانتينا Morgantina شرق وسط صقلية وهى احدى المدن التى ظهرت على الأرجح بعد حركة الانتشار الاغريقية . راجع – سيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق ، ص ١٣٣ وما بعدها .

(1) E. Sjoqvist and R. Stillwell, excavation in Morgantina A.J. Arch, 1957, 151-159; Stillwell (R), Kwkalos, 1965, 579 ff.

(٢) أطلق الرومان على هذا الدرج مسمى « Comitium » .

(3) M.I. Finely, History of Sicily (1968); E.A. Freeman, History of Sicily (4 Vols., 1890-4); A.G. Woodhead, The Greeks in the West, 1962.

(4) P. Mackendrick, op.cit., p. 374.

– كذلك كشف كثير من جوانب حوائط المدينة وبواباتها ، هذا إلى جانب المنازل والمدافن التى وجدت خارج الأسوار [1] .

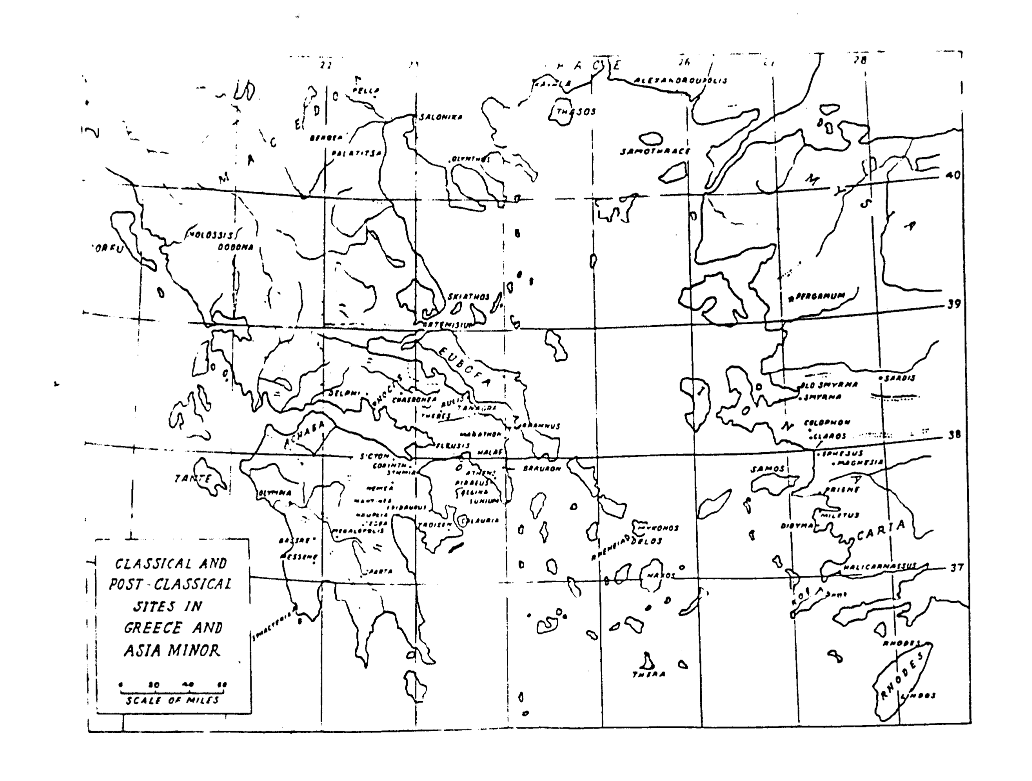
وجملة القول أن ماهية السوق الاغريقى قد تطورت على مراحل واكبت تطور الحضارة الاغريقية – حيث كانت ماهية الفترة الباكرة ذات صفة تجارية من خلال ساحة السوق فى البيع والشراء ، ثم تطورت ماهية السوق وأصبحت ذات مهام تجارية وثقافية واضحة من خلال المخلفات الأثرية التى ظهرت منذ القرن الخامس قبل الميلاد متمثلة فى الرواق « Stoa » و« المسرح » ومدرسة الفلاسفة « Stoa Poikile » والأستاد ومبنى الإجتماعات ، ودار سك العملة – ومنزل النافورة « Klepsydra » ودار المحاسبة ... الخ . هذا إلى جانب الماهية السياسية والتى تمثلت فى دور السوق الاغريقى كأحد المواقع الهامة التى شهدت معظم الأحداث السياسية بين الطبقة الحاكمة وممثلى الأرستقراطية وباقى أفراد الشعب .

وقس على ذلك الفترة الهلينيستية حيث ظهرت ماهية السوق بأشكال متعددة : (من خلال آثار السوق فى بعض المدن) الماهية الاقتصادية (التجارية) والماهية الثقافية (أدب – شعر – ثقافة – فلسفة – العاب رياضية ... الخ) ، ونحن لا نغفل أنه كانت للسوق ماهية سياسية أيضاً بفضل أدواته الثقافية التى تعرض القضايا السياسية على العامة فى رحابه . من أجل مناقشتها واقرار الحرب أو السلم ، واصدار التشريعات من خلال الجمعيات الشعبية وهى العصب السياسى للمدينة [2] . كما كان للسوق دوره من الناحية الدينية حيث كانت تقام حوله معابد بعض الآلهة . وأخيراً وليس آخراً الماهية الاجتماعية التى ظهرت من خلال تناسق طبقات المجتمع الاغريقى فى مكان عام ظهرت من خلاله شتى صور الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد .

---

(1) P. Mackendrick, Ibid., p. 375.

(٢) لطفى عبد الوهاب يحيى (اليونان) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .



CLASSICAL AND
POST-CLASSICAL
SITES IN
GREECE AND
ASIA MINOR
SCALE OF MILES
SAMOTHRACE
SALONIKA
ALEXANDROUPOLIS
PERGAMUM
SKIATHOS
EUBOEA
ACHAEA
SARDIS
SMYRNA
COLOPHON
CLAROS
EPHESUS
MAGNESIA
SAMOS
PRIENE
MILETUS
DIDYMA
CARIA
HALICARNASSUS
RHODES
LINDOS
THERA
NAXOS
DELOS
MYKONOS
BRAURON
MARATHON
ATHENS
PIRAEUS
TROIZEN
MEGALOPOLIS
SPARTA
OLYMPIA
MESSENE
DODONA
DELPHI
THEBES
SICYON
CORINTH
NEMEA
40
39
38
37

المصادر والمراجع

أ – المراجع العربية :

– الفريد زيمرن (الحياة العامة اليونانية – السياسية والاقتصادية فى أثينا فى القرن الخامس) – ترجمة : عبد المحسن الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

– سيد أحمد الناصرى (الأغريق) – الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ .

– عاصم أحمد حسين (مصادر التاريخ الاغريقى) – القاهرة ، ١٩٨٧ .

– كتو (الاغريق) ترجمة : عبد الرزاق يسرى ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

– لطفى عبد الوهاب يحيى (اليونان) مقدمة فى التاريخ الحضارى – الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ .

– الموسوعة الأثرية العالمية (ليونارد كوتريل) ترجمة / محمد عبد القادر محمد ، زكى اسكندر (مراجعة / عبد المنعم أبو بكر) – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

ب – المصادر والمراجع الأجنبية :

– A. Lexicon Liddel and Scott's Greek English Lexicon, Oxford, 1974.

– Andrew Lang, Tales of Troy and Greece, 1962.

– Aristophanes, Achamians (Loeb Classical).

– Aristophanes, Lysistrata (Ecclesiazusae), Loeb Classical.

– Auctio, Pauly – Wissova.

– Bevan (E), Stoics and Sceptics, 1913.

– Breccia (E), Alexandrea ad Aegyptum, Bergamo 1922.

– Cary (M), The Geographic Background of Greek and Roman History, Oxford, 1949.

– Clement (P), L'Antiquité Classique, 1934.

– Davidson (A.L), The Stoic Greed, 1907.

- Defrasse (A), Epidaure, Paris 1895
- Deibner (O), The Cult of Asklepios (U S A., 1894)
- Ecole Francaise. Guide de Thasos. 1967
- Ernest Parker. Greek Poletical Theory, London, 1960.
- Finely (M.I), History of Sicily. 1968.
- Fran es Wilkins. Ancient Crete. 1966.
- Freeman (E.A), History of Sicily 4 vols, 1890-4.
- Guide de Thasos (Ecole Francaise) Athens 1967
- Herzog (R). Die Wunderheilungen Von Epidauros. 1931.
- Hicks (E.L) and Bent (J.T), Inscriptions from Thasos (The Journal of Hellenic Studies). Vol VIII, 1987
- Highbarger (E.L), The History and Civilization of Ancient Megara (U S A). 1927
- Hiller (F), Inschriften Von Priene 1906
- Iakovidis (S.E), Epidaurus, Athens 1984
- Inscriptions Graecae. XII, 8
- John Pendlebury. The Archaeology of Crete 1939
- Kavvadias (P). Fouilles d'Epidaure. Athens 1891
- Lazarides (D.I), Thasos. Salonika 1958
- Lord William Taylor, The Myceneans (Ancient Peoples and Places, No. 39), London, 1964.
- Martin (R), Recharches Sur l Agora Grecque, 1951.
- Martin (R), "L Agora", Etudes Thasiennes 6. 1969.
- Mates (B), Stoic Logic, 1951.
- Oswyn Murray, Life and Society in Classical Greece, The Oxford History of Greece and the Hellenistic World, Oxford 1991.
- Oxford Classical Dictionary, Second Edition, Oxford, 1978

- Papadimitriou (J), Anaskaphai en brauroni Tes Attikes, Athens 1960.
- Paul Mackendrick, The Greek Stones Speak, London, 1965.
- Pohlenz (M), Die Stoa (1949-55).
- Reith (O), Grundbergriffe der Stoischen Ethik, 1933.
- Rist (J), Stoic Philosophy, 1969.
- Roebuck (C), Corinth : Asklepicion and Lerna, 1951.
- Sambursky (S), The Physics of The Stoics, 1959.
- Schede (M), Die Ruinen Von Priene, 1934.
- Schmekel (A), Die Philosophie der Mittlerene Stoa, 1892.
- Simonetta (B), Notes on the Coinage of Cappadocian Kings, Nu[illegible]ronicle, 1961.
- Sitta Von Reden, Exchange and Markets in Ancient Athens (Duckworth, London 1994).
- Sjoqvist (E), and Stillwell (R), Excavation in Morgantina, A.J. Arch., 1957.
- Thampso[illegible] 2 (1949).
- Vezin (A), Eumenes von Kardia (1907).
- Walton [illegible] S.A., 1894).
- Wiegand (T) and Schrader (H), Priene, Ergebnisse, 1[illegible]
- Woodhead (A.G), The Greeks in the West, [illegible]62.
- Wycherley (R.E), How the Greeks Built Cities 2, 1962.
- Xenophon, Symposium, 2-20.

المراجع

أولاً : المراجع الأجنبية

١ - الوثائق البردية الإغريقية

Actenstucke: Actenstucke aus der koniglichen Bank zu Theben in den Miseen von Berlin, London, Paris, by U. Wilcken, Berlin 1886.

B.G.U.: Aegyptische Urianden aus den Staatlichen Mussen zu Berlin, Griechische Urkunden, by W. Schubart and others, val 1-13, Berlin 1895-1976.

P. Amh.: The Amherst Papyri, Being an Account of the Greek Papyri in the collection of the Right Hon, Lord Amherst of Hackney, F.S.A. at Didlington Hall, Norfolk, by B.P. Grenfell and A.S. Hunt, vol 1-2, London 1900, 1901.

P. Cair-Zen: Zenon Papyria, Catalogue general des antiquites egyptiennes du Musee du Caire, vol 1-5, by C.C. Edgar, Cairo 1925-1940. Touos 50ç (Publ. Soc, Fouad V) by O. Guéraud and P. Jouguet.

P. Col. : Columbia Papyri, vol 1-7, New York 1929, by W.L. Westenmann and A.A. Schiller. New York.

P. Col., 480: = Upon Slavery in Ptolemaic Egypt, Columbia University. Press., New York 1929.

P.Corn.,: Greek Papyri in the Library of Cornell University, by W.L. Westermann and C.J. Kraemer In., New York 1926.

P. Edgar: "Selected Papyri from the Archives of Zenon, by C.C. Edgar (Annales du Service des Antiquités de l'Egypte 1918-1924.).

P. Eleph: Agyptische Urkunden aus den Koniglichen Mussen in Berlin. Griechische Urkunden. Elephantine-Papyri, by O. Rubensohn, Berlin 1907.

P. Enteux: Requétes et plaintes adressées au Roi D'Egypte

au III Siécle avant J-C., by O. Guéraud. Cairo 1931-2.

P. Fay: Fayûm Towns and Their Papyri, by B.P. Grenfell, A.S. Hunt and D.G. Hogarth, London 1900.

P. Fouad. Les Papyrus Fouad. I, by A. Bataille and others Cairo 1939.

P. Giss.: Griechische Papyri im Museum des Oberheissischen Geschichtsvereins zu Giessen, O. Edgar, E. Komemann and others, Leipzig - Berlin 1910-1912.

P.Giss. Univ.: Mitteilungen aus der Papyrussammlung der Giessener Universitatsbibliothek, vol 1-6, by H. Kling and P.M. Meyer, Giesen 1924-1939.

P. Grad.: Griechische Papyri der Sammlung Gradenwitz, by G. Plaumann, Heidelbert 1914.

P.Grenf.: An Alexandria Erotic Fragment and Other Greek Papyri Cheifly Ptolemaic, by B.P. Grenfell, Oxford 1896. vol 2 New Classical Fragments and Other Greek and latin Papyri, by B.P. grenfell and A.S. Hunt, Oxford 1897.

P. Hal.: Dikaiomata: Auszuge aus Alexandrinischen Gesetzen und Verordnungen in einem Papyrus des Philologisischen Seminars des Universitat Halle mit einem anhang weiterer Papyri derselben Sammulung. By Graeca Halensis, Berlin 1913.

P. Hib.: The Hibeh Papyri, vol 1-2, by B.P. Grenfell, A.S. Unt and others London 1906, 1955.

P. Iand.: Papyri Iandanae, vol 1-8, by B. Schaefer, C. Kalbfleisch and other, Leipzig 1912-1938.

P. Lille: Papyrus grecs (Institut Papyrologique de l'Université de Lille), vol 1-2, by P. Jouguet and others, Paris 1907-1928.

P. Lond: Greek Papyri in the British Museum, vol 1-7, by F.G. Kenyon and others London 1893-1974.

P. Leid: Papyri Graeci Musei Antiquarii Publici Lugduni-Batavi, 1-2, by C. Leemans, Leiden 1980.

P. Lille: Papyrus greces (Institut Papyrologique de L'Université de Lille), vol 1-2, by P. Jouguet

and others, Paris 1907-1928.

P. Lond: Greek Papyri in the British Museum, vol 1-7, by F.G. Kenyon and others London 1893-1974.

P. Mich.: Michingan Papyri, vol 1-11, by C.C. Edgar and others, Ann Arbor and others, 1931-1971.

P. Oxy: The Oxyrhynchus Papyri, vol 1-42, by B.P. Grenfell, A.S. Hunt and others, London (Egypt Exploration Society) 1898-1978.

P. Paris: Notices et textes des Papyrus grecs du Musée du Louvre et de la Bibliothéque Impéeriale, byA.J. Letronne and others, Paris 1865.

P. Petr.: The Flinders Petrie Papyri, vol 1-3, by Mahaffy, J.G. Smyly, Dublin 1891-1905.

P. Rev.: Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus, by B.P. Grenfell, Oxford 1896. Re. Edd., by J. Bingen, SB. Beiheft 1, Bottingen 1952.

P. Ryl.: Catalogue of the Greek Papyri in the John Rylands Library, Manchester, vol 1-4, by A.S. Hunt and others, Manchester 1911-1952.

P. Select.: Papyri Selectae, by E. boswinkel and others, Leiden 1965.

P.S.I.: Publicazioni della Società Italiana, Papyri greci latini, vol 1-14, by G. Vitelli, M. Norsa and others Firenze 1912-1957.

P. sorb.: Papyrus de la Sorbonne, by Héléne Cadell, Paris 1966.

P. Tebt.: The Tebtunis Papyri, vol 1-4, by B.P. Grenfell, A.S. Hunt and others, London 1902-1976.

P. Taur+(P. Tor): "Papyri graeci Regu Musei Aegyptii Taurinesis, bol 1-2, by A. Peyron, Torino 1826-1827.

P.Z.: P.Edgar.

S.B.: Sammelbuch griechischer Urkunden aus Aegypten, by F. Preisigke, 1915 and cont., F. Bilabel, E. Kiessling and H.A. Ruppurecht.

U.P.Z.: Urkunden der Ptolemaerzeit, vol 1-2, by U. wilcken, Berlin and Zeipzig I, 1927, II, 1, 1935, II. 2. 1937.

٢- الوثائق البردية الديموتيقية

P. Cairo - Dem.: Catalogue Géneral des Antiquités Egypte, du Caire, vol 1-3, by W. Spiegelberg and others, Strassburg-Berlin 1908-1932.

P.Eleph. Dem.: Demot Papyrus von der Insel elephantine, vol 1, W. Spiegelberg, Leipzig 1908.

٣- كسر الفخار (الاوستراكا)

O. Edfou.: Mantefell, Les Papyrus et les Ostrace grecs, dans fouilles franco-Poponaises, Tell Edfou, I. 1937, III, 1938.

O. Strass.: Grichische und griechisch-demotische Ostraka der Universitatsund Landesbibliothek zu Strassburg in Elsass, by P. viereck UE ouvepvaoia W. Spiegelberg. Berlin 1923.

O. Tait: Greek Ostraca in the Bodleian Library at Oxford and various other Collections, by J.G. Tait, Vol. 1-2, London 1930-1955.

O. wilb.: Les ostraca grecs de la collection Charles-Edwin Wilbour au Musee de Brooklyn, by claire Preaux, New York 1935.

O. Wilck.: (W.O.): Griechische Ostraka aus Aegypten und Nubien, by U. Wilcken, Leipzig-Berlin 1899.

٤- النقوش

Dittenberger (Wilhelmus):

Orientis Graeci. Inscriptiones Selectae. Supplementum Sylloges Inscriptionum Graecarum, 2 Vpls., Lipsiae, 1903-1905.

Preisigke:

Sammelbuch Griechischer Urknden aus Aegypten, I, 1915, II, 1918-20: III Bilabel, 1926, IV, 1931, V, 1934, VI, 1958-63 (Heidelberg).

Sylloge[3]: Dittenberger, W., Sylloge Inscriptionum Graecarum[3]. Leipz 1915.

٥ ـ الدوريات والمجلات

Aegyptus, 14 (1934), 16 (1936), 28 (1930) (1957).

American Journal of Philology, 49 (1928), 59 (1938), 63 (1942).

Archiv fur Papyrusforschung, II (1933).

American Studies in Papyrology, 4 (1968).

Annales du Service des Antiquites de l'Egypte, 18 (1918), 29 (1942).

Bibliotheque archeologique et historie, 26 (1938).

Cambridge Ancient History, 7 (1928), 8 (1929), 9 (1930).

Chronique de Egypte, 53 (1925), 72 (1971), 76 (1975), 79 (1978).

Classical Review, 28 (1978).

Congres International Papyrologie, 7 (1936).

Etudes de Papyrologie, 2 (1934).

Greece and Rome. Oxford, Clarendon Press, 26[2] (1979).

Historia, 28 (1979).

'Totopia toú É

Journal of Egyptian Archaeology, 15 (1929), 24 (1923).

Journal of Roman Studies, 29 (1939).

Klio, Beitrage zur alten Geschichte. Berlin. Akademie-Verila, 16 (1916), 37 (1937).

Munchen er Beitrage zure Papyrus-Forschung, 5 (1923).

Revue Belge de Philogie et Histoire, 12 (1933).

Zeitschrift fur agyptische sprache, 11 (1902).

Service des Antiquites de l'Egypte, 4 (1925).

Studia Hellenistica, 7 (1951).

٦ - مراجع اجنبية

Andreades, A.:

- Les droits de dovane preleves par les Legides sur l'Commerce exterieur, Melanges G. Glotz, 1 Paris 1932.

- De l' origine des monopoles Ptolemaiques, Melanges Maspero, 11, 1933.

- A History of Greek public finance, Translated by Carroll N. brown, Ilarvard University Pross, Cambridge, Mass 1933.

Bagnall, L.:

- The Ptolemaic Trierarchs, Chronique d'Egypte, XLXI, 1971.

- The Administration of the Ptolemaic Possession outside Egypt, Leiden 1976.

Bevan, E.:

A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, London 1927.

Bickermann, E.:

Institutions des Seleucides, Haut-Commissariat de la Republique Française on Syrie et au Liban. Service de la Antiquites, Bibliotheque Archeologique et Histoirique, XXVI, Paris 1938, p. 106-111.

Buche-Leclercq, A.:

Histoire des Lagides, 4 Vols., Paris 1903-7.

Cary, M.:

Creek World from 323-164. B.C., London 1951.

Desvernois, H.:

Les banques et banquiers dans l'Egypte, ancienne, sous les Ptolemaiques at la domination romaine, Arch. d'Alex., No 33, 1928.

Durrbach, F.:

Choix d'inscription de Delos. Paris 1922.

Evans, A.:

The Poll-Tax in Egypt. Ageyptus, 37, 1957, p. 262

Praser, P.:

Ptolemaic Alexandria, 3 Vols, Oxford 1972.

Glotz, G.:

Le Travail dans la Grece ancienne, Paris 1920.

Gauthier, H. et Sottas, H.:

Un decret Trilinque en l'honneur de Ptolemee IV, Service des-Antiquites de l'Egykpte, Caire 1925.

Philippe Gauthier:

Eaywyn itou, Historia XXVIII, 1979, p. 76-89.

Grenfell, B. Hunt and Hogarth:

Fayum towns and Their Papyri, London 1910.

Harper, M.:

Tax Contractors and their Relation to Tax Collection in Ptolemaic Egypt, Aegyptus, 14, 1934, p. 49-64.

A Study in the Commercial Relations between Egypt and Syria in the third Century B.C., Am. Jour. Ph., XLIX, 1928.

Harris William V.:

War and Imperialism in Republic rome, 327-30 B.C., Oxford 1979.

Heichelheim, F.:

- Pauly-Wissowa. R.E., 1933, Coll., 147-200,
- Pauly-Wissowa, R.E., Suppl. VI, 844,
- An Ancient Economic History (from the palaeolithic age to the Migrations of the Germanic, slavic, and Arabic nations), Vol. III. Trans., Joyce stevens.

Heuss, A.:

Stadt und Herrscher des Hellenismus (Klio XXXVII, 1937, 0. 105-124).

Jouguet. P.:

- L' imperialisme macedonien et l' Hellenisation de l'

orient, Paris 1926.

Ogden, London 1928.

- L'Egypte Ptolemaique dans Histoire de la Nation Egypt III, ed. Hanotaux, Paris, 1933.

Lacau, P.:

Un Graffito eg. d'Abydos ecrit en lettress grecques, Etudes do Papyrologie, II, 1934.

Launey, M.:

Recherches sur les armees hellenistique, Paris, I, 1949, II, 1950.

Lefevre, g.:

Le Dernier decret des Lagides, Melanges Holleaus, 1913.

Lenger, M.:

Reedition lommentee de P. Petrie, III, 20. Recto, Col, 4. Verso, Chronique de Egypte, 53, 1925, p. 233.

Lewis, N.:

L'industrie du Papyrus dans l'Egypte greco-Rom., Paris, 1934.

Magie, D.:

The Agreement between Philip V and Antiochus III for The partition of Egykpt. emire. J.R.S., 29, 1939, p. 32-44.

Martin, V.:

Les Papyrus et l'Histoire administrative de l'Eg. Grece. -Rom., - Beitrage zur Pap. u. Ant., Rechtsgeschichte, XIX, 1934, p. 144

Maspero, H.:

Les finances de l'Egypte sous les Lagides, Paris 1905.

Milne, G.,:

The Currency of Egypt under Ptolemeis, J.E.A., 24, 1938, p.204

Naville, E.:

La Stele de Pithom (Zeitschrift fur agyptische Sprache, XI,

1902-1930, p. 66-76).

Rostovtzeff, M.:

- Large Estate in Egypt in the Third Century B.C., Univ. of Wisconsin Studies in the Social Sciences and History, No 6, Madison 1920.

- Foreign Commerce of Ptolemaic, Jour. Of Econ. and Business History, IV, 1932.

- The Social and Economic History of the Hellenistic World, 3 vols, Oxford 1941.

1973.

1974.

1975.

I-III, 1904, IV, 1908.

Schnebel, M.:

Landwirtschaft im Hellenist. Aegypten, 1925.

Segré, A.:

Ptolemaic Copper inflation, Am. Jour. Phil. 63, 1942, p. 178.

Seidl, E.:

Der Eid im ptolemaischen Recht, Munchen 1929.

Seltmann, C.:

Greek Coins. A History of Metallic Currency and Coinage down to the fall of the Hellenistic Kindgdoms, London 1933.

Neatly, E.:

The Roman Egypt Relation during Third Century B.C., T.A.P.A., 81, 1950, p. 92-97.

Nicolo, M.San:

r.Stathmouchos in P.W. - R.E., Reiche III, 2. 1929.

Noshy, I.:

Arts in Ptolemaic Egypt. Oxford 1937.

Oertel, F.:

Die Liturgie, Studien Zur ptolemaischen u. Kaisser-lichen Verwaltung Aogyptens, Leipzig 1917.

Otto, W.:

Priester und Tempel im hellenistichen Aegypten, 2 Leipzing-Berlin 1905-8.

Pagenstecher, R.:

Die Griechisch Aegyptische Sammlung von Ernst. V. Sieglin, Leipzig 1913, p. 120

Peremans, W.:

- Ptolem II Philadelphe et les Indigences Eg., Rev. Belge, de Philol. et d' Hist., XII, 1933.

Preaux, C.:

- Un probleme de la politique des Lagides la faib-lesse des edits, in Actes du IV Cong., International Papyrologie. Bruxelles 1936, p. 183-193.

- L' economic royale des Lagides, Bruxelles 1939.

Reekmans, T.:

- La sitometrie dans les Archives de Zenon (Papyrol. Bruxell, 1966), p. 108

- The Ptol. Copper Inflation, Studia Hellenistica 7, 1951, p. 65

Shelton, J.:

Land and Taxe in Ptolemaic Egypt, Chronique d'Egypte, 50, 1975, p. 263, FF, Zum Steuersalts bein Fruptolemaischen ( ) Z.P.E., XX, 1976, p. 35-39.

Spiegelberg, W.:

Beitrage zur Erklarung des neuen dreisprachigen Priesterdekretes zu Ehren des Ptolemaios Philopator, Munchen 1925, p. 1-30.

Tarn, W.:

Hellenistic Civilisation, London 1935[3].

Vebel, F.:

Die fruhptolemaische Saltzsteuer (Archiv fur Papy us-forschung und Verwandte gebiete, Leipzig 1978, p. 172.

Walbank, F.:

Philip V of Macedon, Cambridge 1940.

Wallace, S.L.,:

- Census and Pool-Tax under the Ptolemies, Am Jour. of Philol., 59, 1938, p. 418-442.
- Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian, Princeton 1938.

Westermann, W.L.:

- Upon Slavery in Ptolemaic Egypt, New York 1929.
- Orchard and Vinyard Taxes in the Zenon Papyri (J.E.A., 12, 1926, p. 38-51).

Wilcken, U. - Mitteis, L.:

- Grundzuge und Chrestomathie der Papyruskunde, I, Historischer Teil, zweite Helfte, 1912.
- Urknunden der Ptolemaerzeit, Berlin-Leipzig, 1929, Einleitung, B., Das Serapeum von Memphis, p. 7.
- Zur Trierarchie im Lagidenreiche, Raccolta Lumbroso, Milano 1925, p. 43-99.

Woess, F.V.:

Das Asylwesen Aegyptens in d. Ptolemarzeit und die Spatere Entwicklung, Munchen Beitrage zur Papyrus-Forschung, V, 1923.

Zola, M.P.:

The Taxes in Grain in Ptolemaic Egypt, Granary Receipts from diospolis Magna (164-88 B.C.), New Haven, The American Society of Papyrologists 1968 = American Studies in Papyrology, Vol. 4.

Zucher, F.:

Doppelinschrift Spatptolemaisher zeit aus desGannison von Hermopolis-Magna, Berl., Abh., Phil, hist. Kl. VI, 1937.

ثانيا : المراجع العربية

ابراهيم نصحي

– تاريخ مصر في عصر البطالمة . اربعة اجزاء – الطبعة الخامسة القاهرة ١٩٨١ .

عاصم احمد حسين :

– الضرائب في مصر في العصر البطالمي القاهرة ١٩٧٧ .

– اثر الضرائب في كيان دولة البطالمة – القاهرة ١٩٨٢ .

– المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق – القاهرة ١٩٩١ .

لطفي عبد الوهاب يحي :

– عصر البطالمة (دراسات في تاريخ مصر الحضاري) الاسكندرية ١٩٨٠ .

مختصرات وردت بالكتاب

Aeg., = Aegyptus.

A.J.A.H., = American Journal of Ancient History. Cambridge, Harrvard University.

A.J.Ph., = American Journal of Philology.

A.Pap., = Archiv fur Papyrusforschung.

A.S.Pap., = American Studies in Papyrology.

B.G.U., = Agyptische Urkunden aus den koniglichen Museen zu Berlin, Griechische Urkunden, I-VII.

C.A.H., = Cambridge Ancient History.

C.I.P., = Congrés International Papyrologie.

E.Pap., = Etudes de Papyrologie.

G.R., = Greece and Rome. Oxford. Clarendon Press.

I.E.E., = 'Ioropia tou err

I.E.A., = Journal of Egyptian Archaeology.

J.R.S., = Journal of roman Studies.

N.B., = Preisigke (F.), Namenbuch, Heidelberg 1922.

O.G.I.S., = Dittenberger, Orientis Graeci Inscriptiones Selectae.

O.C.D., = Oxford Classical Dictionary.

O.Tait., = Tait, Greek Ostraca in the bodleian Library at Oxford and Various other Collections, Vol. I. London 1930.

O.Strassb., = P.Vierechk, Griechische und Griechish-Demotische Ostraka der Universitats - und Landesbibliothek zu Strassburg im Elsass.

P.Amh., = Grenfell and Hunt, Amerst Papyri.

P.Bad., = F. Bilabel, Veroffentlichungen aus den badischen Papyus-Sammlungen.

P. Cairo Preis., = Preisigke, Grichishe Urkunden des agyptischen Museums zu Kairo.

P.Edgar., = Selected Papyri from the Archives of Zenon uno C.C. Edar.

P.Fay., = Grenfell, Hunt, and Hogarth, Fayum Towns and their Papyri.

P.Flor., = Papiri Fiorentini, Vitelli and Comparetti.

P.Grenf.I., = B.P. Grenfell, An Alexandrian Erotic Fragment and other Greek papyri.

P.Grenf.II., = Grenfell and Hunt, New Classical Fragments and other Greek and Latin papyri.

P.Gurob., = J.G. Smyly, Greek Papyri from Gurob.

P.Hibeh., = Grenfell and Hunt, Hibeh Papyri.

P.Leiden., = Leemans, Papyri Graeci Musei Antiquarii Publici Lugduni-Batavi.

P.Lips., = Mitteis, Griechische Urkunden der Papyrussammlung zu Leipzig.

P.Lond., = Greek Papyri in the British Museum, Kenyon and Bell.

P. Oxy., = Grenfell, Hunt, Oxyrhynchus Papyri.

P.Paris, = Brunet de Presle, Notices e Extraits des

Manuscripts Grecs de la bibliotheque imperiale 18(2). 1865.

P.Petrie., = Mahaffy and Smyly, The flinders Petrie Papyri.

P.Ryl., = Johnson, Martin, and Hunt, Catalogue of the Greek Papyri in the John Rylands Library, Manchester.

P.S.I., = Papiri Greci e Latini (Pubblicazioni della Societa italiana).

P.Tebt., = Grenfell and Hunt, Tebtunis Papyri.

P.Z., = P. Edgar

R.E., = Real - Encyclopaedie. (Pawly-Wissowa).

R.L., = Grenfell., Revenue Laws.

S.A.A.H., = Service de la Antiquites, Bibliotheque Archeologique et Histoire.

S.A.E., = Service des Antiquités dé l'Egypte.

S.B., = F. Preisigke, Sammelbuch Griechischer Urkunden aus Agypten.

S.I.G., = Dittenberger, Sylloge, Inscriptionum Graecarum.

Stud.Pal., = C. Wessely, Studien zur Palaographie und Papyruskunde.

T.A.P.A., = Transactions and Proceedings of the American Philological Association. Clereland. Ohio, Press of Case Western Reserve University.

U.P.Z., = U.Wilcken, Urkunden der Ptolemaerseit.

W.B., = Worterbuch, F. Preisigke.

W.Chrest., = Grundzuge und Chrestomathie der Papyruskunde; Erster Band, Historiscker Teil: Zweite Halfte, Chrestomathie, von Ulrich Wilcken.

W.O., = U. Wilcken, Griechische Ostraka aus Agypten und Nubien.

Z.P.E., = Zeitschrift fur Papyroogie und Epigraphik, Bonn, Habelt.

كشاف أبجدى

A

D

E

G

H

I

K

L

M

N

O

P

S

T

V

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة ت ٥٨١٧٥٥٠